تنوُّع أساليب النَّثر السِّياسي في العصر الأُمَوي

العلوم الإسلامية الأساسية

رسالة دكتوراة

Mustafa ALMAVAS

DANIŞMAN
Doç. Dr. Aladdin GÜLTEKİN

KARABÜK

2021

تنوُّع أساليب النَّثر السِّياسي في العصر الأُمَوي

العلوم الإسلامية الأساسية

جامعة كاربوك

معهد الدراسات العليا

أطروحة لنيل درجة الدكتوراة

قسم العلوم الإسلامية الأساسية

Mustafa ALMAVAS

DANIŞMAN
Doç. Dr. Aladdin GÜLTEKİN

KARABÜK

2021

المحتويات

المحتويات ١

DOĞRULUK BEYANI ١٠

تعهد المصداقية ١١

ÖZET ١٢

ملخص ١٤

ABSTRACT ١٦

ARŞİV KAYIT BİLGİLERİ ١٨

الاختصارات ٢١

أهداف البحث وأهميته ٢٢

منهج البحث ٢٢

مشكلة البحث ٢٢

حدود البحث ونطاقه والمشكلات التي واجهت الباحث ٢٣

مقدمة ٢٤

الفصل الأول: النَّثر الفنيُّ في العصرِ الأُمويّ ٣٨

المبحث الأول: الدولة الأُموية (١٣٢-٤١هـ ٦٦١-٧٥٠م) ٣٨

المبحث الثاني: الحياة الأدبية في العصر الأموي ٤٣

المبحث الثالث: النَّثر الفنيُّ ٤٦

المبحث الرابع: أهم الفنون النثرية ٤٩

المطلب الأول: الخطابة في العصر الأمويّ ٥٠

أولاً: تعريف الخَطابة ٥٢

ثانياً: دواعي نهوض الخطابة وتطورها في عهد بني أميّة ٥٢

ثالثاً: السِّماتُ العامةُ والخصائصُ الفنِّية للخطابة السياسيّة ٥٤

رابعاً: أشهر أعلامها ٥٦

١- خطباء بني أمية ٥٦

٢- **خطباء الفرق الدينية (خطباء الخوارج)** ٦١

٣- خطباء آل البيت والشيعة ٦٤

المطلب الثاني: الرسائل الفنيَّة في العَصْرِ الأمويّ ٦٧

أولاً: تعريف الرسائل الفنيَّة ٦٨

ثانياً: فنُّ الرَّسائل وأنواعُهُ في العَصر الأُمويّ ٦٩

ثالثاً: الأُسلوب في الرسائل ٧١

رابعاً: أعلام كُتَّاب الرَّسَائل ٧٤

المطلب الثالث: فنُّ التوقيعات ٧٨

أولاً: التعريف لغة واصطلاحاً ٧٨

ثانياً: التوقيعات في التراث العربي ٨٠

ثالثاً: أهم خصائصها وأنواعها ٨٢

رابعاً: التوقيعات في العصر الأموي ٨٣

أولاً: تعريف المناظرة ٨٦

ثانياً: المناظرة في التراث العربي ٨٨

ثالثاً: المناظرة في العصر الأموي ٩٠

رابعاً: خصائص المناظرة في العصر الأموي ٩٢

الفصل الثاني: جماليات الأسلوب في النَّثر السَّياسي ١٠١

المبحث الأول: الاستشهاد وأشكاله ١٠٢

المطلب الأول: الاستشهاد بالقرآن الكريم ١٠٤

أولاً: الاستشهاد بالقرآن الكريم في الخطب ١٠٥

١: الاستشهاد بآية كاملة ١٠٦

٢: الاستشهاد بأول الآية ١٠٧

٣: الاستشهاد بوسط الآية ١٠٧

٤: الاستشهاد بآخر الآية ١٠٨

ثانياً: الاستشهاد بالقرآن الكريم في الرسائل ١٠٩

١: الاستشهاد بآية كاملة ١٠٩
٢: الاستشهاد بأول الآية ١١٠
٣: الاستشهاد بوسط الآية ١١١
٤: الاستشهاد بآخر الآية ١١١
ثالثاً: الاستشهاد بالقرآن الكريم في المناظرة ١١٢
١: الاستشهاد بآية كاملة ١١٢
٢-الاستشهاد بأوَّل الآية ١١٣
٣-الاستشهاد بوسط الآية ١١٤
٤-الاستشهاد بآخر الآية ١١٥
المطلب الثاني: الاستشهاد بالحديث النبوي ١١٦
أولاً: الاستشهاد بالحديث النبوي في الخطب: ١١٦
ثانياً: الاستشهاد بالحديث النبوي في الرسائل ١١٧
ثالثاً: الاستشهاد بالحديث النبوي في المناظرة ١١٨
المطلب الثالث: الاستشهاد بالشِّعر ١٢٠
أولاً: الاستشهاد بالشِّعر في الخطابة ١٢٠
ثانياً: الاستشهاد بالشِّعرِ في الرسائل ١٢٣
ثالثاً: الاستشهاد بالشعر في المناظرة ١٢٤
المبحث الثاني: الاقتباس وأشكاله **١٢٥**
المطلب الأول: الاقتباس من القرآن الكريم ١٢٦
أولاً: الاقتباس في الخطب ١٢٧
١-اقتباس آية كاملة ١٢٧
٢-اقتباس أول الآية ١٢٨
٣-اقتباس وسط الآية ١٢٨

٤-اقتباس آخر الآية ١٣٠

ثانياً: الاقتباس في الرسائل ١٣٧

١-اقتباس الآية كاملة ١٣٨

٢-اقتباس أول الآية ١٤١

٣-اقتباس آخر الآية ١٤٢

٤-اقتباس الرسالة كاملة من القرآن ١٤٣

ثالثاً: الاقتباس في التوقيعات ١٤٤

١-التوقيع بآية كاملة ١٤٤

٢-التوقيع بأول الآية ١٤٤

٣-التوقيع بوسط الآية ١٤٥

٤-التوقيع بآخر الآية ١٤٦

رابعاً: الاقتباس في المناظرات ١٤٦

١-اقتباس الآية كاملةً ١٤٦

٢-اقتباس أول الآية ١٤٧

٣-اقتباس وسط الآية ١٤٧

٤-اقتباس آخر الآية ١٤٨

المطلب الثاني: الاقتباس من الحديث الشريف ١٤٩

المبحث الثالث: استيحاء الأفكار **١٤٩**

المطلب الأول: أشكال الاستيحاء ١٥٢

أولاً: استيحاء في المعنى ١٥٢

ثانياً: استيحاء في الأسلوب ١٥٣

المطلب الثاني: الاستيحاء في الخطب ١٥٣

أولاً: الاستيحاء في المعنى ١٥٤

ثانياً: الاستيحاء في الأسلوب ١٥٨
المطلب الثالث: الاستيحاء في الرسائل..... ١٦٣
أولاً: الاستيحاء من القرآن الكريم ١٦٣
ثانياً: استيحاء قصص الأنبياء والسابقين ١٦٩
ثالثاً: الاستيحاء من الحديث الشريف ١٧١
المطلب الرابع: الاستيحاء في المناظرات..... ١٧١
أولاً: الاستيحاء من القرآن الكريم ١٧٢
ثانياً: الاستيحاء من الحديث النبوي الشريف..... ١٧٢
المبحث الرابع: الاستهلال ١٧٤
المطلب الأول: تعريف الاستهلال ١٧٤
المطلب الثاني: وظيفة الاستهلال: ١٧٧
المطلب الثالث: أشكال الاستهلال..... ١٧٨
أولاً: الاستهلال في الخطابة: ١٧٨
١-الاستهلال بالحمدلة ١٧٩
٢-الاستهلال بالقرآن الكريم: ١٨٠
٣-الاستهلال بحديث نبوي شريف: ١٨٠
٤-الاستهلال ببيت شعر: ١٨١
٥-الاستهلال بمثل: ١٨٢
ثانيا: الاستهلال في الرسائل: ١٨٣
١-الاستهلال ببيان المرسِل والمرسَل إليه..... ١٨٣
٢-الاستهلال بتقديم اسم المُرسَل إليه على المُرسِل ١٨٥
٣-الاستهلال ببيان المرسَل إليه دون بيان المرسِل..... ١٨٥
٤-الاستهلال بالبسملة دون بيان المرسِل والمرسَل إليه ١٨٦

٥–الاستهلال بالبسملة ثم الشعر ١٨٦
٦–الاستهلال بالبسملة ثم استشهاد بآية من القرآن الكريم..... ١٨٦
٧–الاستهلال بالبسملة ثم الدعاء للمرَسَلِ إليه ١٨٧
٨–الاستهلال بالبسملة واقتباس من القرآن الكريم ١٨٧
ثالثاً: الاستهلال في المناظرة..... ١٩١
المبحث الخامس: السَّجْع ١٩٢
المطلب الأول: السجع في التراث العربي..... ١٩٤
المطلب الثاني: السَّجع في النَّثر الأموي..... ١٩٦
أولاً: السَّجع في الخطب ١٩٧
ثانياً: السَّجع في الرسائل..... ١٩٩
ثالثاً: السجع في التوقيعات ٢٠٠
رابعاً: السَّجع في المناظرة..... ٢٠٢
المبحث السادس: التقديم والتأخير..... ٢٠٣
المطلب الأول: التقديم والتأخير في الخطب ٢٠٤
المطلب الثاني: التقديم والتأخير في الرسائل ٢٠٦
المطلب الثالث: التقديم والتأخير في المناظرة ٢٠٦
الفصل الثالث: دراسة أسلوبية لنماذج نثرية..... ٢٠٧
المبحث الأول: ملامح أسلوبية في خطبةٍ للكميت بن زيد الأسدي ٢٠٩
المطلب الأول: التعريف بحياة الشاعر والخطيب الكميت بن زيد..... ٢٠٩
أولاً: السياق المحيط بالخطبة..... ٢١٠
ثانياً: خطبة الكميت بن زيد الأسدي أمام هشام بن عبد الملك ٢١١
المطلب الثاني: الملامح الأسلوبية في الخطبة ٢١٤
المطلب الثالث: المستوى الصوتي:..... ٢١٤

المطلب **الرابع**: المستوى الصّرفي..... ٢١٧

المطلب الخامس: المستوى التركيبي..... ٢١٩

المطلب السادس: المستوى الدلالي ٢٢٢

المبحث الثاني: وصية عبد الحميد بن يحى الكاتب للكتَّاب ٢٢٧

المطلب الأول: الِّدراسة الأسلوبية للوصيَّة ٢٣١

المطلب الثاني: المستوى الصَّوتي ٢٣٣

المطلب الثالث: المستوى الصّرفي ٢٣٦

المطلب الرابع: المستوى التركيبي ٢٣٩

المطلب الخامس: المستوى الدّلالي ٢٤٣

المبحث الثالث: ملامح أسلوبية وحجاجية في مناظرة عمر بن عبد العزيز للخوارج ٢٤٥

المطلب الأول: الملامح الأسلوبية في المناظرة ٢٤٩

المطلب الثاني: المستوى الصوتي..... ٢٥٠

المطلب الثالث: المستوى الصّرفي ٢٥٢

المطلب الرابع: المستوى التركيبي ٢٥٤

المطلب الخامس: المستوى الدلالي ٢٥٩

فهرس المصادر والمراجع ٢٧٣

TEZ ONAY SAYFASI

Mustafa ALMAVAS tarafından hazırlanan **"EMEVİ ASRINDA SİYASİ NESİRLERDE ÜSLUP ÇEŞİTLİLİĞİ"** başlıklı bu tezin Doktora Tezi olarak uygun olduğunu onaylarım.

Doç. Dr. Aladdin GÜLTEKİN ……
Tez Danışmanı, Temel İslam Bilimleri

Bu çalışma, jürimiz tarafından Oy Birliği Seçiniz ile Temel İslam Bilimleri Anabilim alanında Yüksek Lisans tezi olarak kabul edilmiştir.26.11.2021

Ünvanı, Adı Soyadı (Kurumu)	İmzası
Başkan :Prof. Dr. Sait UYLAŞ (ATAÜ)	….....
Üye :Doç. Dr. Abdulhadi TİMURTAŞ (YYÜ)	……..
Üye :Doç. Dr. Aladdin GÜLTEKİN (KBÜ)	……...
Üye :Dr. Öğr. Üyesi. Mohammad Nader ALİ (KBÜ)	……..
Üye :Dr. Öğr. Üyesi. Sehil DERŞEVİ (KBÜ)	.....

KBÜ Lisansüstü Eğitim Enstitüsü Yönetim Kurulu, bu tez ile, Doktora Tezi derecesini onamıştır.

Prof. Dr. Hasan SOLMAZ ……
Lisansüstü Eğitim Enstitüsü Müdürü

صفحة الحكم على الرسالة

أصادق على أن هذه الأطروحة التي أعدت من قبل الطالب **مصطفى المواس** بعنوان "**تنوُّع الأساليب في النَّثر السياسي الأموي**" في برنامج الدكتوراه هي مناسبة كرسالة دكتوراه.

Doç. Dr. Aladdin GÜLTEKİN .....

مشرف الرسالة، العلوم الإسلامية الأساسية

قبول

.

تم الحكم على رسالة الدكتوراة هذه بالقبول من قبل لجنة المناقشة بالإجماع بتاريخ ٢٠٢١.١١.٢٦

Ünvanı, Adı SOYADI (Kurumu)	İmzası
Başkan :Prof. Dr. Sait UYLAŞ (ATAÜ)	…..….....
Üye :Doç. Dr. Abdulhadi TİMURTAŞ (YYÜ)	.....……
Üye :Doç. Dr. Aladdin GÜLTEKİN (KBÜ)	. ..……...
Üye :Dr.Öğr. Üyesi. Mohammad Nader ALİ (KBÜ)	..……..
Üye :Dr. Öğr. Üyesi. Sehil DERŞEVİ (KBÜ)	.....

تم منح الطالب بهذه الأطروحة درجة الدكتوراة في قسم العلوم الإسلامية الأساسية من قبل مجلس إدارة معهد الدراسات العليا في جامعة كارابوك.

Prof. Dr. Hasan SOLMAZ .....

مدير معهد الدراسات العليا

DOĞRULUK BEYANI

Yüksek lisans tezi olarak sunduğum bu çalışmayı bilimsel ahlak ve geleneklere aykırı herhangi bir yola tevessül etmeden yazdığımı, araştırmamı yaparken hangi tür alıntıların intihal kusuru sayılacağını bildiğimi, intihal kusuru sayılabilecek herhangi bir bölüme araştırmamda yer vermediğimi, yararlandığım eserlerin kaynakçada gösterilenlerden oluştuğunu ve bu eserlere metin içerisinde uygun şekilde atıf yapıldığını beyan ederim.

Enstitü tarafından belli bir zamana bağlı olmaksızın, tezimle ilgili yaptığım bu beyana aykırı bir durumun saptanması durumunda, ortaya çıkacak ahlaki ve hukuki tüm sonuçlara katlanmayı kabul ederim

Adı Soyadı: Mustafa ALMAVAS
İmza :

تعهد المصداقية

أقر بأنني التزمت بقوانين جامعة كارابوك، وأنظمتها، وتعليماتها، وقراراتها السارية المفعول المتعلقة بإعداد أطروحات الماجستير والدكتوراه عندما قمت شخصياً بإعداد أطروحتي بعنوان:

تنوُّع الأساليب في النثر السياسي الأموي

وذلك بما ينسجم مع الأمانة العلمية المتعارف عليها في كتابة الأطروحات العلمية، كما أنني أعلن بأن أطروحتي هذه غير منقولة، أو مستلة من أطروحات أو كتب أو أبحاث أو أي منشورات علمية تم نشرها أو تخزينها في أي وسيلة إعلامية باستثناء ما تمت الاشارة اليه حيثما ورد.

اسم الطالب: مصطفى المواس

التوقيع: .....

ÖZET

Bu araştırma, Emeviler Dönemi siyasi nesrinin incelenmesini ve halifeliğin Şam'a taşınması gibi İslam tarihine damgasını vuran önemli gelişmelerden sonra bu türde gerçekleşen ilerlemeyi konu almaktadır. Zira hilafetin Şam'a taşınması siyasi hitap noktasında bir yükselişi de beraberinde getirmiştir. Öyle ki minberlere çıkan hatipler, halkı birbirinden farklı siyasi fırkalara çağırmışlardır. Bununla birlikte ülke sınırlarının genişlemesiyle ve henüz yeni doğmuş hilafet devletine farklı kültürlerin dahil olmasıyla beraber teressül (mektuplaşma) sanatı da ilerleme kaydetmiştir. Fırkaların çokluğu ve birbirinden farklı görüşlerin varlığı sebebiyle birbirinin aleyhtarı olan kimseler arasında cereyan eden tartışmalar neticesinde de münazara sanatında gelişmeler söz konusu olmuştur.

Araştırma neticesinde nesir yazarlarının hutbelerinde, mektuplarında ve tartışmalarında söz söyleme becerilerini ön plana çıkarmalarına yardımcı olan belagat üsluplarını kullandıkları ve bu yolla dinleyicileri görüşlerinin doğru olduğuna ikna etmeye çalıştıkları görülmüştür.

Dönemin nesir yazarları istişhâd, iktibâs, istîhâ', berâat-i istihlâl ve seci' gibi üslupları kullanmışlar; cümle yapısının düzenine de önem vermişlerdir.

Dönemin nesir yazarları, Kur'ân-ı Kerîm'den çokça istişhâd yapmışlardır. Bu istişhâdlar, ayetin tamamının alıntılanması veya bir kısmının alıntılanması gibi farklı biçimlerde gelmiş; yazarlar ayetlerden lüzum gördükleri yere göre bu biçimlerden birini tercih etmişlerdir. Bunlarla birlikte hadîs-i şerîflerden ve Arap şiirinden de istişhâd yapmışlardır.

Kur'ân-ı Kerîm'den iktibas yaparken ayetin tamamını alıntılama, ayetin bir kısmını alıntılama ve farklı surelerden ayetleri alıntılama gibi yöntemleri takip ederek Kur'ân-ı Kerîm ayetlerinden iktibas yapmadaki hünerlerini göstermeyi ve ayetlerin kendi sözleriyle uyumuna işaret etmeyi amaçlamışlardır.

Çokça rastlanan bir üslup olan istîhâ' da farklı biçimlerde karşımıza çıkmaktadır. Yeri gelmiş manadan istîhâ' yapılmış, yeri gelmiş üsluptan istîhâ' yapılmıştır. Nesir yazarları başta Kur'ân-ı Kerîm

ayetleri, Hadîs-i Şerîfler ve tarihi olaylar olmak üzere çeşitli kaynaklardan istîhâ' yapmışlardır.

İstihlâle de ayrı bir önem verildiği görülmektedir. Bu bağlamda söze Kur'ân-ı Kerîm ile veya Hadîs-i Şerîf ile veya bir şiir beytiyle veya da bir atasözüyle başlanmıştır.

Araştırmamızda incelenen eserlerin çoğunun, dinleyicinin veya okuyucunun dikkatini çekecek bir musiki nağme katan seci‘ ile süslendiği görülmektedir. Buna ek olarak cümle yapısına ayrı bir önem verilmiş, bağlama göre takdîm ve te'hîr üslupları kullanılmıştır.

Hutbe, risale ve münazara olmak üzere üç nesir türü üzerinde yaptığımız araştırmanın sonucunda bu türlerin üslup düzeyleri açısından zengin olduğu görülmüştür. Fonetik düzeyde seci‘, tekrar, cinâs ve müvâzene gibi üslupların kullanıldığı; sarf düzeyinde fiillerin çeşitlendirildiği, farklı sigalar arasında geçiş yapıldığı ve böylece müştâkların çeşitlendirildiği; yapı (terkip) düzeyinde ta‘rîf, tenkîr, takdîm, te'hîr, itnâb ve îcâz üsluplarının çokça kullanıldığı; anlam (semantik) düzeyinde ise başlangıç (ibtidâ'), bitirme (hitâm) ve ta‘lîl noktalarında güzelleştirme yapıldığı görülmüştür. Bunlarla birlikte münazaralarda üslup ve hüccetler ön plana çıkarılmış, yalınlaştırma yapılmıştır. Ulaşılan tüm bu sonuçlar analitik (çözümleyici) yöntem takip edilerek elde edilmiş olup, nesrin gelişiminin incelenmesi için de tarihsel araştırma yöntemi kullanılmıştır.

Anahtar Kelimeler: Çeşitlilik, Emevi, Nesir, Siyasi, Üslup

ملخص

تقومُ دراستنا على تقصِّي النثر السِّياسي في العصر الأموي، وإظهار حركة التَّطور فيه بعد أن شَهِدَ التاريخ الإسلامي تطوراتٍ مهمَّةً أبرزها انتقال الخلافة الإسلامية إلى دمشقَ.

رافق هذا الانتقال تطوُّرٌ في الخطاب السِّياسي، حيث اعتلى المنابرَ خطباءٌ يدعون لأحزابٍ سياسيةٍ مختلفةٍ، كما رافقه ازدهارٌ في فنِّ الرسائل بعد أن اتسعت رقعة الدولة، ودخول ثقافات أخرى إلى الخلافة الوليدة، تبع ذلك تطوُّرٌ في فن التوقيعات، إضافةً إلى ازدهار فن المناظرات التي كانت تجري بين الخصوم بسبب تعدُّدِ الآراء وكثرة الأحزاب.

ومن خلال البحث وجدنا أن النثَّار استخدموا في خطبهم ورسائلهم وتوقيعاتهم ومناظراتهم أساليب بلاغيَّةٍ متعدِّدة ساعدتهم في إبراز مهاراتهم الكلامية، وتقريب وجهات نظرهم من جمهورهم.

ومن الأساليب التي استخدموها الاستشهاد والاقتباس واستيحاء الأفكار والاعتناء بالاستهلالات، إضافةً إلى السَّجعِ، والاهتمام بتراكيبهم.

فقد اعتمدوا كثيراً على القرآن الكريم والحديثِ النبوي والشعر في استشهاداتهم، وتنوَّعت أشكال هذه الاستشهادات بين أخذِ آية كاملة أو جزءٍ من آية وذلك حسب حاجتهم لهذا الاستشهاد، كذلك اعتمادهم على الحديث النبوي والشعر العربي.

كما تنوَّعت أساليبهم في الاقتباس من القرآن الكريم بين اقتباس آيةٍ كاملة أو جزءٍ من آية أو آياتٍ من سور متعددة مظهرين بذلك براعتهم في الاقتباس من آيات الذكر الحكيم ودمجه في كلامهم.

أمَّا اعتمادهم على الاستيحاء فقد كثُر في نتاجهم وتنوعت أشكاله، فمنهم من استوحى المعنى، ومنهم من استوحى الأسلوب، وقد اعتمدوا في استيحائهم على مصادر متعدِّدة أهمها القرآن الكريم والحديث الشريف والأحداث التاريخيَّةِ.

وإذا ما نظرنا إلى استهلالاتهم نجدُ أنَّهم اهتمُّوا بها كثيرا، حيث تنوَّعت بين استهلالٍ بالقرآن الكريم أو بحديثٍ نبويٍّ أو ببيتٍ من الشِّعر، أو بمثلٍ.

ونجدهم قد زيَّنوا أغلب نتاجاتهم بالسَّجْع الذي أعطاها جرْساً موسيقياً شدَّ انتباه السامع أو القارئ، إضافةً إلى اهتمامهم بالتراكيب، حيث قدَّموا وأخَّروا في كلامهم حسْبَ ما يقتضي سياق نصهم.

ومن خلال تطبيقنا للدراسة الأسلوبية على ثلاثة نماذجَ نثريةٍ (خطبة ورسالة ومناظرة)، وجدنا أنَّ هذه النماذج كانت زاخرةً بالمستويات الأسلوبية، ففي المستوى الصوتي نجد استخدامهم للسَّجْع والتَّكرار والجِناس والموازنة، وفي المستوى الصَّرفي نجد تنويعهم في الأفعال وانتقالهم من صيغةٍ إلى أخرى بطريقة سهلة وكذلك تنويعهم في المشتقات.

وإذا ما انتقلنا إلى المستوى التَّركيبي نجد تنويعهم للأساليب من تعريفٍ وتنكيرٍ وتقديمٍ وتأخيرٍ وإطنابٍ وإيجاز.

وفي المستوى الدِّلالي نجدهم أحسنوا ابتداءَهم وختامهم وتعليلهم، إضافةً إلى بروز الحِجَاجِ وأساليبه ومخففاته في المناظرة.

كل هذه الاستنتاجات كانت من خلال اعتمادنا على المنهج التحليلي في دراستنا، والمنهج التَّاريخي في رصدِ تطوُّرِ النَّثر.

الكلمات المفتاحيَّة: تنوُّع، أموي، النثر، السياسي، أسلوب

Abstract

This research focuses on the study of political prose in the Umayyad Pieriod and the progress made in this genre after important developments that marked Islamic history, such as the relocation of the caliphate to Damascus.Indeed the relocation of the caliphate to Damascus brought a rise in political discourse with it. So much so that the orators who ascended the pulpits called the people to different political sides. However, with the expansion of the country's borders and the incorporation of new different cultures into the newly born Caliphate state, the art of Tarassul(correspondence) has also made progress. Due to the multiplicity of political sides and the existence of different opinionsi, there have been developments in the art of disputation as a result of the debates between people who are opposite to each orther.

As a result of the research, it has been seen that prose writers use rhetoric styles that help them to highlight their speaking skills in the khutbahs, letters and discussions, and in this way they try to convince the audience that their standpoins are correct.

The prose wiriters of the period used styles such as Istishhad, ikhtibas/citation) istiha', baraat-ul istihlal and saj' ; They also elaborate the order of sentence structure.

The prose writers of the period made many istishads(exemplifies) from the Qur'an. These istishhads come in different forms such as quoting the whole verse or quoting a part of it; The authors preferred one of these forms according to the place they deem necessary from the verses. Along with these, they also made istişhâd (exemplifies) from hadîth-i-sherîfs and Arabic poetry.

When quoting from the Quran, they followed methods such as quoting the whole verse, quoting a part of the verse, and quoting verses from different surahs and they aimed to show their skills in quoting the verses of the Qur'an and to point out the harmony of the verses with their own words.

Istiha, which is a very common style, also appears in different forms. At some points, istîhâ' was made from the meaning, and sometimes istîhâ' was made from the style. Prose writers have made

istîhâ' from various sources, especially the verses of the Qur'an, hadiths and historical events.

It is seen that a special importance is given to İstihlâl. In this context, the word began with the Qur'an or Hadith, or with a couplet of poetry or a proverb.

It is seen that most of the works examined in our research are decorated with a 'saji', which adds a musical tune that will attract the attention of the listener or the reader. In addition, a special importance was given to the sentence structure, and the styles of presentation(takdhim) and ta'hir were used according to the context.

As a result of our research on three types of prose, namely sermon, treatise and debate, it has been seen that these types are rich in terms of style levels. At the phonetic level, styles such as saji', repetitions, jinas and muvâzanah are used; It has been seen that verbs are diversified at the level of consumption, transitions are made between different Sighas, and thus derivatives are diversified. It has been seen that the styles of ta'rîf, tenkîr, takhdîm, ta'hir, itnâb and îjâz are widely used at the structure (composition) level. At the meaning (semantic) level, it has been seen that beautification is made at the beginning (ibtidâ'), finishing (hitâm) and ta'lîl points. In addition to these, the style and hujjat in the debates were brought to the fore and simplification was made.

All these results were obtained by following the analytical method, and the historical research method was used to examine the development of prose.

Keywords: Diversity, Umayyad, Prose, Political, Style

ARŞİV KAYIT BİLGİLERİ

Tezin Adı	EMEVİ ASRINDA SİYASİ NESİRLERDE ÜSLUP ÇEŞİTLİLİĞİ
Tezin Yazarı	MUSTAFA ALMAVAS
Tezin Danışman	Doç. Dr. Aladdin GÜLTEKİN
Tezin Derecesi	Doktora
Tezin Tarihi	2021
Tezin Alanı	Temel İslam Bilimleri
Tezin Yeri	KBÜ/LEE
Tezin Sayfa Sayısı	289
Anahtar Kelimeleri	Çeşitlilik, Emevi, Nesir, Siyasi, Üslup

معلومات سجل الأرشيف

عنوان الرسالة	تنوُّع الأساليب في النثر السياسي الأموي
اسم الباحث	مصطفى المواس
اسم المشرف	الأستاذ الدكتور علاء الدين جولتكين
المرحلة الدراسية	دكتوراه
تاريخ الرسالة	٢٠٢١
تخصص الرسالة	العلوم الأسلامية
مكان الرسالة	جامعة كاربوك
عدد صفحات الرسالة	٢٨٩
الكلمات المفتاحية	تنوُّع، أموي، النثر، السياسي، أسلوب

ARCHIVE RECORD INFORMATION

Name Of The Thesis	Stylistic diversity in political prose the Umayyad centry
Author of the Thesis	MUSTAFA ALMAVAS
Advisor of the Thesis	Doç. Dr. Aladdin GÜLTEKİN
Status of the Thesis	Doctorate
Date of the Thesis	2021
Field of the Thesis	BASIC ISLAMIC SCIENCE
Place of the Thesis	KBÜ/LEE
Total Page Number	289
Keywords	Diversity, Umayyad, Prose, Political, Style

الاختصارات

الاختصار (م): معناه: ميلادي

الاختصار (هـ): معناه: هجري

الاختصار (د.ت): معناه: دون تاريخ

الاختصار (تح): معناه: تحقيق

الاختصار (د.ب): معناه: دون بلد النشر

الاختصار (ت): معناه: تاريخ الوفاة

الاختصار (ص): معناه: رقم الصفحة

الاختصار (ج): معناه: رقم الجزء

موضوع البحث

يعالج البحث تنوُّع الأساليب في النثر السياسي الأموي، وهو عبارة عن دراسة قمت بتطبيقها على مجموعة من الخطب السياسية، والرسائل الفنية، والمناظرات والتوقيعات، وحاولت من خلال هذه النصوص إبراز جماليات الأساليب في هذه النصوص.

أهداف البحث وأهميته

يهدف البحث إلى إبراز اهم الأساليب التي اعتمد عليها النُّثَّار في العصر الأموي، وتأتي أهمية البحث من كونه من الأبحاث القليلة التي قامت بتطبيق عملي على نصوص نثرية من خطابة ورسائل وتوقيعات ومناظرات، استخرجت من خلال هذا التطبيق جماليات هذه الأساليب، وبيَّنت كيفية اعتماد النثار عليها.

منهج البحث

اعتمدتُ في بحثي على المنهج التحليلي الذي يساعد على إبراز القيم الجمالية في النصوص من خلال تحليلها، كما اعتمدتُ على المنهج التاريخي واستفدت منه في تتبع النصوص، وتطور حركة النثر في العصر الأموي.

مشكلة البحث

تكمن مشكلة البحث في قلة الدراسات التي تناولت دراسة النثر السياسي في العصر الأموي، حيث كان الدارسون يتجهون إلى دراسة الأساليب في العصر العباسي، وذلك لغزارة نتاجه واكتمال

عناصره، أمَّا العصر الأموي فنجد دراساتٍ متفرّقةً لبعض عناصر نثره، لذلك أردت أن أقوم بدراسة لمجمل النثر الفني السياسي في العصر الأموي.

حدود البحث ونطاقه والمشكلات التي واجهت الباحث

الحد الزماني للبحث ينحصر في عصر الخلافة الأموية.

وحدود الموضوعات تنحصر في الخطب والرسائل الفنية والتوقيعات والمناظرات.

وعينة البحث تنحصر في الأساليب الجمالية لهذه الموضوعات.

وأهم المشاكل التي واجهتني قلة المراجع التي تخدم بحثي.

مقدمة

تقوم دراستنا الموسومة بعنوان (تنوُّع الأساليب في النثر السِّياسي الأموي) على تتبُّع النثر الفني في العصر الأموي؛ نتتبَّع من خلالها الخطابة والرسائل الفنِّية والتوقيعات والمناظرات لهذه المرحلة التاريخية المهمَّة، إضافة إلى رصد الأسباب التي أدَّت إلى تطوُّر هذه الفنون، كما تقوم هذه الدراسة بالوقوف عند الأساليب البلاغية وجمالياتها إضافة إلى المظاهر الأسلوبيَّة في هذه الفنون.

وقد قُسِّمت الدِّراسة إلى ثلاثة فصولٍ ومقدمة وخاتمة.

سأدرس في الفصل الأول الخطابة في العصر الأموي، وأهم التغييرات التي حدثت على هذا الفنِّ بعد أن كانت منبراً يدعو إلى الدِّين القويم والهدوء والسَّكينةِ، كما سأدرس أهم الدواعي التي أدَّت إلى نهوض الخطابة، وأثر الخلافات والفتن التي اشتدَّ أُوارها في هذا العصر، وانقسام الناس فِرقاً وأحزاباً، كما سأتطرَّق إلى أهم أعلام الخطابة من خلفاءٍ وأمراءٍ وقادةٍ، إضافةً إلى خطباء الفرق الدينية الذين كانوا يدعون لفرقهم، ثم سأبيّنُ أهمَّ السِّمات العامة والخصائص الفنية للخطابة السياسية.

أما في الرسائل الفنية فسأبحث في نشأتها والأسباب التي دَعَت إلى تطور هذا الفن، كما سأقوم بالتفريقِ بين أنواع الرسائل في العصر الأموي من سياسيةٍ إلى اجتماعيةٍ إلى دينيةٍ إلى أن أصل إلى الرسائل الفنية التي تعتبر أرقى هذه الأنواع، وسأبيّنُ أهم سمات هذا الفنِّ، كما سأدرس أسلوب الكُتّاب، وتأثرهم بالثقافات الأجنبية، وسأتحدَّثُ عن أهم أعلام الكتابة، كما سأبحث في تطور فنِّ التوقيعات، وأهم سمات التوقيعات في العصر الأموي، وتأثر هذا الفن بالثقافات الأخرى.

أمَّا في المناظرة فسأبحثُ فَنَّ المناظرة من وجهة نظر تاريخية من خلال نشأتها في التراث العربي، وبعد ذلك سأقوم بتتبُّع أهم المناظرات في العصر الأموي، وسأشير إلى الأسباب التي كانت وراء ظهور هذه المناظرات، كما سأبحث أهم الخصائص الفنية والجمالية لهذا الأسلوب الفني الجديد،

كما سأتطرَّق لدراسة خصائصها من حيث المنهج وطريقة المتناظرين وأهم الخصائص التي اعتمدوا عليها في مناظراتهم، وسأدرسُ أيضاً بعض خصائص المناظرة عند أصحاب الفرق الدينية على قلتها.

أما الفصل الثاني فسأقف عند جماليات الأسلوب في النَّثر السياسي (الخطابة والرسائل الفنية والمناظرة).

كما سأدرس اعتماد الخطباء والكُتّاب والمناظرين على القرآن الكريم والحديث الشريف، والشِّعر العربي، ونُحدِّدُ الطريقة التي تعاملوا بها مع هذه المصادر في خطبهم ورسائلهم ومناظراتهم، فقد تعددت صور تأثرهم بالقرآن الكريم والحديث من الاستشهاد إلى الاقتباس، إلى الإشارة والتلميح، إلى استيحاء المعاني.

ومن خلال التعريف اللغوي والاصطلاحي سأقوم بدراسة هذه الظواهر مفرِّقاً بين الاقتباس والاستشهاد والاستيحاء لما بين هذه المصطلحات من تقارب واختلاف، مبيِّناً من خلال الدراسة استفادة الخطباء والكتاب والمتناظرين وأصحاب التوقيعات من هذه الفنون البلاغية.

ثم سأدرسُ جوانب جمالية أخرى كالاستهلال في الخطابة والرسائل، وطرق استهلالهم، وأثر هذه الاستهلالات على السامع أو القارئ.

كما سأقوم بدراسة السجع في فنونهم النَّثرية، وأوضِّحُ تطور السجع في العصر الأموي، وأقوم بتطبيق هذا الفن على نماذج من الخطب والرسائل والمناظرات والتوقيعات.

أمَّا في الفصل الثالث، فسأدرسُ نصوصاً نثريةً لها طابعٌ خاصٌّ، حيثُ سأدرسُ خطبة للكميت بن زيد الأسدي، مبرزاً أهم الملامح الجمالية في هذه الخطبة، وأبيِّنُ المستويات الأسلوبية في هذه الخطبة من مستويات صوتية إلى دلالية إلى صرفية، إلى تركيبية، وقمت باختيار هذه الخطبة

لغناها بالأساليب البلاغية والمستويات الأسلوبية، إضافةً لكون الكميت كان شاعراً معارضا للدولة الأموية وداعيا للخلافة الهاشمية.

كذلك سأدرسُ مناظرة بين عمر بن عبد العزيز والخوارج حول أحقيَّة بني أمية في الخلافة وموقفهم من مقتل عثمان بن عفان رضي الله عنه. وسأقوم بدراسة أهم الأساليب الفنية في هذه المناظرة، وقمتُ باختيار هذه المناظرة لاعتمادها على أسلوب الحجاج بالدرجة الأولى، وكذلك لغناها بالأساليب البلاغية.

كما سأدرس رسالةً لعبد الحميد الكاتب، تحت عنوان: (وصية للكتَّاب)، ومن خلال هذه الرسالة سأبيِّن أهم الخصائص الفنية للرسائل الفنية والتطوُّر الذي حصل على هذا الفن، وعملية الانتقال من الرسائل الديوانية ذات الطابع العام إلى الرسائل التي تحملُ مستوياتٍ فنيةً، كما سأبيِّن أثر الثقافة الأجنبية بتطُّورِ هذا الفن، وتمَّ اختيار هذه الرسالة لأنها تعتبر من أنضج الرسائل الفنية في العصر الأموي، إضافة إلى تكامل عناصرها، مع علمنا بأنها دُرست كثيرا، ولكني لم أجد دراسة تهتم بالجانب الأسلوبي.

وتأتي الخاتمة لتلخِّصَ النتائج التي انتهت إليها الدراسة.

ومن الصعوبات التي واجهتنا أثناء البحث، صعوبة الحصول على مراجع قريبة من عنوان بحثنا، إضافة إلى قلِّة الدراسات التي تناولت الأساليب النثرية في العصر الأموي.

وفي النهاية أودُّ أن أشكر كلَّ من ساهم في إغناء هذا البحث، من إرشادٍ إلى تحكيم وتصويب، إلى إضافةٍ، إلى قراءة متأنيةٍ، وأخصُّ بالذكر أستاذي الدُّكتور علاء الدِّين جولتكين، الذي كان له الفضل في توجيهي وإرشادي إلى الصواب، كما تحمَّل عناء قراءة هذا البحث والإرشاد

في تصويب الخلل، كما أشكر لجنة الحكم التي تحمَّلت عناء قراءة البحث، وأخص بالذكر الأستاذ الدكتور سعيد أويلاشٍ الذي كان له الفضل في إرشادي إلى سدِّ بعض الثغرات في بحثي، كما أشكر الأستاذ الدكتور محمد نادر علي الذي أرشدني ودَّلني على الكثير من أخطائي، وكان له الفضل في توجيهي ونصحي، وأشكر الأستاذ الدكتور عبد الهادي تيمورتاش، الذي كان له الفضل في قراءة بحثي قراءة متأنيَّة، ونصحني بإضافة مواضيع مكمِّلة للبحث، وأتقدَّم بالشكر الجزيل للأستاذ الدكتور سهل ديرشوي الذي كان له جميل الأثر في قراءة بحثي قراءة متأنية، والمرور على المسائل البلاغية والأكاديمية ونصحي بتصويبها بدقة وإتقان. ولا يفوتني أن أتقدَّم بالشكر للأستاذ الدكتور رمضان كازان الذي أشرف على بحثي في بدايته.

التمهيد

عُرِفَ العربُ منذ القِدم بأنّهم أهلُ لغةٍ، تميَّزت بفصاحة اللفظ وبلاغة القول، وجاء القرآن الكريم إعجازاً من جنس هذا التميّز، ممّا زاد من قيمة اللغة العربيّة وأثراها لفظاً ومعنىً.

وقد انقسم المنجز اللغويّ العربيّ منذ العصر الجاهليّ قسمين؛ هما الشِّعر والنَّثر، غير أنّ اعتداد العرب واهتمامهم بالشِّعر كان أكثر من اهتمامهم بالنَّثر، ولم يقتصر ذلك على القول فحسب، بل تعدّاه إلى النقد، فقد أجمع الدارسون على أنّ "من يتصفّح أهمّ كتب النقد والبلاغة العربيّة يُفَجأ بظاهرة غريبة هي قلّة عناية النقّاد القدامى بالنَّثر" [1].

ومن يُلقي نظرةً على كتب الاختيارات يجدها زاخرةً بما أنتجه العرب من شعرٍ ونثر.

وقد بيَّنَ النقادُ والدارسون ما طرأ على النتاج الأدبي من تغيير وتطوُّرٍ، وربطوا هذه التغييرات بالحياة الاجتماعية والأحداث السياسية التي مرَّت بها تلك المنطقة.

وإذا ألقينا نظرةً على تلك الأحداث نجد أنَّ أهمها هو انتقال العرب إلى حياة جديدة بعد انتقال السلطة السياسية إلى دمشقَ بعد الخلافة الراشدة التي اتسمت بالهدوء وركود الحياة الأدبية، حيث التزم الشُّعراء والنُّثار آداب الدين الحنيف الذي نزل على جزيرة العرب، فَعَفَّ الغزلُ وتَهَذَّبت الأقوال، وقلَّ الإقذاع في الهجاء.

انتقل بعدها العربُ إلى عصرِ التنازع والترف والهجاء، حيث عاد الشعراء إلى الغزلِ والتَّشبُّب بالنِّساء، إضافةً إلى الاضطرابات السياسية التي حلَّت بالدولة الإسلامية بعد استشهاد الخليفة الراشدي عثمان بن عفان رضي الله عنه، وانتقال الخلافة إلى دمشق.

ظهرَ النَّثر موازياً للشِّعر في هذه الفترة، حيثُ اعتلى الخطباء المنابرَ، وأصبح المنبرُ أحدَ أهمِّ

---

١ – البشير المجذوب، **حول مفهوم النَّثر الفنّيّ عند العرب القدامى**، (الدار العربيّة للكتاب، تونس ١٩٨٢ م)، ٩.

وسائل الإعلام التي تدعو إلى الدولة الوليدة، وأصبحت الأحزاب السياسية تُولى الخطابةَ اهتماماً خاصاً، فظهر في هذه الفترة خطباءٌ مفوهون لكل حزب سياسي.

كذلك المراسلات التي بدأت ديوانيةً لاتساع حدود الدولة وحاجتها للكُتَّاب الذين ينقلون الأوامر بين الخليفة وقوَّادِه وولاتِه، ثم انتقلت بعد ذلك إلى رسائل فنِّية في نهاية العصر الأموي، وكان لهذا الفن اهتمامٌ خاصٌ، حيث انتشرت المراسلات بين الخلفاء وقواد جيوشهم وولاتهم، ومن يقرأ تلك الرسائل يجد إيلاءَهم هذا الفن اهتماماً ظهر فيه الصَّنعة وجمال الأسلوب، وكان القائمون عليه من فصحاءِ الكتاب وبلغائهم، إضافةً إلى التوقيعات التي بدأت تنتشر بين الخلفاء والقادة.

كما كان للمناظرات التي رافقت التعصب القبلي والفرق الدينية التي بدأت تظهر تِباعاً مع الاختلافات الفقهية والفكرية في فهم الدِّين وتفسيره، إضافة إلى الاختلافات التي ظهرت بين الصحابة أنفسهم في قضايا شائكة، كقضية استشهاد الخليفة الراشدي عثمان بن عفان رضي الله عنه، أو قضية قبول علي- رضي الله عنه- بالتحكيم في موقعة صفين، أو قضية خروج عائشة- رضي الله عنها- لملاقاة علي- رضي الله عنه- في موقعة الجمل.

هذه العناصر (الخطابة والرسائل الفنيةٍ والتوقيعات والمناظرة) ستكون مجال دراستنا من الناحية الجمالية والفنية والأسلوبية تحت عنوان:(تنوُّع الأساليب في النَّثر السياسي الأُموي).

وتكمن أهمية البحث في أنَّه من الأبحاث المكمِّلة للأبحاث التي تناولت دراسة الظواهر البلاغية في النثر السياسي في العصر الأموي؛ إذْ قمنا بدراسة ظواهر بلاغية واستخرجنا أمثلة لها من أغلب النصوص النثرية وهذه الظواهر لم نجد دراسةً مماثلةً لها في الدراسات السابقة، والأهمية الأخرى للبحث تكمن في تطبيق المنهج الأسلوبي على ثلاثة قطع نثرية ودراستها دراسة تحليلية مفصَّلة أظهرنا من خلالها جماليات الأسلوب في النثر السياسي الأموي.

ويمكن أن نجمل المسوّغات التي جعلتنا نختار هذا العنوان بثلاث نقاط أساسية:

– الأولى تكمن في قلّة اهتمام النُّقاد والدَّارسين بالنثر الفني في العصر الأموي مقارنة باهتمامهم بالشعر والنثر العباسي، حيث كانوا يُعرِضون عن دراسته ويتَّجهون لدراسة الشِّعر، والسبب حسب رأي الدكتور زكي مبارك هو "غزارة المادة الشّعرية، وعدم وجود تعريفٍ واضحٍ للنثر الفني، وكذلك اعتبار النثر مادة يعتمد عليها البلاغيون في دراساتهم"[٢]، إضافة إلى غزارة المنجز النثري العباسي، وتوفُّر مادته.

– والثَّانية: رغبتنا في تطبيق مجموعة من الدراسات البلاغية والأسلوبية على مجموعةٍ من نصوص النثر الأموي، واستخراج ما في هذه النصوص من أساليب جمالية.

– أمَّا الثَّالثة: تكمن في الدراسات الأسلوبية التي غالباً ما يطبقها الدارسون على الشعر ويهملون النثر وذلك لصعوبة تتبُّع عناصرها في النثر وسهولتها في الشعر، وقد حاولنا من خلال بحثنا إبراز الملامح الأسلوبية في هذه الفنون.

إشكالية البحث وأهدافه:

يوجد العديد من الدراسات التي تناولت النَّثر الفنّيّ الأدبي القديم، غير أنّنا لم نجد دراسة أُفردت للنَّثر الفنّي في العصر الأمويّ، وإن وُجِدَ منها ما يختصّ بهذا العصر فإنّه اقتصر على نوع واحد من أنواعه، كأن يدرس الباحث الخطابة في العصر الأموي، فيبحث في فنونها ونشأتها وأسباب تطورها مثلاً.

أمّا بالنسبة إلى فنّ الرّسائل فقد وجدنا من خلال بحثنا أنّ جميع النقّاد الذين أفردوا لهذا الفنّ دراساتٍ خاصّةً قصروها على العصر العبّاسيّ، حيث وجدوا فيه مادّة وفيرة وناضجة من فنون النَّثر

[٢] – زكي مبارك، **النثر الفني في القرن الرابع الهجر**، (دار الكتاب العربي، القاهرة، ،د.ت) ، ١٧.

الفنّيّ مجتمعة وأهملوا مرحلة التأسيس التي انطلقت مع بدايات العصر الأمويّ حيث بدأ فنّ الرسائل على يد عبد الحميد الكاتب(١٣٢هـ) في نهاية هذا العصر

أمّا عن المناظرة فقد وجدنا من خلال دراستنا أنّ الدَّارسين أهملوها بشكل شبه تامّ وأشاروا إليها إشاراتٍ عابرةً من دون أن يخصّص أحد منهم دراسة مستقلّة لها، وكلّ ما قدّموه عنها قدّموه على أنّها فنّ من فنون الحِجاج دون إبراز جماليّاتها الفنّيّة باستثناء بحث أثبتناه في الدراسات السابقة لمحمد الدوابشة.

وتجيب هذه الدراسة عن مجموعة من الأسئلة من أهمّها:

١- ما أسباب تطوّر النَّثر الفنّيّ في العصر الأمويّ؟

٢- أين تكمن جماليّات النَّثر الفنّيّ في العصر الأمويّ؟

٣- ماهي أبرز السمات الجماليّة للنَّثر الفنّيّ في العصر الأمويّ؟

٤- مَن هم أبرز الأعلام الذين أدَّوا دوراً مهمّاً في تطوّر النَّثر الفنّيّ في العصر الأمويّ؟

وقد اعتمدنا للإجابة عن هذه الأسئلة على المنهج التحليليّ حيناً، والمنهج التاريخيّ حيناً آخر، حيث قمنا بتسليط الضوء على القيم الجماليّة في النصوص المستهدفة، كما قمنا بتتبّع تطوّر هذه الفنون خلال مئة سنة من الصراع بين بني أميّة وخصومهم.

- **أهم الدراسات السابقة:**

- **في النَّثر الفني:**

- **النَّثر العربي القديم، بحث في النشأة وأنظمة البناء، الدكتور عبد الله إبراهيم، منشورات جامعة السابع من أبريل، ليبيا، الطبعة الأولى١٤٢٥هـ.**

عدد صفحات الكتاب٣١١ صفحة، قسَّمه المؤلف إلى ثلاثة أبواب ومقدمة وخاتمة، تحدَّث في المقدمة عن القصص وموقف الإسلام منه، ثم تحدَّث في الباب الأول عن النَّثر الخرافي ويقصد بذلك بناء القصة في العصر الجاهلي، ثم تحدَّث عن البنية السردية للحكايات، ثم تحدَّث عن تراجم الأشخاص والسيرة النبوية والسيرة الذاتية للأشخاص والسيرة الشعبية ثم تحدَّث عن تأصيل النَّثر في التراث العربي وفنونها مثل الحكاية والقصة والسيرة والمناظرة والخطابة والمقامة ثم انتقل في الباب الثالث للحديث عن بنية الاستهلال السردي والرواة ثم ختم كتابه بخاتمة بيَّن من خلالها تأصيل الفن النَّثري في التراث العربي.

- **الأساليب الأدبية في النَّثر العربي القديم من عصر علي بن أبي طالب إلى عصر ابن خلدون، إعداد وتصنيف الدكتور كمال اليازجي. دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٦.**

عدد صفحات الكتاب ٢٢٠ صفحة قسمه المؤلِّف إلى ثلاثة أبواب وكلُّ بابٍ مقسَّم إلى عدة فصول تحدَّث فيه عن الأساليب النَّثرية من العصر الجاهلي حتى عصر ابن خلدون، وما يهمنا من هذه الدراسة الفصل الثالث من الباب الأول الذي يتحدَّث فيه عن العصر الأموي تحت عنوان: عهد الأمويين، تحدَّث فيه عن انتقال الخلافة إلى بيت بني أمية وأدب الأمويين من شعر ونثر، ثم ينتقل إلى

الأساليب الأدبية حيث يتحدَّث المؤلف عن الخطابة والمناظرة والمقامة والقصة والرسائل الفنية، ويقوم بدراسات مبسَّطة عن السجع وخصائصه وأغراضه ويبيّن ذلك من خلال خطبة البتراء لزياد بن أبيه، ثم يتحدَّث عن الأسلوب المطلق وخصائصه البارزة ويطبق ذلك على خطبة للحسن البصري، ثم ينتقل إلى الأسلوب المتوازن ويبيّن هذا الأسلوب من خلال رسالة عبد الحميد الكاتب. وقد استفدنا منه من خلال الأسلوب الذي اتبعه المؤلف وتطبيق الأساليب الفنية على خطبه ورسائله وهذا موضوع دراستنا، أما ما يؤخذ على هذه الدراسة فهي اقتصار المؤلف على ثلاثة أساليب جمالية فقط وهي السجع وأسلوب المتوازن[٣] والأسلوب المطلق[٤].

- **في الخطابة:**

- **الخطابة السياسية في عصر بني أمية للدكتور إحسان النَّص دار الشرق، دمشق، بلا تاريخ.**

عدد الصفحات ٢٧٠ صفحة، والكتاب مقسَّم إلى أربعة أقسام تحدَّث المؤلِّف في القسم الأول عن العوامل المؤثرة في الخطابة السياسية في العصر الأموي من أحداث سياسية إلى مؤثرات دينية ومؤثرات اجتماعية. أما القسم الثاني فتحدَّث فيه المؤلف عن الخطابة السياسية في العصر الأموي حيث بيَّنَ المؤلف موضوعات الخطابة وخصائصها وقسمها إلى خطب سياسية ومناظرات سياسية ومشاورات سياسية وخطب حربية ثم انتقل إلى الخصائص الفنية لهذه الفنون حيث قدَّم نماذجَ من الخطب ودرس

٣ – الأسلوب المتوازن هو تساوي الفاصلتين في الوزن، حيثُ تتعادل فيه الألفاظ وهو يشبه السجع في تعادل الفقرات ينظر: الحصري، **زهرة الآداب**، تحقيق: علي البجاوي، (دار إحياء التراث العربية، القاهرة، ١٩٥٣م)، ٢/ ٧٨٥.

٤ – الأسلوب المطلق هو إطلاق الكلام وإرساله من غير تسجيعٍ. ينظر: ابن خلدون، **المقدِّمة**، ج٢ ص٢٧٠.

فيها بعض الخصائص الفنية مثل السجع والأسلوب العاطفي وأسلوب التمثيل والموازنة والأسلوب التصويري في هذه الفنون. أمّا القسم الثالث من هذا الكتاب فقد تحدَّث فيه المؤلف عن أهم أعلام الخطابة السياسية في العصر الأموي وقد قدمهم حسب انتمائهم السياسي وقدَّم نماذجَ من خطبهم دون التطرُّق للقضايا الفنية في هذه الخطب، أما القسم الرابع من الكتاب فقد أفرده المؤلِّف لنماذج من الخطب السياسية وقد درسها دراسة سطحية غير معمَّقة مبرزا فيها أهم الظواهر الفنيَّة.

وقد استفدنا من هذا الكتاب استفادة قليلة وذلك لأن دراستنا تتقاطع مع هذا الكتاب فقط من ناحية الخطابة. وممَّا يؤخذ على هذا الكتاب تركيز المؤلف على نواحي بلاغية قليلة خلال دراسته للظواهر الفنيَّة في الخطابة مثل أسلوب السجع والتصوير الفني والأسلوب العاطفي، دون تركيزه على جماليات الأسلوب مثل الاستشهاد والاقتباس والاستيحاء وما إلى ذلك من فنون.

- **فنُّ الخطابة وتطوُّرُه عند العرب، إيليا حاوي، دار الثقافة، بيروت، بلا تاريخ.**

عدد صفحات الكتاب ٥٠٣ صفحات، وهو عبارة عن عناوين دون أبواب أو فصول، اعتمد فيه على المنهج التاريخي في تسلسل فن الخطابة العربية، بدأه بمدخل عن معنى الخطابة ثم انتقل إلى الخطابة وتطورها في العصر الجاهلي فالإسلامي فالأموي والعباسي حتى العصر الحديث. وأهم ما يميز الكتاب أن المؤلف وقف عند أهم الخطب في هذه العصور وقدَّم لمحة عن جماليات هذه الخطب، وما يهمنا من هذا الكتاب أنه قام بدراسة خطب من العصر الأموي مثل خُطَبِ معاوية بن أبي سفيان والحسن البصري والحجاج بن يوسف الثقفي، وزياد بن أبيه، بيَّن من خلال هذه الدراسات الخصائص الفنية لهذه الخطب إضافة إلى شرحها شرحا مفصَّلا.

- **في المناظرة:**

- **المناظرات في الأدب الأموي، محمد دوابشة، مجلة مجمع اللغة العربية، فلسطين، العدد٢ عام ٢٠١٧م، من صفحة ٢١٣-٢٤٨.**

بَحثٌ تحدَّث فيه المؤلف عن المناظرة في العصر الأموي، وقد عرَّف من خلاله المناظرة لغة واصطلاحاً، كما تحدَّث عن تاريخ المناظرة في التراث العربي، وقد قسَّمها إلى مناظرة دينية وسياسية وأدبية وقبليَّة، والفرق بين دراسة محمد الدوابشة والدراسة التي نقوم بها أنَّه تحدَّث عن المناظرة بشقيها الشِّعري والنَّثري، وكانت دراسته تاريخية فقط لم يتطرق فيها للجوانب الجمالية والفنيَّة، مع ظننا أن هذه الدراسة من أوسع الدراسات التي تطرقت لفن المناظرة في العصر الأموي.

- **المناظرة في الأدب العربي إلى نهاية القرن الرابع الهجري، أحمد أمين مصطفى، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٨٤.**

تناول المؤلف من خلال كتابه فن المناظرة من حيث النشأة والأسلوب والتعريفات، كما تناول ثقافة الشخص المناظر وأساليبه والخصائص التي يجب أن تتوفر فيه، كما قسَّم المناظرة إلى سياسية ودينية ولغوية وأدبية. وممَّا يؤخذ على هذه الدراسة أنه وضع مناظرات على لسان الحيوان والجن وإبليس.

- ال**مناظرات الأدبية واللغوية في الحضارة الإسلامية، رحيِّم جبر أحمد الحسناوي، دار أسامة، عمان، ط١، ١٩٩٩.**

جَمَعَ المؤلف في هذا الكتاب المناظرات اللغوية والأدبية والدينية، وعلَّق عليها حسب أهميتها، وكذلك جمع المناظرات على لسان الحيوان، ويُعتبر هذا الكتاب من أهم الكتب التي جمعت المناظرات في كتاب واحد، ومما يؤخذ عليه عدم إنصافه عندما يعلق على المناظرات؛ إذ إنه كان ينحاز للمذهب الشيعي.

- **في فنِّ الرسائل:**

فنُّ الرسائل هو تبادل الرسائل بين الأشخاص، وكذلك تطلق هذه الكلمة على كُتَّاب الدواوين وككُتَّاب الخلفاء أو الولاة في دولة الخلافة[٥].

- **الترسُّل في الأدب العربي، محمود المقداد، مجلة البيان الكويتية، العدد٣٦٢، ٢٠٠٠م.**

مقال في مجلة البيان الكويتية، من الصفحة ٣٠ إلى الصفحة ٤٥، عرَّف فيه الباحث فنَّ الرسائل، كما تحدَّث عن تاريخ هذا الفن في التراث العربي، والكتب التي أُلِّفت في هذا الفن منذ القِدَمِ، كما تحدَّث عن تاريخ إنشاء الدواوين وأشكال الرسائل حيث قسَّمها إلى رسائل ديوانية وسياسية وإخوانية وأدبية، ولم يتحدث الباحث في هذا البحث عن الخصائص الفنيَّة والأدبية لهذه الرسائل مما جعل إفادتنا من هذا البحث قليلةً.

٥ – إسحاق بن إبراهيم بن سليمان ابن وهب، **البرهان في وجوه البيان**، (تحقيق أحمد مطلوب، خديجة الحديثي، ١٩٦٧ م)، ص١٩١.

- **الترسُّل السياسي في العصر العباسي الأول، قحطان صالح الفلاح، مجلة جذور، العدد ٢٣-٢٠٠٦ قطر.**

بحث في مجلة جذور القطرية من صفحة ٣٢ حتى صفحة ٨٥، عرَّف فيه الباحث فن الرسائل الفنية، وتحدَّث فيه عن أنواع الرسائل منذ العصر الجاهلي حتى العصر العباسي الأول، ثم انتقل إلى موضوعات الرسائل وأسباب تطور هذا الفن، واعتبر أن الصراع بين بني أمية والعباسيين كان له أثرٌ كبيرٌ في تطور هذا الفن، ثم انتقل إلى الرسائل في العصر العباسي الأول، ولم يدرس خصائص الرسائل وجماليتها مما جعل الفائدة قليلة في بحثنا هذا.

الفصل الأول: النَّثر الفنيُّ في العصرِ الأُمويّ

المبحث الأول: الدولة الأُموية (١٣٢-٤١هـ ٦٦١-٧٥٠م)

يعودُ نَسَبُ الخلافة الأموية إلى أُمية بن عبد شمس من قبيلة قريش.

وقد تأسَّستِ الخلافة الأُموية إثْرَ النزاعِ الذي قامَ بين معاوية بن أبي سفيان وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهما، وذلك بسبب قضيةِ استشهاد الخليفة الراشدي عثمان بن عفان رضي الله عنه.

أدَّى الخلاف بين علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان- رضي الله عنهما- إلى حرب في موقعة صفين حيثُ رفع فيها جيش معاوية المصاحف على رؤوس الأسنة وطلب التحكيم، " فحكَّمَ عليٌّ- رضي الله عنه- أبا موسى الأشعري، وحكَّم معاوية-رضي الله عنه- عمرو بن العاص، وكتبوا بينهم كتاباً على أن يُوافوا رأس الحول بأذرح[٦]، وينظروا في أمر الأمة"[٧].

ولكنَّ مقتل الخليفة الراشدي علي- رضي الله عنه- من قبل الخوارج حال دون ذلك، فبايع أهلُ العراق الحسن بن علي رضي الله عنه، وبايع أهل الشام معاوية، " ثم ركب الحسن في جنود العراق على غير إرادة منه، وركب معاوية في أهل الشام، فلمَّا تواجه الجيشان سعى الناس بينهما في الصلح، فانتهى الحال إلى أن خلع الحسن نفسه من الخلافة، وكان ذلك سنة إحدى وأربعين، الذي سمِّي بعام الجماعة"[٨].

وبذلك تأسست الخلافة الأموية التي دام حكمها واحداً وتسعين عاماً هجريًّا، تولَّى خلالها أربعة عشر خليفةً أشهرهم معاوية بن أبي سفيان وعبد الملك بن مروان والوليد بن عبد الملك وسليمان بن عبد

---

[٦] - قرية جنوب عمَّان.

[٧] - جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، **تاريخ الخلفاء**، (دار ابن حزم، بيروت، ٢٠٠٣) ، ص١٤٠ .

[٨] - عماد الدِّين إسماعيل بن عمربن كثير، **البداية والنهاية**، (اعتنى به حنَّان عبد المنَّان، بيت الأفكار الدولية، الرياض، ٢٠٠٤م) ، ١٢٠٢ .

الملك وعمر بن عبد العزيز وهشام بن عبد الملك، ومروان بن محمد "الذي دامت خلافته خمس سنين، وهو آخر خلفاء بني أميَّة، به انقضت دولتهم"[٩].

أمَّا السياسة التي اتبعها الأمويون فقد تراوحت بين اللِّين والشِّدة حسب الأحداث التي تواجه البلاد، وكذلك حسب الخليفة الذي يتولَّى أمرَ المسلمين.

أمَّا الحكم في الدولة الأموية فقد كان يعتمد على ولاية العهد، فقد عَهِدَ معاوية لابنه يزيد، كذلك سارت الأمور بعده لتكون ولاية العهد للابن أو أحد أفراد الأسرة، لئلا يخرج الحكم من أيديها.

أمَّا طريقة التسليم فكانت بأخذ البيعة في حياة الخليفة كما فعل معاوية حين أخذ البيعة ليزيد قبل موته.

ومع ذلك فقد واجهت الدولة الأموية معارضة سياسية من أحزاب عدّة أهمها الخوارج والشيعة في العراق والزبيريون في المدينة المنورة.

"فحركة الخوارج التي ظهرت بعد قضية التحكيم في موقعة صفين وانشقاقها عن جيش علي رضي الله عنه، قد كان لها أثرٌ كبير في الناحيتين السياسية والدينية"[١٠].

وقد تزعَّم الحركة في بداية نشأتها المستورد بن علقمة (٤٣هـ)، "وقد حاربهم معاوية في الكوفة بقيادة المغيرة بن شعبة وكذلك في البصرة وانتصر عليهم"[١١] .

أمَّا في ولاية عبد الملك بن مروان فقد حاربهم المهلَّب ابن أبي صفرة وكذلك انتصر عليهم.

أمَّا الحركة الشِّيعية فقد كانت تتمركز في البصرة والكوفة، وقد قام الشيعة بخذلان علي بن أبي طالب– رضي الله عنه– أثناء الخلاف بينه وبين معاوية، وبعد موت معاوية وانتقال الخلافة لابنه يزيد، نادوا

---

[٩] – ابن كثير، **البداية والنهاية**، ١٤٨٦.

[١٠] – محمد سهيل طقوش، **تاريخ الدولة الأموية**، (دار النفائس، ط٧، ٢٠١٠م)، ١٨.

[١١] – رياض عيسى، **الحزبية السياسية منذ قيام الإسلام حتى سقوط الدولة الأموية**، (دار المعرفة، دمشق، ١٩٩٢م)، ١١٧.

الحسين بن علي – رضي الله عنه– لمبايعته خليفةً للمسلمين، ولكنهم خذلوه كما خذلوا أباه من قبل، وكانت النتيجة استشهاد الحسين في كربلاء سنة ٦١ للهجرة، وبهذا تكون حركتهم قد هدأت.

بعد استشهاد الحسين أعلن عبد الله بن الزبير نفسه خليفة على المسلمين في المدينة المنورة والعراق واليمن، حيث استغلَّ استشهاد الحسين رضي الله عنه وخروج أهل المدينة عن خلافة الشام والفراغ السياسي الذي حدث بعد وفاة معاوية ليقودَ حركةً مسلحةً ضدَّ بني أمية[١٢]. وقد أرسل يزيد بن معاوية جيشاً إلى المدينة المنورة، وبينما رحى الحرب دائرةٌ جاء خبر موت يزيد فتوقفت الحرب[١٣].

وبقيت خلافة ابن الزبير في المدينة المنورة حتى خلافة عبد الملك بن مروان الذي أرسل جيشا بقيادة الحجاج بن يوسف الثقفي الذي حاصر مكة وضربها بالمنجنيق وقتل عبد الله بن الزبير سنة(٧٣هـ) وانتهت خلافته بعد تسع سنوات.

وبهذا توحَّدت الدولة الإسلامية تحت زعامة عبد الملك بن مروان.

ومن مآثر الخلافة الأموية التي تذكر لها أعمالها في مجال السياسة الخارجية، فقد نجحت في إحياء حركة الفتوحات فأضافت أراضٍ جديدة إلى دار الإسلام، ففي الشرق كانت فتوحات بلاد ما وراء النهر وبلاد السند بقيادة قتيبة بن مسلم الباهلي، حيث بلغت سيادة المسلمين أطراف الهند، وفي الغرب كان استكمال فتح المغرب ومن ثم العبور إلى الأندلس وفتحها وضمها إلى دار الإسلام بقيادة عقبة بن نافع الفهري، وطارق بن زياد وموسى بن نصير، وكذلك التوغل داخل القارة الأوربية في عمق بلاد الفرنجة، أما على الجبهة البيزنطية فظلت الحروب موجودة بين الطرفين وتركزت المناوشات في المناطق الحدودية، لكن المسلمين أضافوا أراضٍ جديدة في أرمينيا وأذربيجان بقيادة مسلمة بن عبد الملك[١٤].

---

[١٢] – طقوش، **تاريخ الدولة الأموية**، ٥٥..

[١٣] – الطبري، **تاريخ الرسل والملوك**، ٥٠٢/٥.

[١٤] – طقوش، **تاريخ الدولة الأموية**، ٢٠٦ بتصرف.

ومن الناحية الإدارية فقد اتَّسعت مرافق الدولة واحتاجت إلى دواوين جديدة تنظِّم إدارتها وتساعد الخليفة والولاة في تسيير أمور الدولة، فأحدثوا دواوين جديدة مثل ديوان الزمام وديوان النفقات وديون الخاتم الصغير وديوان الأحباس وديوان الرسائل[١٥].

كما قام عبد الملك بن مروان بتعريب الدواوين ونقلها من الفارسية واليونانية إلى العربية، وأضاف إلى ذلك صك العملة[١٦].

ومن الناحية الاجتماعية فقد ازدهرت الدولة الأموية، وظهر هذا الازدهار في العمران والبناء وبناء القصور في أطراف الدولة الأموية، كذلك بناء المساجد كالمسجد الأموي في دمشق وبناء قبة الصخرة في المسجد الأقصى في عهد الوليد بن عبد الملك، كذلك الاهتمام بالتعليم والثقافة وتتبع أخبار السلف.

وإذا نظرنا إلى الناحية الأدبية والثقافية فقد عُرف العصر الأموي بنهضة أدبية كبرى في الشعر والنثر، ففي الشعر ظهر التجديد واضحا، فقد عاد شعراء الغزل إلى التغزل دون تحرُّج كما كان في العصر الإسلامي، كما تطور فنُّ النقائض في الشعر الأموي بسبب عودة العصبية القبلية "فنرى الشعراء؛ جرير(ت١١٠هـ)، والفرزدق(ت١١٠هـ)، والأخطل(ت٩٢هـ)، يتناقضون في أشعارهم"[١٧].

وكذلك النثر فقد ازدهر ازدهارا واضحا بسبب الأوضاع السياسية التي شهدتها المنطقة، ومن أشهر فنون النثر فن الخطابة حيث تحولت الخطابة من دينية إلى سياسية وأصبح كل خطيب يدعو إلى حزبه السياسي، أما الترسُّل الفني فقد بدأ يظهر بطريقة فنية جديدة لأسباب كثيرة أهمها تأثره بالثقافات الأجنبية واتساع رقعة الدولة وقد كان رائد هذا الفن عبد الحميد الكاتب، وفن المناظرة قد شاع كثيرا بسبب تنازع الأحزاب في حق الخلافة والأمور الدينية. وهذه الفنون ستكون مجال دراستنا.

---

[١٥] – ابن عبد ربه، شهاب الدين أحمد الأندلسي، **العقد الفريد**، تحقيق محمد سعيد العريان، (دار الفكر، بيروت، بلا تاريخ)، ٤٧/٤.

[١٦] – نجدة خمَّاش، **الإدارة في العصر الأموي**، (دار الفكر، بلا تاريخ)، ص٢٥٥.

[١٧] – كمال اليازجي، **الأساليب النثرية في العصر الأموي**، (دار الجيل، لبنان، ١٩٨٦م)، ص٢٨.

بقي التماسك في دولة بني أميَّة بادياً حتى خلافة هشام بن عبد الملك، وأضاع الأمويون بعد وفاته (١٢٥هـ) كلَّ شيء حيث بدأت الحرب الأهلية التي حطَّمت كل ما كان لهم من هيبةٍ عند الناس.

ويُرجِعُ المؤرخون أسباب سقوط الدولة الأموية إلى أسباب عديدة نذكر منها:

١- صراعات الأسرة الأموية: وقد بدا هذا بعد استلام مروان بن الحكم للخلافة ونقلها من البيت السفياني وفي امتناع بعض الأمويين عن بيعة عبد الملك بن مروان، وكذلك النزاع بين الوليد بن عبد الملك وأخيه سليمان، وذلك على تعيين قواد الجيش والولاة، حيث عارض سليمان بن عبد الملك بقاء الحجَّاج بن يوسف الثقفي على رأس ولاية العراق عند استلام الوليد بن عبد الملك للخلافة.

٢- الصراعات القبلية: التي انتشرت بين القبائل العربية، وأخذت أشكال الصراعات القبلية التي كانت تجري في العصر الجاهلي.

٣- الجانب الاقتصادي: حيث ظهرت طبقات متفاوتة بين المجتمع من حيث الغنى والفقر، إضافة إلى اقتطاع القرى والمزارع لقواد الجيش في نهاية خلافة بني أمية.

٤- الاتجاه الاجتماعي: حيث كان الموالي يمرون بتطورات اجتماعية معيَّنة في منطقة العراق وخراسان، إضافة إلى طبقات العمال والصُّنّاع والمزارعين الذين كانوا يعيشون في بؤسٍ مما جعلهم يلتفُّون حول الحركة العباسية الوليدة[١٨].

٥- الخلافات المذهبية: حيث تواجد أربع مجموعات في الساحة الأموية، وهم أنصار الأمويين وأنصار العلويين، وأنصار العباسيين، والخوارج، هذه الجماعات اصطدمت فيما بينها وشغلت جانباً كبيراً من نشاطات الأمويين وأنهكتهم[١٩].

---

[١٨] - حسن أحمد محمود وأحمد إبراهيم الشريف، **العالم الإسلامي في العصر العباسي**، (دار الفكر العربي، القاهرة، ط٥)، ٤٥.

[١٩] - طقوش، **تاريخ الدولة الأموية**، ٢٠٠.

كانت معركة الزاب بين العباسيين والأمويين إيذاناً بسقوط الدولة الأموية واختتمت فصولها بمقتل مروان بن محمد الجعدي في قرية بوصير بمصر عام(١٣٢هـ).

المبحث الثاني: الحياة الأدبية في العصر الأموي

بعدَ أنْ نقلَ معاويةُ بن أبي سفيان عاصمة الخلافة الإسلامية من الكوفة إلى دمشقَ برزت مؤثراتٌ أدبيةٌ جديدةٌ ارتبطت بالحياة السياسية، حيث أسس معاويةُ حكماً وراثياً يتداول فيه بنو أمية الحكم، وقد قُوبِلَ هذا الإجراء بمعارضةٍ عنيفةٍ من أنصار علي بن أبي طالب رضي الله عنه والخوارج لاحقاً والزبيريين الذين كانوا يتمركزون في الحجاز والعراق، إضافة إلى فرقٍ دينية عدَّةٍ.

هذه العوامل جعلت الحركة الثقافية تزدهر وتتشعب مشاربها وآراؤها وأهدافها، وانتشرت الحركة المعرفية بين طبقات المجتمع، وكان لازدهارها أثرٌ عظيم في سير اتجاه الأدباء والمبدعين.

ففي مجال الشِّعر ظهر لونٌ جديدٌ من الشِّعر لم يكن للعرب عهدٌ به من قبل يسمى الشِّعر السياسي، فكلُّ حزبٍ سياسي كان له شعراؤه المدافعون عنه، فمن الشِّعراء المدافعين عن بني أمية جرير والفرزدق والأخطل في بداية الدعوة الأموية وبعد ذلك ظهر شعراء قريبون من مجالس الخلفاء الذين حرصوا على عقد المجالس الأدبية ودراسة الشِّعر والتحكيم بين قائليه ومنح الأعطيات مما أسفر عن وجود طبقة متسولة تمدح الخلفاء مقابل الأعطيات، وخاصة في عهد عبد الملك بن مروان، حيث مدحوه وطعنوا في أعدائه من آل الزبير والخوارج ومن هؤلاء الشِّعراء أعشى ربيعة(٦٥هـ) الذي يقول:

فأصبحتُ إذ فضَّلتُ مروان وابنه على الناس قد فضَّلتُ خير أبٍ وابْنِ

وفضَّلني في الشـِّعرِ واللُّبِّ أنني أقـولُ على عـلمٍ وأعـلمُ ما أعني

عندها قال عبد الملك بن مروان:" من يلومني على هذا؟". وأمر له بعشرة آلاف درهم وعشرة

تخوت من ثياب وعشر فرائض من الأبل وأشياء أخرى[٢٠].

كذلك الشاعر مسكين الدارمي (٩٠هـ) الذي كان من المؤيدين للدولة الأموية، ويقول الشعر في مدحها، ومن ذلك قوله:

إذا المنبرُ الغربيُّ خلَّاه ربُّه فإنَّ أميرَ المؤمنينَ يزيدُ[٢١]

وكذلك أيمن بن خريم الأسدي الذي يمدح الأمير الأموي بِشر بن مروان أمير البصرة:

أميرَ المؤمنينَ أقمْ ببِشرٍ عمودَ الحقِّ إنَّ لهُ عمودا[٢٢]

وإذا ما انتقلنا إلى أنصار العلويين نجد أنَّهم كانوا كثيرين إلا أنهم لم يستطيعوا أن يُفصحوا عن شعرهم خوفاً من بني أمية.

ومن هؤلاء اللغوي المشهور أبو الأسود الدؤلي والكميت بن زيد الأسدي (١٢٦هـ) الذي يقول:

بني هاشمٍ رهطِ النبي فإنني بهم ولهم أرضى مراراً وأغضب.[٢٣]

وكان للخوارج أنصارٌ فمنهم قطري بن الفجاءة(٧٨هـ) الشاعر والفارس المشهور الذي يقول في إحدى قصائده التي يحض جنوده فيها على الموت:

أقول لها وقد طارت شَعاعاً من الأبطالِ ويحــكِ لن تُراعي

فإنك لو سألتِ بــقاءَ يومٍ على الأجلِ الذي لكِ لن تُطاعي[٢٤]

---

٢٠ – أبو علي القالي، إسماعيل بن القاسم، **الأمالي**، ط٢، (دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٣٤٤هـ/ ١٩٢٦م)، ١/٢٥٦.

٢١ – مسكين الدارمي، **الديوان**، (تحقيق عبد الله الجبوري، دار البصري، بغداد، ١٩٧٠)، ٣٣.

٢٢ – أيمن بن خريم الأسدي، **الدّيوان**، (تحقيق الطيب العشاش، دار المواهب، بيروت، ١٩٩٩)، ٣٠.

٢٣ – الكميت ابن زيد الأسدي، **ديوان الكميت بن زيد الأسدي**، (جمع وشرح وتحقيق محمد نبيل طريفي، دار صاد، بيروت، ٢٠٠٠م)، ٥١٥

٢٤ – المصدر السابق، ١٠٨.

وكذلك عمران بن حطان (٨٩هـ)، الذي مدح عبد الرحمن بن ملجم بقوله:

إنِّي لأذكرُهُ حيناً فأحْسَبُهُ أوفى البريةِ عندَ اللهِ ميزانا[٢٥]

وإذا ما نظرنا إلى شعر الغزل نجده قد تطوَّر في العصر الأموي بعد أن تهيَّبه الشُّعراء في عصر النبوة والخلفاء الراشدين، إذْ هُذِّب وابتعدَ أغلبُ الشعراء عن فاحشه، وقد ظهر نوعان من الغزل؛ الغزل العذري العفيف الذي يمثله قيس بن الملوح، وكثيِّر عزة وجميل بثينة، والغزل الإباحي الذي يمثله الشاعر القرشي عمر بن أبي ربيعة.

كما ظهر نوع جديد من الشِّعر سُمِّي بالنقائض[٢٦]. وكان هذا النوع نتيجةً للعصبيات القبلية التي ظهرت بشكل واضح في العصر الأموي، ومن أهم شعراء النقائض: جرير والفرزدق والأخطل.

ومن الفنون التي طرأ عليها التجديد ظاهرة الخمريات التي بدأت تنتشر بين الشُّعراء، ومن الشُّعراء الخلعاء الأقيشر الأسدي[٢٧]، وبشار بن برد الذي عاش في العصرين الأموي والعباسي.

وقد حافظت القصيدة في العصر الأموي على شكلها حيث يبدأ الشاعر بالوقوف على الأطلال والتغزل بمحبوبته، ووصف طول الرحلة وعذابها والعناء الذي عاشه حتى وصل إلى ممدوحة.

وقد وازى هذه الظواهر الجديدة تطورٌ في النَّثر الفني والأدبي حيث كان للخطابة دورٌ لا يقل أهميةً عن الشِّعر، كذلك الرسائل الفنية التي بدأت تزدهر، إضافةً إلى المناظرات التي كانت نتيجة للعصبية القبلية إضافة إلى الفرق الدينية التي تبحث عن أدلةٍ لأحقيتها في الخلافة أو انتزاع رأي من خصومها.

إحسان عباس، شعر **الخوارج**، (دار الثقافة، بيروت – لبنان الطبعة: الثالثة، ١٩٧٤ م)، ١٤٧. ٢٥ –

٢٦ – النقائض هي أن يوجّهُ الشاعر قصيدةً إلى شاعرٍ آخر مادحاً أو هاجياً، فيردُّ عليه الشاعرُ الآخرَ مادحاً أو هاجياً، ويلتزم بنفس البحر والقافية. ينظر: أحمد الشَّايب، تاريخ **النقائض في الشعر العربي**، (مطبعة السعادة، القاهرة، ١٩٥٩م)، ٣.

٢٧ – الأقيشر الأسدي، **الديوان**، (جَمَعَهُ محمد علي دقَّة، دار صادر، بيروت، ١٩٩٧م)، ٨.

المبحث الثالث: النَّثر الفنيُّ

النثر في اللغة مصدر من نَثَرَ أي فرَّقَ"؛ نثرَ الشيَّ نثراً، أي فرَّقه"[٢٨].

أمّا في الاصطلاح فقد تعددت تعريفاته:

فمنهم من عرَّفه تحت إطار تقسيمه إلى أنواع: "وأمّا المنثور فليس يخلو من أن يكون خطابةً أو ترسّلاً أو احتجاجاً أو حديثاً" [٢٩]. هنا لا نجد تعريفا واضحا للنثر، إنما نجد الفنون التي تنضوي تحته.

وعرَّفه آخرون من خلال المقارنة بينه وبين الشِّعر: "اعلم أنّ لسان العرب وكلامهم على فنّين في الشِّعر المنظوم، وهو الكلام الموزون المقفّى، ومعناه الذي تكون أوزانه كلّها على رويّ واحد وهو القافية، وفي النَّثر، وهو الكلام غير الموزون" [٣٠]. حيث كان التفريق بين النثر والشعر من خلال القافية والوزن.

ويُعَدُّ أبو حيَّان التوحيدي (٤١٤هـ) أوَّل من عَمِلَ مقارنة بين النَّثر والشِّعر، وأول من قال "بأن الشِّعر لا يختصُّ وحدُهُ بالموسيقا والخيال، بل هما مشتركان بين الشِّعر والنَّثر الفني، والفرق بين النوعين من الكلام نسبي، أمَّا الجوهرُ فواحدٌ"[٣١].

أمَّا مسكويه (٤٢١هـ) فيرى أنَّ:" النَّظم والنَّثر يشتركان في الكلام الذي هو جنس لهما، ثم ينفصل النظم عن النَّثر بفضل الوزن الذي به صار المنظومُ منظوماً، ولما كان الوزن حِليةً زائدة وصورةً فاضلةً على النَّثر صار الشِّعرُ أفضل من النَّثر من جهة الوزن، فإن اعتُبرت المعاني كانت المعاني مشتركة

---

٢٨ – محمد بن مكرَّم بن علي ابن منظور، **لسان العرب**، (تح: عامر أحمد حيدر، مراجعة: عبد المنعم خليل إبراهيم، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠٣م)، مادة نثر.

٢٩ – ابن وهب، **البرهان في وجوه البيان**، ١٩١.

٣٠ – عبد الرحمن بن محمد ابن خلدون، **مقدمة ابن خلدون**، (تحقيق عبد الله محمد الدرويش، دار البلخي، دمشق، ٢٠٠٤م)، ٢/ ٣٩٣.

٣١ – علي بن محمد بن العباس التوحيدي، **الإمتاع والمؤانسة**، (صحّحه وضبطه أحمد أمين، وأحمد الزين، ط٢، مطبعة لجنة الترجمة والتأليف والنشر، القاهرة، (د.ت))، ١٤٥.

بين النظم والنَّثر، وليس من هذه الجهة تَمَيُّزُ أحدهما من الآخر"[٣٢].

أمَّا الجاحظ (٢٥٥هـ) فيرى أن النَّثر أبلغُ من الشِّعر في نقل المآثر، ويمثِّل لهذا ما تمَّ نقله من تراث الهنود واليونان والفرس عن طريق النَّثر. يقول:" وقد نُقِلتْ كتب الهند، وتُرجِمَتْ حكم اليونانية، وحُوِّلتْ آداب الفرس.. وقد نُقلِتْ هذه الكتب من أمةٍ إلى أمةٍ، ومن لسانٍ إلى لسانٍ حتى انتهت إلينا، وقد صحَّ أنَّ الكتبَ (أي النَّثر) أبلغ في تعبيرِ المآثرِ من الشِّعر" [٣٣].

ومن خلال التعريفات السابقة نستطيع أن نرى أنَّ النقاد ميَّزوا بين الشعر والنثر من خلال الوزن والقافية، أمَّا الموسيقى والخيال فهما مشتركان بين الطرفين حسب رأي التوحيدي. أمَّا الجاحظ فيرى أنَّ النثر أبلغ من الشِّعر في نقل المآثر.

ذكرنا آنفاً أنّ الشِّعر حظي باهتمام النقّاد عموماً، والنقّاد القدامى بشكل خاصّ أكثر من اهتمامهم بالنَّثر. وقد أجمعت أغلب الآراء على أنّ أسباب ذلك تعود إلى طبيعة كلّ من الشِّعر والنَّثر من حيث كثرة قضايا الشِّعر وموضوعاته، وتنوّعها، ووفرة المادّة العلميّة ومصادرها، بالإضافة إلى سهولة الشِّعر، "فممّا لا شكّ فيه أنّ جمال النَّثر أخفى وأغمض من جمال الشِّعر، فحُسْنُ الشِّعر له بريق ولألاء، وهو غالباً يطالع الإنسان لأوّل وهلة. أمّا النَّثر الفنّيّ فجماله رصين محتشم، وهو صعب الإدراك عسير المنال"[٣٤].

وقد نذهب مذهب الدارسين في تبريرهم للاهتمام بنقد الشِّعر دون النَّثر، حيثُ يفسِّر طه حسين حب الشعر والإعراض عن النثر بـ: " أنَّ أنصار الشعر يرون أن الشعر خيرٌ من النثر لأن الشعر

---

٣٢ – أبو حيان التوحيدي ومسكويه، **الهوامل والشوامل**، (تقديم صلاح رسلان، نشره أحمد أمين والسيد أحمد صقر، سلسلة الذخائر، القاهرة، ٢٠٠٩م)، ٢٧٥.

٣٣ – أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، **الحيوان**، (تح عبد السلام هارون، ط١، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، (١٣٥٦هـ/ ١٩٣٨م))، ص ٧٥، بتصرف.

٣٤ – البشير المجذوب، **حول مفهوم النَّثر الفنّيّ عند العرب القدامى**، (الدار العربية للكتاب، تونس، د.ت)، ١٥.

ديوان العرب، وفيه سُجِّلت مفاخرهم، وإليه يرجعُ الفضلُ في تخليدِ مالهم من فضلٍ"[٣٥].

أمَّا عباس محمود العقاد فيرى أن "سبب بقاء الشعر وتفضيله هو القدرة على حفظه، لأنَّ الكلام الموزون أيسرُ حفظاً من الكلام المنثور"[٣٦].

لكنّنا نزيد على ذلك أنّ النَّثر هو اللغة المحكيّة التي يتداولها الناس بأساليب ترقى أو تنحدر من حيث الجزالة والبراعة وجودة التعبير، مع افتقادها للوزن.

وقد يقول قائل: إنّ الخطابة والرسائل والمناظرات ليست من ضمن اللغة المحكيّة، وهذا صحيح، غير أنّ كلاً من الخطابة والرسائل والمناظرات هي مستوى متقدّم من مستويات لغة الخطاب العاديّ، فضلاً عن أنّها كانت لغة مناسبات ولم تكن ذات دور رئيس وعامّ في حياة العرب قديماً كما هو حال الشِّعر، وظلّت كذلك إلى أن امتلكت تلك المكانة العظيمة في العصر الأمويّ، وهذا ما بُنِيَت عليه دراستنا هذه.

وقد يكون من المناسب قبل الولوج إلى الدراسة أن نقسم النَّثر قسمين:

١– النَّثر العاديّ: وهو ما نتداوله في حياتنا اليوميّة، وما نقرؤه في الكتب التعليميّة والرسائل الشَّخصية وسوى ذلك من لغة التخاطب ممّا لا يندرج ضمن نطاق الأدب.

٢– النَّثر الأدبيّ: وهو ما اعتمد فيه الكاتب الأساليب الأدبيّة، واهتمّ بالشكل والتركيب، وهو نوعان:

أ. **النَّثر الوصفيّ** المعرفيّ الذي يهدف إلى إيصال معرفة ما إلى المتلقّي بأسلوب أدبيّ، وقد تجلّى ذلك في نثر كبار الكُتّاب كالجاحظ والتوحيديّ وابن العميد وغيرهم. وهذا النوع من النَّثر لا يفتقر

---

٣٥ – طه حسين، **من حديث الشعر والنثر**، (مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، م٢٠١٢م)، ٢٤.

٣٦ – عباس محمود العقاد، **حياة قلم**، (مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، ٢٠١٣م)، ١٩٢.

إلى الصور البلاغيّة والمحسّنات اللفظيّة والبديعيّة، ولكنه يأتي على شكل كلام نثري كما ورد في كتب الجاحظ والتوحيدي وغيرهما.

ب. النَّثر التخييليّ أو النَّثر الفنّيّ الذي يهدف إلى إثارة الانفعال النفسيّ أوّلاً، وينتظم بأشكال سرديّة متعدّدة كالمقامات والسير والحكايات الخرافيّة، وشأنه شأن أيّ تعبير متخيّل كالشِّعر والملحمة والرواية. وهذا ما ذهب إليه الدكتور عبد الله إبراهيم في كتابه (النَّثر العربيّ القديم: بحث في ظروف النشأة وأنظمة البناء) [٣٧].

وقد يكون في قول التوحيديّ (٤١٤هـ) تضميناً لسمات النثر من حيث الجزالة والبلاغة والحلية اللفظية، والتأثير في نفس السامع، حيث يقول: "فأمّا البلاغة فإنّها زائدة على الإفهام الجيّد بالوزن والبناء والسجع والتقفية والحلية الرائعة، وتخيّر اللفظ، واختصار الزينة بالرقّة والجزالة والمتانة. وهذا الفنّ لخاصّة النفس لأنّ القصد فيه الإطراب بعد الإفهام والتواصل إلى غاية ما في القلوب لذوي الفضل بقويم اللسان"[٣٨].

وانطلاقاً من هذا التعريف نرى أنّ النَّثر الفنّيّ في العصر الأمويّ كان مشتملاً على السمات السابقة، وكان بمنزلة مرحلة تأسيسيّة للنَّثر الفنّيّ الذي بلغ ذروته في العصر العبّاسيّ.

المبحث الرابع: أهم الفنون النثرية

شَهِدَ النَّثر الفنِّي تطوراً واضحاً في العصر الأمويِّ بسببِ التطورات السِّياسيَّة التي حدثت في

---

٣٧ – عبد الله إبراهيم، **النَّثر العربيّ القديم: بحث في ظروف النشأة وأنظمة البناء**، (منشورات جامعة السابع من إبريل، ط١، ١٤٢٥هـ)، ٥.

٣٨ – المجذوب، **حول مفهوم النَّثر الفنّيّ عند العرب القدامى** ٢٣.

هذا العصر، وأهمُّ الفنون النثريَّة التي اعتمدَ عليها الخلفاء والقوَّادُ وأصحابُ الفرقِ الدِّينيَّة فنُّ الخطابةِ، حيثُ أصبحت الخطب السِّياسيَّة تطغى على الخطب الدينيَّة التي كانت سائدة في عصر الرسولِ صلى الله عليه وسلم وعصر الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم، وقد دافع فيها الخطباء عن أفكارهم وانتمائهم، وكذلك قوَّاد الجيش والخلفاء.

ومن الفنون النثرية التي تطوَّرت في هذا العصرِ فنُّ الرسائلِ الذي بدا واضحاً في المكاتبات بين الخلفاء والولاة وقوَّاد الجيشِ، وذلك بسبب اتِّساعِ مساحة الدولة الأموية.

ومن الفنون النثريَّةِ التي تطورت أيضاً فنُّ المناظرة، حيثُ اعتمد عليها أصحاب الفرق الدينيَّة وذلك لأن المناظرة تعتمد على الإقناع والحجَّةِ، وذلك لأن أصحاب الفرق الدِّينيَّة يعتمدون في حججهم على الكلام والدَّليل والبرهان.

هذه الفنون النثريَّة الثلاثة سنقوم بدراسة الأساليب الفنِّيَّة فيها.

المطلب الأول: الخطابة في العصر الأمويّ

لقد ارتقت الخطابة مقدّمة الفنون النَّثريّة في العصر الأمويّ، ولاسيّما الخطابة السياسيّة، وشهدت تطوراً ملحوظاً في البناء الفنّي والأسلوب والمضمون، بعد أن كانت فنّاً عفوياً يستجيبُ لأغراضٍ اجتماعيّة ودينيّة محدودة مصطبغة بالطابع البدويّ الذي يميلُ إلى الإيجاز والموسيقا في الجملة والأسلوب، وهو ما يتناسب مع الثقافة الشّفهية لكلٍّ من المتكلّم والمستمع القائمة على التأثّر بإيقاع

الألفاظ وجَرْسها[٣٩].

وشهد العصر الإسلامي تفتُّح أكمام الخطابة السياسيّة، حيثُ حملت نُظم الحياة الجديدة كثيراً من دواعي نمو وازدهار هذا اللون الخطابي، وإن كانت هذه الخُطبُ قد شاعت في العصر الجاهلي، وواكبت كثرة حروبهم وصراعاتهم القبليّة، فإنّ أول صور الخطابة السياسيّة نجدها في خطب النبي صلّى الله عليه وسلّم، وخُطب صحابته الأبرار في تصريف شؤون دولتهم الفتيّة، ورَسْم سياستها الداخليّة والخارجيّة، وقد اختلطت المعاني السياسيّة في هذه الخطب بالمعاني الدينيّة؛ لأنّهم كانوا يستمدّون سياستهم من الدين الإسلاميّ الحنيف والقرآن الكريم[٤٠].

وباستلام بني أميّةَ مقاليدَ حُكم المسلمين نشأت الأحزاب السياسية المعارضة وتعدّدتِ الفرق الكلامية، فغلب الاعتناء بالشؤون السياسية على الاعتناء بالشؤون الدينيّة ممّا أسهم في ازدهار الخطابة السياسيّة ازدهاراً عظيماً، فتشعَّبت معانيها لتعبّر عن آراء الفرق والأحزاب في أحقيّة الخلافة، وتحضَّ على الجهاد في إعادة الحقِّ لأصحابه، أو تناقش شؤون الأمة الداخلية والخارجيّة. وكان على الأمويين أن يدافعوا عن حقّهم في الخلافة، ويطالبوا الرّعية بالطاعة والولاء، ملوّحين بالتهديد تارة وبالترغيب تارة أخرى، كما كان عليهم ألاّ ينسوا واجبهم في نشر الإسلام واستثارة الهمم والحضّ على الجهاد في سبيل الله.

أمّا الفرق المعارضة لحكم بني أميّة من خوارج وشيعة وزبيريين فكان عليها أن تقدّم المفوّهين من الخطباء الذين ينافحون عن آرائهم ويدحضون حُجج خصومهم، ويقنعون الناس بالأسس والمبادئ التي يدعون إليها، ويحرّضون أنصارهم على قتال بني أميّة، والجهاد في سبيل إعادة الحقِّ إلى نصابه، وكلٌّ

٣٩ – فؤاد البستاني، **الشِّعر الجاهلي**، (دار المشرق، بيروت، ١٩٨٠، ط٨)، ١٨.

٤٠ – أحمد أمين، **فجر الإسلام**، (دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٦٩م، ط١٠)، ١٩٥.

يقدّر الحقَّ في جانبه والقتال لإعادته جهاداً في سبيل الله من وجهة نظرهم.

وقبل الحديث عن الخطابة السياسية وتطوّرها في العصر الأمويّ، والخصائص الفنية للخطابة، وأشهر خطبائها وخُطبهم لا بدّ من الوقوف على مصطلح الخطابة والتعريف به.

أولاً: تعريف الخَطابة

الخطبة مصد من الفعل خَطَبَ، " والخُطبة هي الكلام المنثور المسجّع، وهي مثل الرسالة لها أوّل وآخر"[٤١]." والخُطبة ما يتكلّم به الخطيب على جماعة بمهمة دينيّة أو دنيويّة"[٤٢].

أمّا في الاصطلاح تعرّف الخطابةُ بأنّها:

– "مجموعة القواعد التي يلتزم بها الخطيب أثناء إلقائه الخطبة أمام الجمهور وذلك كرفع الصوت وخفضه أحيانا، ومراعاة الصور البلاغية وتقسيم الفقرة إلى فقرات"[٤٣].

ثانياً: دواعي نهوض الخطابة وتطورها في عهد بني أميّة

بلغت الخطابة السياسية أوج ازدهارها في عصر بني أميّةَ وذلك لعدة أسباب منها:

١– أسباب سياسيَّة:

٤١ – ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (خطب).

٤٢ – بطرس البستاني، **محيط المحيط**، (مكتبة لبنان، بيروت، (د. ت)، مادة (خطب).

٤٣ – وهبة مجدي المهندس كامل، **معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب**، مكتبة لبنان، الطبعة الثانية، ١٩٨٤م، ١٥٩.

في ظلِّ الخلاف السياسيّ، والتنافس على الحكم، والفتن التي اشتدّ أوارها بعد موت معاوية وتولّي ابنهِ يزيد الحكمَ من بعدِه. وانقسم الناس فرقاً وأحزاباً: شيعة، وخوارج، وأمويين، وزبيريين، كلٌّ يدعو الناسَ إلى تأييدِ فكرته ونصرة دعوته، فتزايدت أعداد الخطباء السياسيين فمن الحزب الأمويّ عبد الملك بن مروان وزياد بن أبيه، والحجّاج بن يوسف الثقفي. ومن الحزب الشيعيّ وآل البيت المختار الثقفي، وزيد بن علي، والكميت بن زيد الأنصاريّ. ومن الخوارج عمران بن حطّان، وأبو حمزة الشاري، وقطريّ بن الفجاءة. ومن الحزب الزبيريّ عبد الله بن الزبير وأخوه مصعب[٤٤].

٢- ظهور الأحزاب:

وثمّة سبب آخر لازدهار الخطابة السياسية في عصر بني أميةَ إلى جانب السبب الأول الآنف الذكر الذي يعود معظمه لبروز الأحزاب وتطاحنها لبيان أحقّيتها في الخلافة والحكم وهو ظهور الأحزاب الدينية التي كانت تحتاج إلى خطباء يدافعون عن أفكارهم ومعتقداتهم، وقد اتّخذوا من الخطابة أداةً لنشرِ الدعوة لأحزابهم، واستمالة الأنصار إليهم، وكانوا يعرضون في خُطبهم مبادئ حزبهم ونظرته السياسيّة، وأحقّيته في الحكم، وينتقدون الأحزاب الأخرى، ويذكرون المآخذ عليها.

٣- أسباب دِينيَّة:

ومن الأسباب التي ساعدت على تطوُّرِ الخطابة، وانتشارها في العصر الأموي سببٌ دينيٌّ خالص: "إذ أُسست في كل بلد إسلاميّ مدرسة دينية تعلم الناس أصول دينهم وفروعه، وكان العلماء القائمون عليها كثيراً ما يختلفون، فيتحاورون في وجهات نظرهم، وانبثق من ذلك فرق دينيّة كالجبرية والقدرية

٤٤ - محمّد أبو زهرة، **الخطابة أصولها تاريخها في أزهى عصورها عند العرب**. (ط١، مطبعة العلوم، مصر١٣٥٣هـ/ ١٩٣٤م)، ٨٩-٨٨.

والمرجئة، فكان ذلك باعثاً على ظهور فنِّ الخطابة"[٤٥].

ثالثاً: السِّماتُ العامةُ والخصائصُ الفنِّية للخطابة السياسيّة

إنّ المنزلة الفنية الراقية التي بلغتها الخطابة السياسيّة في عهد بني أميّة كانت ثمرة جهود سابقة حتّى بلغت أوج ازدهارها في هذا العصر، وقد امتازت الخطابة بعدد من الخصائص يمكن أن نوجز أهمّها:

أ- العناية باستهلال الخطابة وختامها، وبتقسيمها إلى أجزاء متتالية ومترابطة، وبتسلسل الأفكار.

ب- كثرة الاستشهاد بالشِّعر، وآيات القرآن الحكيم.

ج- العناية بازدواج العبارات، وانتقاء الألفاظ ذات الجرس الموسيقي، والإنشاء ولاسيّما في مواطن الشّدة والانفعال.

د- العناية بالزخارف اللفظية والمقابلات والصنعة البديعية كالسجع والتوازن الموسيقي والعكس... وغيرها من المحسنات البديعية من غير إسراف.

هـ- العناية بالتصوير البياني واللجوء إلى الخيال بغية التأثير في المخاطَب.

و- المحافظة على مستلزمات الخطبة، من والاستعانة بالإشارة أثناء الخُطب، والصوت الجهوري؛ فالخطيب لا يؤثّر في الجمهور من طريق أفكاره فحسب، وإنما يوثّر أيضاً في حاستي السمع والبصر.

وتعدُّ خطبة عبد الملك بن مروان بعد القضاء على مصعب بن الزبير نموذجاً للخطبة السياسية وما اشتملت عليه من خصائص فنية تعكس التطوّر الذي وصلته الخطابة في العصر الامويّ، قال فيها بعد

---

٤٥ - ضيف، شوقي، **الفن ومذاهبه في النَّثر العربي**. ط١٣، (دار المعارف، مصر، ١٩٥٤م)، ٦٥، ٧٩.. وينظر للتوسع: الجاحظ، البيان والتبيين، ١/ ٢٦٦-٢٦٧. وابن الأثير، المثل السائر، ٢/٣٤١-٣٤٢.

حمد الله والثناء عليه: "أيّها الناسُ! إنّ الحربَ صعبةٌ مرّةٌ، وإنّ السِّلمَ أمنٌ ومَسَرّة، وقد زَبَنتنا الحربُ وزَبنَّاها، فعرفْنَاها وألِفْنَاها، فنحن بَنُوهَا وهي أُمُّنا، وأيّها الناسُ! فاستقيموا على سبيل الهُدى، ودعُوا الأهواءَ المردية، وتجنّبوا فِراقَ جماعةِ المســـلمين، ولا تكلّفونا أعمالَ المهاجرين الأوّليين، وأنتم لا تعملون أعمالهم... وإنّما مَثلي وأمثالُكم كما قال قيس بن رفاعة:

يَصلَ بنارِ كريمٍ غير غدّار

مَن يصلَ ناري بلا ذنبٍ ولا ترِةٍ[٤٦]

أنـا النذير لكـم مني مجاهرةً كي لا أنام على نهيٍ وإنذارِ[٤٧]

فإذا نظرنا إلى الخصـائص التي ذكرناها سـابقاً نجدها مجتمعةً في هذه الخطبة القصـيرة، فقد اعتمد عبد الملك بن مروان على شـاهدٍ شـعري للشـاعر قيس بن رفاعة يحمل بين طياته تهديداً ووعيداً للذي يخالفه، أمَّا من يأتيه طائعا فهو في أمنٍ وأمان. كما اعتمد خصـائص بديعية مثل الطباق في: (سـلم، حرب) و(صعبة مرة، أمن ومسرة). أمَّا السجع فقد استخدم الفاصلة القصيرة وحرف التاء: (إنَّ الحرب صعبة مرة، وإنَّ السلم أمن ومسرة). كذلك استخدم الفاصلة القصيرة وحرف الهاء: (وقد زبنتنا الحرب وزبناها، فعرفناها وألفناها). وفي النتيجة نرى أن الخطابة في العصر الأموي اتسمت بخصائص فنية تطورت مع تطور الأساليب الأدبية في هذا العصر.

---

٤٦ – تره: باطل.

٤٧ – إسماعيل بن القاسم أبو علي القالي، الأمالي، (ط٢، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٣٤٤هـ/ ١٩٢٦م). ١/١٢-١١.

رابعاً: أشهر أعلامها

كان معظمُ خطباء العصـــر الأموي من الخلفاء وقوَّاد الجيش، وولاة المناطق، ومن يتتبَّعُ خطبهم يجدهم يبيّنون من خلالها السـياسـة التي يتبعونها، فكانت الخطبة تعتبر منبرا لنشـر سـياسـته وآرائه، وكان الخطباء يبرزون من خلال منبر أيضـاً الخطابة قوة شـخصـياتهم، وفصـاحة ألسـنتهم، ويمكن لنا أن نُقَسِّـمَ الخطباء إلى: خطباء بني أمية، وخطباء الخوارج، وخطباء آل البيت والشيعة.

١- خطباء بني أمية

كان معظم خلفاء بني أمية من الخطباء المفوهين من أمثال معاوية بن أبي سـفيان وعبد الملك بن مروان، وكذلك الولاة وقواد الجيوش من أمثال زياد بن أبيه والحجاج بن يوسـف الثقفي. وسـندرس في هذا القسم أشهر هؤلاء الخطباء.

- **معاوية بن أبي سفيان(٦٠هـ)**: "معاوية ابن أبي سفيان بن حرب بن أمية بن عبد شمس، خال المؤمنين، وكاتب وحي ربِّ العالمين، أسلم هو وأبوه وامُّه يوم فتح مكَّة، ولَّاه عمر بن الخطاب الشام، وأقرَّه على ذلك عثمان بن عفان"[٤٨]. وهو أوّل خليفة أمويٍّ عمل على الدفاع عن حقّ الأمويين في الخلافة، وطالب الرّعية بالطاعة والولاء، ملوّحاً بالتهديد والتّرهيب تارةً والترغيب تارة أخرى، كذلك تصدّى للمعارضين ودعاة الأحزاب الأخرى، ومن خطبه قوله: " أيّها الناسُ، إنّي كنت أعْدَدْتُ مقالاً أقومُ فيكم فحُجِبْتُ عنه، فإنّ الله يَحُولُ بين المرءِ وقلبِهِ، كما قال في كتابِهِ، وأنتم إلى إمامِ عَدْلٍ أحوجُ منْكُم إلى إمامٍ

---

[٤٨] -ابن كثير، **البداية والنهاية**، ص١٢٠١.

خطيب. وإنّي آمُرُكم بما أمرَ الله بِهِ ورسولُه، وانهاكُم عمّا نهاكُم اللهُ ورسولُه، وأستغفر الله لي ولكم"[٤٩]. وقال في إحدى خُطبه مخاطباً أهل المدينة: " يا أهلَ المدينةِ، إنّي لست أحبُّ أنْ تكونوا خَلقاً كخلقِ العراق يُعيبونَ الشيءَ وهم فيهِ، فاقبلُونا بما فِينا؛ فإنّ ما وراءَنا شرٌّ لكم، وإنَّ معروفَ زمانِنا هذا مُنكرٌ زمانٍ قد مضَى، ومُنكَرُ زمانِنا معروفُ زمانٍ لم يأتِ، ولو قد أتى فالرّتقُ خيرٌ من الفَتْقِ، وفي كلٍّ بلاغٌ، ولا مقامَ على الرزيّة"[٥٠]. وتتّضح في الخطب التي صدرت عن معاوية أنّه يتعامل بمرونةٍ ولينٍ مع الناس، فبدأ خطبته بتهديد مبطن، وتخويف ببطش الأمويين، وهو في الوقت نفسه يجذب انتباه الناس إلى انّ الصواب كان بتوليّه الخلافة، وأنّ الخطأ هو خلاف ذلك.

نلاحظ من خطبةِ معاوية في أهل المدينةِ أنه يخيّرهم بين العيش تحت ولايته أو الحرب والفوضى، وقد ضرب لهم مثالا في أهلِ العراق الذين يَعِيْبُون الشيء والعيب نفسه فيهم، ثم يطلبُ منهم ألا يقارنوه بأحدٍ ويقول بأن الأمور تتغيَّر ولا تبقى على حالٍ واحدٍ.

– **عبد الملك بن مروان**(٨٦هـ): ومن الخلفاء الخطباء أيضاً الذي يُعدُّ من أشهر خلفاء بني أميةَ عبد الملك بن مروان. ومن خطبه السياسية المرعبة قوله بعد مقتل ابن الزبير في المدينة عام ٧٥هـ: " أمّا بعدُ، فلستُ بالخليفةِ المستضعفِ، ولا الخليفةِ المداهنِ، ولا الخليفةِ المأفونِ[٥١]، ألا وإنَّ مَن كان قبلي من الخلفاء كانوا يأكلون ويُطعمُونَ من هذه الأموالِ، ألا وإنّي لا أداوي أدواءَ هذه الأمةِ إلا بالسَّيفِ حتّى تستقيمَ لي قناتُكم،... تكلّفونا أعمالَ المهاجرين، ولا تعملون مثلَ أعمالِهم، فلن تزدادوا إلا عقوبةً حتّى يَحكُمَ السيفَ بيننا وبينكم، ألا وإنّا نُخِلُّ لكم كلَّ شيء إلا وُثوباً على أميرٍ أو نصبَ رايةٍ، والله لا يفعلْ أحدٌ فعلةً إلا جعلتُها في عُنُقهِ، والله لا يأمرني أحدٌ بتقوى الله بعد مقامي هذا إلا ضربتُ عُنُقَهُ، فإذا

---

٤٩ – الجاحظ، **البيان والتبيين**، ١/ ١٤.

٥٠– ابن عبد ربه، **العقد الفريد**، ٤/ ١٧١.

٥١– ابن عبد ربه، **العقد الفريد**، ٤/ ١٧٨.

تعلَّقتم عليَّ بكذبةٍ فقد حلَّت عليكم معصـــيتي". في هذه الخطبة يهدّدُ عبد الملك بن مروان أهلَ المدينة ويقول لهم: إنني لست مستضعفاً مثل عثمان ولستُ بالمتقلِّب مثل معاوية ولستُ بالغبيّ مثل يزيد، فقد كانوا جميعاً يتساهلون معكم، أمَّا أنا فسأواجه كلَّ مشكلةٍ بالسَّيفِ، وستعيشون بأمان إن لم تخالفوا أمير المؤمنين ولا تخرجوا عن طاعته.

- **زياد بن أبيه**(٥٣هـ): من خطباء بني أمية الولاة ومن قواد جيوشهم في العراق، ارتقى المنابر خطيباً مفوّهاً يدعو لبني أمية، ويدعو إلى السكينة والانقياد، اتَّسم بالذكاء والحنكة والفصاحة، تولَّى العديد من المناصب، مما جعله يطَّلع على أحوال الناس، وفيه يقول الشعبي: "ما سمعت متكلماً على منبر قط تكلَّم، فأحسن إلا أحببت أن يسكت خوفا أن يسيء إلا زياداً، فإنّه كلّما أكثر كان أجود كلاماً"[٥٢]. وتعدّ خطبته "البتراء"[٥٣] من أجود الخطب السياسية التي في العصر الأموي، ألقاها زياد بن أبيه بعد ان تعاظم خطر الخوارج في البصرة"[٥٤].

يبدأ زياد خطبته مخاطباً أهل البصـرة على غير عادة الخطباء في افتتاح خُطبهم بالحمد والثناء على الله بما هو أهله بقوله: "أما بعدُ، فإنَّ الجهالةَ الجهلاءَ، والضَّـــلالةَ العمياءَ، والغَيَّ المؤَفِّيَ بأهلِه على النارِ ما فيه سـفهاؤُكم، ويشـتملُ عليه حُلَماؤُكم مِن الأمورِ العظامِ يَنْبُتُ فيها الصـغيرُ، ولا يتحاشـى عنها الكبيرُ كأنَّكم لم تقرؤوا كتابَ اللهِ ولم تســـمعوا ما أَعَدَّ اللهُ مِن الثَّوابِ الكبيرِ لأهلِ طاعتِه، والعذابِ الأليمِ لأهلِ معصيتِه في الزَّمنِ السَرْمَدِيِّ الذي لا يزولُ، أتكونون كَمَن طَرَفَتْ عَيْنَيْه الدّنيا، وسَدَّتْ مسامِعَه الشهواتُ، واختارَ الفانيةَ على الباقيةِ، ولا تذكرون أنَّكم أحدثتم في الإسـلام الحَدَثَ الذي لم تُسْـبَقُوا إليه؛ مِن تَرْكِكُم

٥٢- الجاحظ، **البيان والتبيين**، ٢/ ٦٥.

٥٣ – سُمِّيت بذلك لعدم بدئها بالبسملة والحمدلة. والخطبة التي لم يبتدئ صاحبها بالبسملة والتحميد، ويستفتح كلامه بالتمجيد تُسمَّى البتراء، والتي لم توشح بالقرآن، وتزين بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم: الشوهاء". الجاحظ، المصدر السابق، ٢/ ٦.

٥٤ – محمد يونس عبد العال، **في النَّثر العربي (قضايا وفنون ونصوص)**، (ط١، دار نوبار، القاهرة، ١٩٩٦م)، ١٤٠.

الضَّعيفَ يُقْهَرُ ويُؤْخَذُ مالُه، هذه المَواخيرَ المنصوبةَ والضعيفةَ المسلوبةَ في النهارِ المُبْصِرِ والعَدَدِ غيرُ قليلٍ، ألم يكن منكم نُهَاةٌ تَمْنَعُ الغُوَاةَ عن دَلَجِ الليلِ وغَارَةِ النَّهارِ، قرَّبتم القرابةَ، وباعدتم الدِّينَ، تعتذرون بغيرِ العُذْرِ، وتُغْضُون على المخْتَلِسِ، كلُّ امرئٍ منكم يَذُبُّ عن سفيهِهِ صنيعَ مَن لا يخافُ عاقبةً ولا يرجو معاداً، ما أنتم بالحلماءِ ولقد اتَّبعتم السفهاءَ، فلم يزلْ بكم ما ترون مِن قيامِكم دونَه حتى انتهكوا حُرَمَ الإسلامِ، ثم أطرقوا وراءَكم كُنوساً في مَكَانِسِ الرِّيبِ، حَرَامٌ عَلَيَّ الطعامُ والشرابُ حتى أُسَوِّيَها بالأرضِ هَدْماً وإحراقاً... الى أن ينتهي إلى قوله: "وقد أحدثتم أحداثاً لم تكن، وقد أحدثنا لكل ذنبٍ عقوبةً؛ فَمَن غَرَّقَ قوماً غَرَّقْنَاهُ، ومَن أَحْرَقَ قوماً أَحْرَقْنَاهُ، ومَن نَقَبَ بيتاً نَقَبْنا عن قلبِه، ومَن نَبَشَ قبراً دَفَنَّاهُ حَيّاً فيه، فَكُفُّوا عني أيديَكم وألسنَتَكم أَكْفُفْ عنكم يدي ولساني، ولا تَظْهرُ مِن أحدٍ منكم ريبةٍ بخلافِ ما عليه عامّتُكم إلا ضربتُ عنقَه، وقد كانت بيني وبين أقوامٍ إِحَنٌ فجعلتُ ذلك دُبَرَ أُذُنِي وتحت قدمي، فمَن كان منكم مُحْسِناً فليَزْدَدْ إحساناً، ومَن كان منكم مُسِيئاً فليَنْزِعْ عن إساءَتِه...."[٥٥]. والحطبة تبدأ بوصف حال الناس بعد أن انغمسوا في الضلالة، وابتعدوا عن هدي الدين، وعاثوا في الأرض فساداً، وينتقل فيها إلى السياسة التي سيتبعها معهم، والعقوبات التي سينزلها في المخالفين، ثم يذكرهم بالواجبات التي يجب أن يلتزموا بها تجاه ولاة أمرهم، ويختمها بالتهديد والوعيد. وكان الغرض الذي يرمي إليه زياد من خطبته القضاء على ما كان بالبصرة من شغب وتهدئة الجو للدولة، وقد لجأ إلى عدّة أساليب للوصول إلى مآربه، منها: التهديد والوعيد، والإقناع، والحجّة... كما وعد المستقيمين خيراً، وجعل لهم الحقَّ في محاسبته على كذبه، وأعلن أنّه لن يحتجب عن ذوي الحاجات ولن يحبس العطاء.

- **الحجّاج بن يوسف الثقفي**(٩٥هـ): من خطباء بني أميةَ الذي يعدُّ من أشهر خطباء السياسة، وقد كان شديدَ البأس والبطش، خطيباً وداهية، ولّاه عبد الملك بن مروان مكّة والمدينة والطائف

٥٥ – ابن عبد ربه، **العقد الفريد**، ٤/ ١٩٩ –٢٠٠. والجاحظ، **البيان والتبيين**، ٢/ ٦٢.

بعد قتله مصعب بن الزبير رضي الله عنه، ثمَّ العراقَ حيثُ أخمدَ نار الفتنة[٥٦]. وقد كان الحجّاجُ آية في البلاغة وفصاحة اللسان وقوّة الحجّة، وله خطبة سياسيّة مشهورة ذكرتها معظمُ المصادر التاريخية، قالها حين قدِمَ الكوفة والياً لأوّل مرّة، وكانت تموج في بحر من الفتن والثورات الداخلية بين الاحزاب المتنافرة، فأتاها ملثّماً، ثمّ صعد المنبر وحسر اللثام عن وجهه وأنشد:

أنا ابن جلا وطلّاع الثنايا متى أضع العمامة تعرفوني[٥٧]

ثمّ قال: " أَمَا واللهِ إِنِّي لأَحْمِلُ الشَّرَّ بِحِمْلِهِ، وَأَحْذُوهُ بِنَعْلِهِ، وَأَجْزِيهِ بِمِثْلِهِ، وَإِنِّي لأَرَى أَبْصاراً طَامِحَةً، وأعْنَاقاً مُتَطَاوِلَةً، ورُؤُوساً قد أَيْنَعَتْ وحانَ قِطَافُها، وَإِنِّي لَصَاحِبُها وَكَأَنِّي أَنْظُرُ إلى الدِّمَاءِ بينَ العَمَائِمِ واللِّحَى تَتَرَقْرَقُ... إِنِّي واللهِ يا أهلَ العراقِ، ومَعْدِنَ الشِّقَاقِ والنِّفَاقِ، وَمَساوِئِ الأَخْلاقِ ما يُقَعْقَعُ لي بالشَّنَانِ، ولا يُغْمَزُ جَانِبِي كَتَغْمَازِ التِّيْنِ، ولقد فُرِرْتُ عن ذَكَاءٍ، وفُتِّشْتُ عن تجربةٍ، وجريتُ إلى الغايةِ القُصْوى، وَإِنَّ أميرَ المؤمنينَ أطالَ اللهَ بقاءَه نَثَرَ كِنَانَتَهُ بينَ يَدَيْهِ، فَعَجَمَ عِيدَانَها، فَوَجَدَنِي أَمَرَّها عُوداً وَأَصْلَبَها مَكْسَراً، فرماكم بي لأنَّكم طَالَمَا أَوْضَعْتُم في الفتنِ، واضْطَجَعْتُم في مَرَاقِدِ الضَّلالِ، وَسَنَنْتم سَنَنَ الغَيِّ.أَمَا واللهِ لأَحْزُنَّكم لَحْوَ العَصَا، ولأَقْرَعَنَّكم قَرْعَ المروةِ..."[٥٨].

تُصوّرُ الخطبة سياسة الحجّاج التي تقوم على العنف والبطش. ومن ناحية أخرى تكشف لنا عن فصاحته، وبلاغته وحفظه للشِّعر، إذ اتّخذه فاتحة لخطبه. وكان يُعنى باختيار ألفاظه، ملتمساً منها ما ليس متوعّراً وحشياً، ولا ساقطاً سوقياً، وهو حقاً يُعدُّ من أشهر خطباء بني أمية، حتى ليقول عنه

---

٥٦ – ينظر: شمس الدين أبو العباس ابن خلّكان، وفيات **الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، (تح: إحسان عبّاس، دار صادر، بيروت، ١٤١٤هـ، ١٩٩٤م). ١/ ١٢٣.

٥٧– يُنسب البيت للشاعر الجاهلي سحيم بن وثيل.

٥٨ – ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، ٤/ ٢٠٨-٢٠٩.

مالك بن دينار: "ربما سمعت الحجاج يخطب، يذكر ما صنع به أهل العراق وما صنع بهم، فيقع في نفسي أنهم يظلمونه، وأنه صادق، لبيانه وحسن تخلّصه بالحِجَاج"[٥٩].

ومن خطبه البليغة خطبته بعد وقعة دير الجماجم التي انتصر فيها يقول:" يا أهل العراق، إنّ الشيطان قد استبْطَنَكُم فخالَطَ اللّحمَ والدّم، والعصَب والمسامِعَ، والأطراف والأعضاء، والشَّغاف، ثم أفضى إلى الأمخاخ والأصماخ، ثم ارتفع فعَشّش، ثم باض وفرّخ، فَحَشاكم نِفاقاً وشقاقاً، وأشعرَكُم خِلافاً، واتّخذتموه دليلاً تتّبعونه، وقائداً تُطيعونه، ومُؤامَراً تستشيرونه، فكيف تنفعكمْ تجربةٌ، أوْ تعِظُكم وقَعة، أو يحجِزُكم إسلام، أو ينفعُكم بيان، ألستم أصحابي بالأهواز، حيثُ رُمْتُم المِكْر، وسعيتم بالغَدْر... ثمّ يومُ الزّاوية وما يوم الزّاوية، به كان فشلُكم وتنازُعكم وتخاذُلُكم، وبراءة الله منكم، ونكوصُ وليّكم عنكم، إذ وليّتُم كالإبل الشَّواردِ إلى أوطانها، النَّوازعِ إلى أعطانها لا يَسأل المرء عن أخيه ولا يَلْوي الشَّيخُ على بَنيه، حتى عَضَّكم السِّلاح، ووَقَصَتْكم الرِّماح، يومُ دَير الجماجم، وما يومُ دير الجماجم؟ به كانت المعاركُ والمِلاحم، بضَرْبٍ يُزيل الهامَ عن مَقِيله، ويُذْهِلُ الخليلَ عن خليله "[٦٠]

٢- خطباء الفرق الدينية (خطباء الخوارج)

الخوارج، "فرقة إسلامية، خرجوا على علي وصحبه رافضين التحكيم، نادوا "لا حكم إلا لله". أغلبهم بدو تحصنوا حروراء لذلك سمُّوا بالحرورية، ناظرهم علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وأظهر لهم الحجة في قبوله التحكيم. تفرَّقوا خلال مسيرتهم إلى فرقٍ عدَّة، أشهرها الأزارقة التي زعمت أن كل كبيرة كفرٌ وشرك، يرون أن الخلافة لا بد أن تتم عن اختيار حرٍّ وليس لمن اختير أن يتنازل أو يحكّم. لذلك أقروا خلافة الشيخين، وخلافة عثمان في سنيّه الأولى، وخلافة علي إلى أن قبل التحكيم، يرون كذلك

٥٩ - الجاحظ، **البيان والتبيين**، ١/ ٣٩٤.

٦٠- صفوت، أحمد زكي، جمهرة خطب العرب، ص ٢٧٩ – ٢٨٠ .

أن العمل جزء من الإيمان، فتارك الفرائض يحارب على تركها". [٦١]

لم يكن خطباء الأحزاب والفرق الأخرى أقل شأناً من خطباء بني أميّةَ، فالخوارج راحوا يصفون بني أمية بجورهم في الأحكام وتعطيلهم حدود الله، ويتناولونهم بألسنة حداد، وقد يضيفون إلى ذلك مواعظ تصور عمق تدينهم، وتمسكهم بالعروة الوثقى، ومن أشهر خطبائهم:

– **قطريُّ بن الفجاءة(٧٨هـ)**: (أبو نعامة) ابن الفجاءة (واسمه جعونة) ابن مازن بن يزيد الكناني المازني التميمي: من رؤساء الأزارقة (الخوارج) وأبطالهم. من أهل "قطر" بقرب "البحرين" كان خطيباً فارساً شاعراً. استفحل أمره في زمن مصعب بن الزبير، لما ولي العراق نيابة عن أخيه عبد الله. وبقي قطريّ ثلاث عشرة سنة يقاتل ويسلّم عليه بالخلافة وإمارة المؤمنين. والحجاج بن يوسف يسيّر إليه جيشاً بعد جيش، وهو يردهم ويظهر عليهم. وكانت كنيته في الحرب أبا نعامة (ونعامة فرسه) وفي السلم أبا محمد. قال صاحب سنا المهتدي في وصفه: "كان طامَّة كبرى وصاعقة من صواعق الدنيا في الشجاعة والقوة وله مع المهالبة وقائع مدهشة، وكان عربياً فصيحاً مفوهاً وسيداً عزيزاً، وشعره في الحماسة كثير". وهو صاحب الأبيات المشهورة التي أولها:

"أقول لها وقد طارت شعاعاً من الأبطال ويحك لا تراعي"

اختلف المؤرخون في مقتله، فقيل: عَثَرَ به فرسُهُ، فاندقَّت فخذه، فمات، وجيء برأسه إلى الحجاج. وقيل: توجه إليه سفيان بن الأبرد الكلبي، فقاتله وقتل في المعركة، بالريّ أو بطبرستان"[٦٢].

وتحتفظ كتب الأدب له بموعظة رائعة قال فيها بعد أن حمد الله وأثنى عليه وصلّى على نبيه:

---

٦١ – عبد القاهر بن طاهر محمد البغدادي، **كتاب الملل والنحل**، (تح: ألبير نصري نادر، دار المشرق، بيروت، ١٩٨٦م)، ١٦٣–١٥٧.

٦٢– الجاحظ، **البيان والتبيين** ١: ٣٤١.

"أمّا بعد فإنّي أحذّركم الدنيا؛ فإنّها حلوة خضرة، حُفّت بالشهوات، وراقت بالقليل، وتحبّبت بالعاجلة، وحلّيت بالآمال، وتزيّنت بالغرور، لا تدوم حَبرتها[٦٣]، ولا تؤمن فجعتها، غرّارة ضرّارة، خوّانة غدّارة، حائلة زائلة، نافدة بائدة، أكّالة غوالة، بدلة[٦٤] نقالة، لا تعدو إذا هي تاهت إلى أمنية أهل الرّغبة فيها، والرّضا عنها، أن تكون كما قال الله: ﴿وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا كَمَآءٍ أَنزَلۡنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخۡتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلۡأَرۡضِ فَأَصۡبَحَ هَشِيمٗا تَذۡرُوهُ ٱلرِّيَٰحُۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ مُّقۡتَدِرًا [الكهف: ٤٥] مع أنّ امرأً لم يكن منها في حبرة إلاّ أعقبته بعدها عَبرة، ولم يلق من سرّائها بطناً إلاّ منحته من ضرّائها ظهراً..."[٦٥]. يحذّر قطري بن الفجاءة من الانخداع بالدنيا وشهواتها ويؤكّد للمستمعين بأنها دار فناء وليست بدار بقاء، وتأتي خطبته على شكل مواعظ وحكم، وسوف ندرسها دراسة أسلوبية مفصلة في الفصل الثالث.

-أبو حمزة الخارجيّ الشهير بالشّاري (١٣٠هـ): هو المختار بن عوف الأزدي، أحد خطباء الخوارج وفرسانها، ولد في البصرة ونشأ فيها، حارب بني أمية، كان ملمّاً بالتاريخ، عارفاً بالفقه، ذا بصيرةٍ بالقرآن، توفي سنة ١٣٠ هـ. [٦٦]

وقد روى له الجاحظُ خطبة طويلة ألقاها في أهل مكة، يصفُ أصحابه، ونضالهم دون عقيدتهم وصفاً رائعاً، إذ قال: "... شَبابٌ والله مُكتَهِلونَ في شَبابِهم، غَضِيضَةٌ عن الشَّرِ أعيُنُهم، ثقيلةٌ عن الأطْلِ أرجلهم، أنضاءُ عبادةٍ وأطلاحُ سهرٍ، ينظرُ اللهُ إليهم في جَوفِ الليلِ منحنيةٌ أصلابُهم على أجزاء القرآنِ، كلّما مرّ أحدُهم بآيةٍ من ذِكرِ الجَنَّةِ بكى شوقاً إليها، وإذا مرّ بآيةٍ من ذكر النارِ شَهَقَ

---

٦٣ – الحبرة: السرور والنعمة وسَعة العيش.

٦٤ – بدلة: أراد هنا كثرة التبديل.

٦٥ – الجاحظ، **البيان والتبيين**، ١٢٦/٢-١٢٩.

٦٦ – الجاحظ، **البيان والتبيين**، ١٢٢/٢ .

شهقةً كأنّ زفير جهنّم بين أذنيه"[٦٧].

٣- خطباء آل البيت والشيعة

كان خطباء آل البيت ومَن والاهم لا يقلون أهميَّةً عن خطباء باقي الأحزاب والفرق، ومن أشهر خطباء آل البيت الحسين بن علي رضي الله عنه، وزيد بن علي، وأم كلثوم بنت علي، أما خطباء الشيعة فأشهرهم المختار الثقفي، وسليمان بن صُرَد وكثيرون، وقد هاجموا بني أمية من على منابرهم، ودافعوا عن حقِّ علي وأولاده في خلافة المسلمين، وإعادتها إلى بيت النبوة،" وحملة الرسالة القدسية للهادين والمهديين والأئمة المنتظرين"[٦٨].

-أم كلثوم بنت علي بن أبي طالب (ت:... هـ):

هي خامسُ أولادِ علي بن أبي طالب وفاطمة رضي الله عنهما، وتسمى زينب الصغرى للتمييز بينها وبين أختها زينب الكبرى، وُلِدت في المدينة المنورة وتوفِّيت في دمشقَ، تزوجها عمر بن الخطاب وهي صغيرة وبعد أن مات تزوجها محمد بن جعفر بن أبي طالب، وقد اختلف المؤرخون في سنة وفاتها فمنهم من قال بأنها توفيت سنة ٥٠ هـ، ومنهم من قال سنة ٦٠ هـ، شهدت معركة كربلاء التي قُتلَ فيها الحسين رضي الله عنه، كان لها دور بطولي في معركة كربلاء، وقد خطبت في أهل الكوفة خطبة أظهرت فيها بلاغتها وغضبها على أهل الكوفة الذين خذلوا أباها من قبل وأخاه في هذه المعركة[٦٩].

"أَمَّا بَعْدُ يَا أَهْلَ الْكُوفَةِ يَا أَهْلَ الْخَتْلِ وَالْغَدْرِ وَالْخَذْلِ أَلَا فَلَا رَقَأَتِ الْعَبْرَةُ وَلَا هَدَأَتِ الرَّفْرَةُ إِنَّمَا

---

٦٧ - الجاحظ، **البيان والتبيين**، ١٢٥/٢.

٦٨ - شوقي ضيف، الفن **ومذاهبه في النَّثر العربي**، ٦٩.

٦٩ - عائشة عبد الرحمن، بنت الشاطئ، **السيدة زينب عقيلة بني هاشم**، (طبع بيروت - لبنان، ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٥ م، منشورات دار الكتاب العربي). ١٦.

مَثَلُكُمْ كَمَثَلِ الَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكاثاً تَتَّخِذُونَ أَيْمانَكُمْ دَخَلاً بَيْنَكُمْ. هَلْ فِيكُمْ إِلَّا الصَّلَفُ وَالْعُجْبُ وَالشَّنَفُ، وَالْكَذِبُ، وَمَلَقُ الْإِمَاءِ، وَغَمْزُ الْأَعْدَاءِ أَوْ كَمَرْعًى عَلَى دِمْنَةٍ أَوْ كَفِضَّةٍ عَلَى مَلْحُودَةٍ .أَلَا بِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ وَفِي الْعَذَابِ أَنْتُمْ خَالِدُونَ أَتَبْكُونَ أَخِي أَجَلْ وَاللَّهِ فَابْكُوا فَإِنَّكُمْ أَحْرَى بِالْبُكَاءِ فَابْكُوا كَثِيراً وَاضْحَكُوا قَلِيلاً..." [٧٠]

نلاحظ من خلال الخطبة أن السيدة أم كلثوم تضع اللوم على أهل الكوفة في مقتل أخيها الحسين بن علي رضي الله عنهم جميعا، وتصفهم بأوصاف سيئة، وتشير إلى أنهم لا يلتزمون بعهودهم وأن إيمانهم عبارة عن كذب، ثم تصفهم بالغدر والخيانة والكذب وأنهم كالأموات في أجساد أحياء. ونلاحظ من خلال الخطبة بلاغة السيدة زينب وفصاحتها، إذ استخدمت فنوناً بلاغيةً كثيرة في جملٍ قصيرةٍ ومعبرةٍ.

-المختار بن أبي عبيد الثقفي (٦٧هـ):

قائد عسكريّ طالب بدم الإمام الحسين بن علي وقتل جمعاً من قتلته ممّن كان بالكوفة وغيرها[٧١].

يقول في خطبة له: " أما ورَبِّ الْبِحَارِ، وَالنَّخِيلِ وَالْأَشْجَارِ، وَالْمَهَامِهِ وَالْقِفَارِ، وَالْمَلَائِكَةِ الأبرار، والمصلين الأخيار، لأقتلنَّ كل جبار، بكل لدنٍ خطَّار، ومهنَّد بتَّار، بجند من الأخيار، وجموع من الأنصار، ليسوا بميل الأغمار، وَلَا بِعُزَّلٍ أَشْرَارٍ، حَتَّى إِذَا أَقَمْتُ عَمُودَ الدِّينِ، وَجَبَرْتُ صَدْعَ الْمُسْلِمِينَ، وَشَفَيْتُ غَلِيلَ صُدُورِ الْمُؤْمِنِينَ، وَأَدْرَكْتُ ثَأْرَ أَوْلَادِ النَّبِيِّينَ، لَمْ أَبْكِ عَلَى زَوَالِ الدُّنْيَا، وَلَمْ أَحْفِلْ بِالْمَوْتِ إِذَا دَنَا. "[٧٢].

في هذه الخطبة يتوعَّدُ المختار بن أبي عبيد خصومه بأنه سيقاتلهم في أي مكان يجدهم فيه

٧٠ – صفوت، أحمد زكي، جمهرة خطب العرب، ص ١٢٤.

٧١ – الأعلام، خير الدين الزركليّ، ج ٧، ص١٩٢.

٧٢ – الطبريّ، تاريخ الطبريّ، ج٧، ص٦٥.

ولن يرحمهم أبدا، وسيبقى يقاتلهم حتى يستقيمَ أمرُ الدِّين ويريح بذلك المسلمين من أعدائهم وخصومهم.

نلاحظ أن المختار قد استخدم فنوناً بلاغيَّةً متعددة، وقد ضمَّن خطبته السجع والاستعارة والاقتباس والقسم.

- **سليمان بن صُرد (٦٥هـ):**

صحابيٌّ من قبيلة خُزاعة. أسلم في المدينة المنوّرة على يد النبيّ صلى الله عليه وسلَّم، وكان اسمه يسار، فلما أسلم سمّاه النبيّ سليمان. وبعد فتح العراق، نزل الكوفة، وشهد مع علي بن أبي طالب معاركه كلها[٧٣].

يقول في خطبة له عندما اقتربوا من عدوّهم وأصبحوا مع العدوّ وجها لوجه:

" أَمَّا بَعْدُ، فقد أتاكم اللَّه بعدوِّكم الَّذِي دأبتُم فِي المسير إِلَيْهِ آناء الليل والنهار، تريدون فِيمَا تظهرون التوبة النَّصوحَ، ولقاء اللَّه معذرين، فقد جاؤوكم بل جئتموهم أنتم فِي دارهم وحيزهم، فإذا لقيتموهم فاصدقوهم، واصبروا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ، وَلا يولينَّهُم امرؤ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفاً لِقِتالٍ أَوْ مُتَحَيِّزاً إِلى فِئَةٍ: لا تَقْتُلُوا مُدْبِراً، وَلا تُجْهِزُوا عَلَى جَرِيحٍ، وَلا تقتلوا أسيرا من أهل دعوتِكُم، إلا أن يقاتِلَكُم بعد أن تأسروه، أو يكون من قَتَلَةِ إخواننا بالطَّفِ رحمة اللَّه عَلَيْهِم، فإن هَذِهِ كَانَتْ سيرة أَمِير الْمُؤْمِنِينَ عَلِيّ بن أبي طالب فِي أهل هَذِهِ الدعوةِ "[٧٤].

يدعو سليمان بن صُرد أصحابه إلى قتال عدوهم بعدَ أن أصبحوا قريبين منهم، ويطلبُ من أصحابه أن يصبروا في القتال ولا يهربوا من عدوّهم، ثم ينتقلُ إلى وصيَّة لأصحابه بألَّا يقتلوا من يهرب

٧٣- خير الدين الزركليّ **الأعلام**، ، ١٢٧/٣.

٧٤ - صفوت، أحمد زكي، جمهرة خطب العرب، ج٢، ص ٦٤.

أمامهم في المعركة، ولا يقتلوا الأسرى والجرحى، وينصحهم باتباع سيرة علي بن أبي طالب رضي الله عنه في القتال.

وعلى هذا النحو كان لكل حزب خطباؤه الذين يذودون عنه، وينافحون عن مبادئه، وقد بعث ذلك على نهضة الخطابة السياسية في هذا العصر نهضة واسعة، ولعلّ هذه النهضة هي التي جعلت المؤرخين حين يعرضون علينا الآراء السياسية أو المذهبية لزعماء هذا العصر يعرضونها علينا في شكل خطب تقرع بها الأسماع، وتجذب القلوب إليها.

نلاحظ ممّا سبق أنّ فنّ الخطابة قد ارتقى في العصر الأمويّ وأصبح من أهمّ المنابر التي تدعو إلى هذه الدولة الوليدة، وذلك بسبب الأحداث السياسيّة التي طرأت في هذا العصر، حيث اتّخذ كلّ حزب سياسيّ أو دينيّ من المنبر وسيلة لنشر أفكاره، ممّا أدّى إلى التنافس بين الفرقاء لإيصال رسائلهم إلى جمهورهم.

المطلب الثاني: الرسائل الفنيَّة في العَصْرِ الأمويِّ

ازدهرت الرسائل الفنيَّة في العصر الأموي ازدهاراً رائعاً، فقد توطَّدت سلطة الدولة، وأمِنَ الناسُ، وتعددت حاجاتهم، وأصبحت حاجتهم للرسائل ملحَّة، فتنوعت الرسائل التي تبادلوها، فمنها ما كان للأمور الشخصية، ومنها رسائل أدبية ومنها ما كان يخص أمور الدولة أو ما يسمى بالرسائل الديوانية.

وقد رصدَ النقاد حركة الرسائل الفنية في التراث العربي فهذا المرزوقي (ت ٤٢١هـ) يجعل المترسلين مقابل الشِّعراء، حيث يقول:" لماذا أكثر المترسلين لا يفلقون في قرض الشِّعر، وأكثر الشِّعراء

لا يبرعون في إنشاء الرسائل"[٧٥]. فقد جعل المترسلين مقابل الشِّعراء وجعل قرض الشِّعر مقابل إنشاء الرسائل.

كما ألَّف محمد بن عبدوس الجهشياري كتاب الوزراء والكتاب[٧٦]، وقد رصد فيه حركة الكتَّاب والرسائل مع أخبارهم منذ عصر الرسول صلى الله عليه وسلم حتى أيام المأمون مع مقدمة تحدث فيها عن أوائل الكتابة والكتَّاب أيام ملوك الفرس.

وقد ألَّف محمود بن سليمان الحلبي (ت ٧٢٥ هـ) كتاباً بعنوان حسن التوسُّل إلى صناعة الترسل.

أمَّا مؤرخو الأدب الحديث فقد استخدموا الترسُّل بمعناه الاصطلاحي، فمثلاً عمر فروخ في كتابه الرسائل والمقامات يقول: " إن الترسل إذا كان معروفاً عند العرب فإن عبد الحميد الكاتب قد جعله فنَّاً له قواعده وأصوله، ولا شكَّ أنه أول من أطال الرسائل".[٧٧]

أولاً: تعريف الرسائل الفنيَّة

الترسُّل من الفعل أرسل يرسل إرسالاً وجذره اللغوي رَسَلَ[٧٨]،

أمَّا في الاصطلاح فإنَّ أول إشارةٍ إلى التَّرسُّل بمعنى إرسال الرسائلِ وتبادلها بين الأشخاص جاءت في كتاب البرهان في وجوه القرآن لابن وهب حيث يقول: "الترسُّل من ترسلتُ أترسَّلُ ترسُّلاً،

---

٧٥ أحمد بن محمد المرزوقي، شرح **ديوان الحماسة(مقدمة)**، (تحقيق أحمد أمين وعبد السلام هارون، لجنة التأليف والنشر،٤ مجلدات، القاهرة، ١٩٥١م)، ١٦/١.

٧٦ – محمد بن عبدوس الجهشياري، كتاب **الوزراء والكتَّاب**، (تحقيق مصطفى السقا بالتعاون، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، الطبعة الأولى، ١٩٣٨م). ١٤.

٧٧ – عمر فروخ، الرسائل **والمقامات**، (دار صادر، بيروت، ١٩٤٢م،) ٧.

٧٨ – ابن منظور، **لسان العرب**، مادة رسل.

وأنا (مُترَسَّل)، ولا يقال ذلك إلا فيمن تكرَّر فعلهُ في الرسائل" [٧٩].

وقد تعدَّدت الأسماء التي تأخذ معنى الترسُّل فمنها: التَّدوين، والتوثيق، والنقل، والتَّسجيل، والتأليف، والإنشاء"[٨٠].

"وتعودُ البداية الفعليَّة لتطور الرَّسائل المدوَّنة إلى فترة حياة النبي صلى الله عليه وسلَّم، حيث كتبَ إلى قواده العسكريين وإلى ملوك الدول المحيطة بشبه الجزيرة العربية: كسرى الفرس في فارس، وهرقل الروم في الشام، ومقوقس القبط في مصر، والنجاشي في الحبشة، وكان أغلب هؤلاء يردون عليه برسائلٍ مماثلة "[٨١].

وقد تمَّ تنظيم ديوان الرسائل في العصر الأموي ضمن إدارة خاصة بغية ربط مركز الخلافة دمشق بأطراف الدولة، كما أولى الخلفاء أهميةً خاصةً للرسائل حيث يقول عبد الملك بن مروان لحاجبه: " والبريد فمتى جاء من ليل أو نهار فلا تحجبه " [٨٢]. وكذلك زياد ابن أبيه يقول لحاجبه الذي يستلم البريد: " فأدخله عليَّ ولو كنتُ في لحافي"[٨٣].

ثانياً: فنُّ الرَّسائل وأنواعُهُ في العَصر الأُمويّ

تُعَدُّ الرَّسائلُ من "الفُنونِ الكتابية ذات الأهميَّة البالغة في حياة الأفراد والشُّعوب، وكانَ للحضارةِ الإسلاميَّة نصيب وافر من العنايةِ بهذا الفنِّ، عبر العصور المختلفة في شتَّى البلدانِ والدُّول"[٨٤].

---

٧٩ – ابن وهب، **البرهان في وجوه البيان**، ١٩٢.

٨٠– فخري خليل النجار، الأسس **الفنية للكتابة والتعبير**، (الأردن، ط١، ٢٠٠٧م)، ٧٥.

٨١ – محمود المقداد، **الترَّسُّل في الأدب العربي**، (مجلة البيان الكويتية، العدد٤٨)، ٣٩.

٨٢ – أبو العباس أحمد القلقشندي، **صبح الأعشى**، (دار الكتب المصرية بالقاهرة، ١٣٤٠هـ/١٩٢٢م)، ١٤ / ٣٦٨.

٨٣ – المصدر السابق نفسه.

٨٤– محمد يونس عبد العال، **في النَّثر العربي، قضايا وفنون ونصوص**، (دار نوبار، القاهرة، ط١، ١٩٩٦م)، ١٦١.

ومع تطوُّر الحياة السياسية تطوَّر فنُّ الرسائل تطورا عظيما، وذلك من خلال دخول ثقافات أجنبية ساعدت على تطور هذا الفن:" إذ تَحضَّر العربُ، وأخذوا يستعيرون كثيراً من النُّظم الأَجنبيَّة، ومواد الثقافات لدى الأمم المفتوحَة"[٨٥] فأصبحنا نرى دواوين الرسائل في الولايات الإسلامية: "فلم يزل بالكوفةِ والبصرة ديوانان أحدهما بالعربية والآخر بالفارسية"[٨٦].

وتُقسَمُ الرَّسائِلُ إلى:

– الرَسَائل السياسيَّة: وهي التي تصدر عن دواوين الخلفاء والولاة التي انتشرت بشكل كبير في أيام معاوية وعبد الملك بن مروان، وتعتبر هذه الرسائل أرقى أنواع الرسائل وأهمها من حيث الشكل والسَّبك والفصاحة:" لأن القائمين عليها عادة يكونون ذروة في الفصاحة والبيان"[٨٧]. وقد كان يقوم بهذه المهمة في دواوين الخلفاء أشخاصٌ احترفوا مهنة المكاتبة بين دواوين الخلفاء والولاة المنتشرة في أصقاع الدولة الإسلامية، وقد استلم هذه المهمة في البداية أجانبٌ يكتبون بلغتهم إلى أن تمَّ تعريب الدواوين ونقلها إلى العربية.

– الرسائل الاجتماعية وهي التي يتبادلها الناس فيما بينهم، وتأخذ طابعاً فنيَّاً من خلال الاعتناء بها، وتضمينها أنواعاً من الفصاحة والبلاغة والبيان، وقد ساعد في انتشارها توسُّع رقعة الدولة الإسلامية، الأمر الذي جعل الناس يتراسلون في مناسباتهم، والاطمئنان على بعضهم.

لم يهتم النقادُ كثيرا بهذه المراسلات لأنها كانت تختصُّ بالأشخاص:" ومع ذلك نجد آثاراً منها يرجع بعضها إلى صدر الإسلام، أو عصر بني أميَّة، وربَّما كان عبد الله بن معاوية من أشهر كتابها "[٨٨].

٨٥– شوقي ضيف، **الفن ومذاهبه في النَّثر العربي**، ١٠٠.

٨٦ – الجهشياري، **كتاب الوزراء والكتَّاب**، ٣٨.

٨٧– شوقي ضيف، **الفن ومذاهبه في النَّثر العربي**، ١٠٣.

٨٨– المرجع السابق، ١٠٥.

ثالثاً: الأُسلوب في الرسائل

يُلاحَظُ في الرسائل منهجاً يتَّبعهُ أغلب الكتَّاب في رسائلهم، حيثُ يثبِّتون البسملة في رأس الرسالةِ، كما كانوا يذكرون اسم المرسِلِ والمرسَلُ إليه، إضافةً إلى السلام الافتتاحي الذي يكون من آداب اللياقة الإسلامية، يلي ذلك غالباً تحميد الله وتمجيده، ثم يأتي بعد ذلك صيغة لفصل المقدمات والدخول في مضمون الرسالة، وصيغة الفصل تكون عادة بـ (أمَّا بعدُ) أو (وبعدُ) ثم يختم الكاتب رسالته بالوداع وختم الرسالة بخاتم المرسل، وقد يثبِّت الكاتب التاريخ، وقد يضع ذيلاً للرسالة إن كان قد نسيه في متن الرسالة.

أمَّا إذا انتقلنا إلى الأساليب الفنيّة للرسائل نلاحظ أنَّ الكتَّاب اعتمدوا في رسائلهم على أساليب فنيَّة وجمالية عدَّة، كاعتمادهم على السجع مثلاً، نرى ذلك في رسائل الحجاج، ومن هذه الرسائل ماكتبه إلى قطري بن الفجاءة:" إنك عاصٍ لله ولولاة أمره، غير أنك أعرابيٌ جلفٌ أميّ، تستطعم الكسرة، وتشتفي بالتمرة، والأمور عليك حسرة، خرجت لتتناول شبعة"[٨٩].

فقد استخدم الحجاج السجع في رسالته واستخدم حرف التاء لنهاية فواصل السجع (الكسرة، التمرة، حسرة، شبعة).

فردَّ عليه قطري بن الفجاءة:" لعمري يا ابن أم الحجاج إنَّك لميت في جبلَّتك، مُطلخمٌ في طريقتك، واهٍ في وثيقتك، لا تعرف الله ولا تجزع في خطيئتك." [٩٠]

٨٩ – الجاحظ، **البيان والتبيين**، ٢/ ١٦٥.

٩٠ – الجاحظ، **البيان والتبيين**، ٢/١٦٥.

فقد بني رسالته على السجع واستخدم في الفاصلة حرف الكاف (جبلتك، وثيقتك، طريقتك، خطيئتك).

وكذلك المختار الثقفي كان يسجع في رسائله، ومنها رسالته إلى سليمان بن صُرد حين قدموا من قتال زياد بن أبيه:" فإنَّ اللهَ أعظمَ لكم الأجر، وحطَّ عنكم الوزر، بمفارقة القاسطين، وجهاد المحِلّين"، فقد بنى رسالته على السجع واستخدم (الأجر، الوزر- القاسطين، المحِلّين). وكان كثيرٌ من الكُتَّاب يبنون رسائلهم على السَّجع، نجد هذا في رسالة نجد بن الأشعث الذي أمر فيها كاتبه أن يبنيها على السجع ويرسلها للحجاج: "إنِّي أريدُ أن أكتبَ إلى الحجَّاج كتاباً مسجعاً أُعَرِّفُهُ فيهِ سُوءَ فِعَالِهِ، وأُبَصِّرُه قبح سريرته"[٩١]، فيرسل له ابن القريّة رسالة بنيت على السَّجع، يقول فيها:" فإنَّ الله أنهضني لمصاولتك، وبعثني لمناضلتك، حين تحيَّرت أمورك، وتهتَّكت ستورك"[٩٢]. وهكذا إلى نهاية الرسالة، فيرد عليه الحجاج برسالة مسجوعة، يقول فيها:" أحمد الله الذي خلَّاك في حَيْرتك، إذ بهتك في السيرة، وهلَّلك للضرورة، وعسكرت فيها في الكفر، وذهلت فيها عن الشكر"[٩٣].

وقد يستخدمُ المترسِّل ألفاظاً غريبة يعتمدُ فيها على الفصاحة ليلفتَ بها نظر السَّامع أو القارئ، نجد هذا النوع في رسالة يزيد بن المهلب إلى الحجاج حيث أمر كاتبه يحيى بن يعمر أن يكتب للحجاج: "إنَّا لقينا العدوَّ، فمنحنا الله أكتافهم، فقتلنا طَائفة وأسرنَا طَائفة، ولحقت طَائفة برؤُوس الجبال وعرائر الأودية وأهضام الغيطان، وبتنا بعرعرة الجبلِ، وباتَ العدو بحضيضهِ"[٩٤].

وقد أعجب الحجاج بأسلوب هذه الرسالة وأرسل في طلب يحيى بن يعمر كاتبها، وسألها عن

---

٩١ – صفوت، أحمد زكي، جمهرة رسائل العرب، ١٩٢.

٩٢ – ابن قتيبة، **الإمامة والسياسة**، ٢٦/٢.

٩٣ – ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ٢٨/٢.

٩٤ – الجهشياري، كتاب **الوزراء والكتَّاب**، ٤١.

سبب فصاحته واعتماده على غريب الكلمات، وعيَّنه على البريد"[٩٥]. ومن يقرأ هذه القصة يرَ أنَّ الكتَّاب بدأوا يبتكرون طرقاً جديدة في كتابة رسائلهم، وبدأوا يرصِّعون رسائلهم بالسَّجع والغريب من الكلام، وتزيينها بألفاظ غير مألوفة، وغير متداولةٍ بين الناس.

ومن الرسائل التي تميزت بالصناعة والاتقان، ما دار بين عبد الملك بن مروان وعمرو بن سعيد بن العاص. وقد كتب عبد الملك رسالة يتوعد فيها عمرو بن سعيد، قال فيها:" أمَّا بعد، فإن رحمتي تصرفني عن الغضب عليك، لتمكُّن الخَدْع منك، وخذلان التوفيق إياك، نهضت بأسبابٍ وهَّمتك أطماعك أن تستفيد بها عزًّا"[٩٦]. إلى آخر الرسالة المصنوعة بإتقان، فيردُّ عليه عمرو بن سعيد برسالة مصنوعة ومتقنة مثلها، يقول:" استدراج النعم إياك أفاد البغي، ورائحة القدرة أورثتك الغفلة، فزَجَرْتَ عما وافقت عليه، وندبت إلى ما تركت سبيله"[٩٧]. إلى آخر الرسالة.

ومن الرسائل التي ظهر فيها الاعتناء بالأسلوب رسالة هشام بن عبد الملك إلى خالد القسري، فقد تضمنت الكثير من الأساليب الفنيَّة، وتوافر فيها نغمة صوتية تمَّ اختيارها بدقة:" أما بعد، فإن أمير المؤمنين وإن كان أطلق لك يدك ورأبكَ فيمن استرعاه أمره، واستحفظك عليه، للذي رجا من كفايتك، وَثِقَ به من حُسْنِ تدبيرك لم يُفرِشكَ غُرَّةَ أهلِ بيتهِ لتطأه بقدمك "[٩٨]. والرسالة كلها بُنيت على الصَّنعة والبلاغة.

ولم تكن الرسائل الاجتماعية بمعزل عن هذه التطورات التي طرأت على الرسائل السِّياسية، فقد شاركتها الخصائص الفنيَّة نفسها تقريبا، وبنيت على السجع والاهتمام بأسلوبها من حيث البلاغة

---

٩٥ – ينظر القصة في: الجهشياري، كتاب **الوزراء والكتَّاب**، ١٤.

٩٦ – الجاحظ، **البيان والتبيين**، ٢٢٩/٣.

٩٧ – الجاحظ، **البيان والتبيين**، ٢٢٩/٣.

٩٨ – الطبري، **تاريخ الطبري**، ٢٥٠/٨.

والفصاحة، ويمكننا أن نضرب نموذجا لهذا التطوّرِ من خلال رسالة عبد الله بن مُعاوية بن عبد الله بن جَعفر إلى رَجل من إخوانِه:

"أمَّا بعد فقد عاقني الشَّك في أمرك عن عزيمة الرأي فيك، ابتدأتني بلطف عَن غير خبرة، ثم أعقبتني جفاء عن غير ذَنب، فأطمعني أوَّلكَ في إخائك، وأيأسني آخركُ من وفائكَ، فلا أنا في اليوم مجمع لك اطراحاً، ولا أنا في غدٍ وانتظاره منكَ على ثقَة، فسُبْحان مَن لو شاءَ كشفَ بإيضاحِ الرَّأي في أَمرك عن عَزيمة فيكَ، فأقمنا عَلى ائتلاف، أو افترقنَا على اختلافٍ، والسَّلام"[٩٩].

يتضح من خلال الرسالة اهتمام كاتبها بها، حيث ضمنها أنواع البلاغة والبديع من مقابلة وصنعة، ففي جملة: (ابتدأتني بلطفٍ عن غير خبرة) نجد مقابلة مع جملة (أعقبتني جفاءً عن غيرِ ذنبٍ). وكلمات المقابلة هي:(ابتدأتني تقابل أعقبتني) و(لطف تقابل جفاء) و(غير خبرة تقابل غير ذنب).

وفي الجملة الثانية: (فأطمعني أوَّلك في إخائكَ) نجد مقابلة مع جملة (وأيأسني آخرك في وفائك).

رابعاً: أعلام كُتَّاب الرَّسَائل

اشتُهرَ في العصر الأموي عددٌ كبيرٌ من الكُتَّاب منهم عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر، والحسن البصري، وغيلان الدمشقي، والمختار الثقفي، وابن الأشعث، ويزيد بن المهلب بن أبي صفرة، ويحيى بن يعمر الذي أُعْجِبَ الحجاج بأسلوبه، وعمرو بن سعيد بن العاص، وسالم مولى هشام بن عبد الملك الذي كان يتولَّى الرسائل السياسية في عهده، وعبد الحميد الكاتب الذي كان أشهرَ الكُتَّاب في

٩٩- الجاحظ، **البيان والتبيين**، ٢/ ٨٤-٨٥.

العصر الأموي، والذي ذاع صيتُه وعُدَّ النموذج الأمثل لكُتَّاب الرسائل، وفيما يأتي تعريفٌ به ودراسةٌ لنماذجَ من رسائله.

– عَبد الحميد الكَاتِب:

هو "أبو غَالب عبد الحَميد بنُ يحيى بن سَعيد، من مَوالي بَني عَامِر بن لُؤي، وهو فَارسيُّ الأصل، ويقولُ أكثَرُ مَن تَرجمُوا له إنَّه من أهلِ الأنبار بالعِرَاق وسَكنَ الرَّقَّة"[١٠٠].

وكانَ في "أوَّلِ أمرِه ينتقِلُ في القُرى مُعلِّماً في كَتَاتِيبِهَا، وقد عَرَفَ في نَفسِه فصَاحَةً ومَهَارةً بيانيَّة، فالتَحَقَ بدِيوَان هِشَام بن عَبد المِلك"[١٠١]، وأُعجِب به سَالم فأصهَرَ إليه، ومَا زالَ بِه حتَّى خَرَّجَه كَاتِبَاً لا يُبارَى، وكان مروان بن محمد عاملا لهشام بن عبد الملك على أرمينية، وحينما تولَّى الخِلافَة أصبحُ عَبد الحَميد رئيسَ ديوَانِه "وتتوَالى رسَائِلُه الرَّائعة حتَّى إذا هُزمَ مَروَان في مَوقِعَة الزَّاب وَلَّى وَجهَه معَه إلى مِصر حَيثُ قُتِلا مَعَاً في مَعرَكَةِ بُوصير"[١٠٢].

وعبدُ الحَميد من أبلغ كتَّاب العصر الأموي وأبرعهم، فقد سَمَّاه ابن عبد ربه: عَبد الحَميد الأكبَر[١٠٣]، وبقيت شهرته ممتدة إلى يومنا هذا، ومما قيل فيه: "فُتِحَت الرَّسَائلُ بَعَبدِ الحَميد وخُتمَت بابنِ العَميد "[١٠٤]، وفيه يقولُ ابن النَّديم: "عَنهُ أخذَ المترَسِّلُون ولطَريقته لَزِمُوا، وهو الذي سَهَّل سَبيلَ البَلاغَة في التَّرسُّل"[١٠٥].

١٠٠- ابن خلِّكان، **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، (تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ط٧، ١٩٩٤م)، ٣٠٧/١٢.

١٠١- ضيف، شوقي، **الفن ومذاهبه في النَّثر العربي**، ١١٣.

١٠٢- ابن خلكان، **وفيات الأعيان**، ٣٠٧/١٢.

١٠٣- ابن عبد ربه، العقد الفريد، ٢٧٤/١. ويعتقد بأنه سمِّي بالأكبر لأن هناك كاتبا لسليمان بن عبد الملك اسمه عبد الحميد الأصغر، ينظر: العقد الفريد، نفس الصفحة.

١٠٤- عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور الثعالبي، **يتيمة الدهر**، (تح: سعيد محمد قمحية، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٣م، ١٨٣.

١٠٥- محمد بن إسحاق ابن النديم، **الفهرست**، (تح: إبراهيم روضان، دار المعرفة، بيروت، ١٩٩٧م)، ١٧٠.

يقول محمد كرد علي: " نشأ للعربية في أوائل القرن الثاني الهجري كاتبان بليغان يصحُّ أن يدعيا واضعي أساس الإنشاء العربي وناهجي طريقة الكتابة المرسلة ونعني بهما ابن المقفع وعبد الحميد الكاتب"[١٠٦].

وقد أجمعَ كَثِيرُون عَلى "أنَّه أوَّلُ من استخدَمَ التَّحمِيدات في فُصُولِ الكُتب"[١٠٧]، وكأنَّه تَأثَّر في ذَلكَ بتحمِيداتِ واصِل بن عطاء[١٠٨] وغَيره من الوُعَّاظ.

وقد حوَّل عبد الحميد الكاتب مجموعة من الرسائل الديوانية إلى رسَائل أدبيَّة بالمعنَى الدَّقيق لهذِه الكَلمة مُحَاكِياً في ذَلكَ ما كَان يَعرِفُه مِن رسَائل الفُرس الأدبيَّة والتي يُقَالُ إنَّه كَانَ أحدَ نَقَلَتِهَا إلى العَربيَّة، ومِن ذلكَ رسَالَتُه إلى طَائفةِ الكُتَّاب، التي وصف فيها أهميَّة صناعة الرسائل، وأهم ما يجب أن يتصف به القائمين على صناعة هذا الفن، يقول:

"فتنَافَسُوا مَعشَرَ الكُتَّاب في صُنُوفِ العِلمِ والأدبِ وتَفَقَّهُوا في الدِّين وابدؤوا بعِلم كِتَابِ الله عَزَّ وجَل والفَرَائِض، ثُمَّ العَربيَّة فإنَّها ثِقَافُ ألسِنَتِكُم، وأجِيدُوا الخَطَّ فإنَّه حِلْيَةُ كُتبِكُم، وارْوُوا الأشعَارَ واعرِفُوا مَعَانِيها وغَرِيبَهَا، وأيَّامَ العَربِ والعَجَمِ وأحَادِيثهَا وسِيَرِهَا، فإنَّ ذَلكَ مُعِينٌ لكُم عَلى مَا تَسْمُون إليه بهمَمِكُم، ولا يَضعُفَنَّ نظرَكُم في الحِسَاب فإنَّ كُتَّاب الخِراجِ مِنكُم "[١٠٩].

فهو يطلب من الكتَّاب أن يوسِّعوا ثقافتهم في أمور الدين والدنيا، ولا يبتعدوا عن أمور

---

١٠٦ – محمد كرد علي، **رسائل البلغاء**، (در الكتب العربية الكبرى، مصر، ١٩١٣م)، ٦.

١٠٧– كرد علي، **رسائل البلغاء**، ص١٥.

١٠٨– واصل بن عطاء المخزومي (٨٠–١٣١ هـ)، كان تلميذاً للحسن البصري، ومؤسس فرقة المعتزلة .حصل الخلاف بينه وبين الحسن في حكم مرتكب الكبيرة، فاعتزل حلقة الحسن، فقال الحسن "اعتزلنا واصل" فتسمت فرقته بالمعتزلة. توفي في عام 131 هـ الموافق لـ 748 م في المدينة المنورة كان واصل بن عطاء على ما وهبه الله من فطانة وفصاحة وحسن تصرف في القول كان صاحب عاهة في نطق حرف الراء. ينظر (الجاحظ، البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام هارون، لجنة التأليف والنشر، مصر، ج١ ص٣٤ وما بعدها).

١٠٩– شوقي ضيف، الفن **ومذاهبه في النَّثر العربي**، ٤٨٩.

الشريعة، وأن يتجمَّلوا بالعلم والمعرفة والأدب، كذلك توسُّعهم في التاريخ بتاريخ العرب والعجم.

ولعلَّ من أهمِّ الرسائل التي برع فيها عبد الحميد الكاتب، تلك الرسالة التي كتبها إلى أهله يخبرهم ماحلَّ به وبمروان بن محمد بعد هزيمتهم، إذ يقول: "أمَّا بَعد فإنَّ الله جَعلَ الدُّنيا مَحفُوفَةً بالكُرْهِ والسُّرُور، وجَعلَ فيهَا أقسَامَاً مُختلفَةً بين أهلِها، فمَن دَرَّت له بحَلاوَتِهَا وسَاعَدَه الحَظُّ فيهَا سَكَنَ إليهَا ورَضِيَ بَها وأقامَ عَليها، ومَن قَرَصَتْهُ بأظفَارِهَا، وعَضَّتهُ بأنيَابِهَا، وتَوطَّأته بثِقَلِها، قَلاهَا نَافِرَاً عَنهَا، وذَمَّها سَاخِطَاً عَليهَا، وشَكَاهَا مُستزِيداً مِنهَا، وقد كَانت الدُّنيَا أذاقَتنَا مِن حَلاوَتِهَا وأرضَعَتنَا مِن دَرّهَا أفاوِيقَ استحلبنَاهَا، ثُمَّ شَمَّستْ مِنَّا نَافرةً وأعرَضَت عَنَّا مُتنَكِّرةً، ورَمَحَتْنَا مُوَلِّيةً، فمَلُحَ عَذبُهَا، وأَمَرَّ حُلْوُهَا وخَشُنَ لَيِّنُهَا، ففرَّقَتنَا عَن الأوطَان، وقَطَّعَتنَا عن الإخوَان، فدَارُنا نَازِحَة، وطَيرنَا بَارِحَة، قد أخذتْ كُلَّ مَا أعطتْ، وتباعَدَت مِثلمَا تَقَرَّبت، وأعقَبت بالرَّاحَة نَصبَاً، وبالجَذلِ هَمَّا، وبالأمنِ خَوفَاً، وبالعِزِّ ذُلاً، وبالجِدَةِ حَاجَةً، وبالسَّرَّاءِ ضَرَّاءً، وبالحياةِ مَوتاً، لا تَرحَمُ مَن استرحَمَهَا، سَالِكَةٌ بنَا سَبيلَ مَن لا أَوبَةَ له، مَنعيِّين عَن الأولياء، مَقطُوعِين عن الأحياء"[١١٠].

"والرِّسالةُ تحملُ جَميعَ خَصَائِصِ أسلوب عَبد الحَميد التي تَمَيَّزَ بهَا في أُسلُوبِه ومَعَانِيه، فالألفَاظُ مُنتخَبةٌ وليسَ فيهَا توعُّرٌ ولا غَريبٌ وحَشِيّ، وإنَّمَا فيهَا العُذُوبَةُ والحَلاوَة. والمعَاني غَزيرةٌ مُرتَّبةٌ ليسَ فيهَا غُموضٌ ولا خَفَاء، وإنَّمَا فيهَا وضوح وانكشَافُ الدَّلالة، وهو يُعنى بالتَّرادُف في أُسلُوبِه تَرَادُفَاً يَنهَى به إلى ازدِواجٍ واضِح، ازدواجٍ من شَأنِه أنْ يُؤَكِّد المعَانِي بما يحمِلُ من مُعَادَلات مُوسيقيَّة تُثبتُها في الذِّهن وتَجلُوها جَلاءً تَامَّاً، وهو يُضيفُ إلى ذَلكَ حُلَى مِن طِبَاقَاتٍ وتَصوُّرَاتٍ تُضفِي على أُسلُوبِه رَوعَةً بيانيَّة خَلاَّبَة من صَاحِبِ الصَّنعَة الخَفيَّة"[١١١].

١١٠- ضيف، شوقي، **الفن ومذاهبه في النَّثر العربي**، ١١٩.

١١١ - شوقي ضيف، **تاريخ الأدب العربي**، ٤٧٩/٢.

مما سبق نجدُ أنَّ كُتَّاب الرسائل في العصر الأموي اعتنوا ببلاغةِ رسائلِهم عنايةً شديدَة، ومن ثُمَّ طُبعت رسائلُ عصر بني أميَّةَ بالسهولة واليُسرِ، فلا مبالغة ولا تهويل، ولا تصنُّع ولا تكلُّف.

المطلب الثالث: فنُّ التوقيعات

يُعدُّ فنّ التوقيعات أحد الفنون النثرية التي لم يُكتب لها الشهرة الواسعة كغيرها من سائر الفنون، وقد انتشرت منذ العصر الإسلامي، وشاعت في العصر الأموي، وازدهرت في العصر العباسي. وقد امتازت بالمعاني الوجيزة والجامعة، واختصّ بها أصحاب النفوذ والشهرة. وكان للتوقيعات مكانة مهمة لقدرتها البالغة في التأثير؛ لاعتمادها على فنون البلاغة من اقتباس وسجع وتقديم واستعارة وغير ذلك.

وسنكشف من خلال دراستنا الخصائص التركيبية لتوقيعات العصر الأموي التي لم تنل حظها بالدّراسة بشكل كافٍ، فقد امتازت بالتكثيف وبلاغة العبارة وإيجاز المعاني، وكان غايتها البَتّ في الأمور والحكم فيها لأنها كانت تصدر عن الخلفاء والولاة وأصحاب النفوذ في ذلك العصر.

أولاً: التعريف لغة واصطلاحاً

يدلُّ الجذرُ اللغويُّ للتوقيع على الأثر سواء أكان هذا الأثر حسياً أم معنوياً، فقد جاء في معجم العين "الوَقْعُ: وَقْعَةُ الضَّرب بالشّيء. ووَقْعُ المطرِ، ووَقْعُ حوافِرِ الدّابَّةِ، يعني: ما يُسْمَعُ من وَقعِه. ويقال للطّير إذا كان على أرضٍ أو شجرٍ: هنّ وقوعٌ ووُقَّعٌ... والتَّوقيعُ في الكتاب: إلحاقُ شيءٍ فيه"[١١٢].

١١٢ – الخليل بن أحمد الفراهيدي: **كتاب العين**، (تح: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، منشورات دار الهجرة– قم، ١٤٠٥هـ)، ١٧٦/٢، مادة (وقع).

وجاء في مقاييس اللغة: "وَوَقَعَ الْغَيْثُ: سَقَطَ مُتَفَرِّقًا. وَمِنْهُ التَّوْقِيعُ، وَهُوَ أَثَرُ الدَّبَرِ بِظَهْرِ الْبَعِيرِ. وَمِنْهُ التَّوْقِيعُ: مَا يُلْحَقُ بِالْكِتَابِ بَعْدَ الْفَرَاغِ مِنْهُ"[١١٣].

ولعلّ الأقرب أن يكون التوقيع مأخوذاً من وَقع الإبل إذا اطمأنت بالأرض بعد الرمي، وكأنّ صاحب التوقيع يطمئن إلى ما في الكتاب أو الرسالة فيُصرّف الأمر ويبتّ فيه.

وقد أورده جبور عبد النور في المعجم الأدبي قائلاً: "وقّع الحاكم على كتاب الشكوى: كتب حكمه في القضية المرفوعة إليه بأوجز عبارة"[١١٤].

فالأصل اللغوي للتوقيع هو الإيقاع أو التأثير في الشيء، أو إلحاق أثر حسيّ فيه.

وعرّف القلقشندي التوقيع فقال: "وفي اصطلاح الأقدمين من الكتّاب أنه اسم لما يكتب في حواشي القصص كخطّ الخليفة أو الوزير في الزمن المتقدّم، وخط كاتب السّرّ الآن؛ ثم غلب حتّى صار علما على نوع خاصّ مما يكتب في الولايات وغيرها"[١١٥].

ويُعرّف أيضاً بأنه "عبارات موجزة مركزة يعلق بها الخليفة أو الوالي على ما يرفع إليه من مخاطبات أو التماسات"[١١٦].

وفي معجم المصطلحات العربية: "التوقيع في الأدب العربي هو رأي الحاكم يكتبه على ما يُقدَّم إليه من شؤون الدولة"[١١٧].

١١٣- ابن فارس: **معجم مقاييس اللغة**، (تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م)، ١٣٤/٦.

١١٤ - جبور عبد النور، **المعجم الأدبي**، (دار العلم للملايين، بيروت- لبنان، ط٢، ١٩٨٤م)، ٢٩٤.

١١٥ - القلقشندي، **صبح الأعشى في صناعة الإنشاء**، ١١٤/١١.

١١٦ - محمد صالح الشنطي، **فن التحرير العربي ضوابطه وأنماطه**، (دار الأندلس للنشر والتوزيع- السعودية/حائل، ط٥، ١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م)، ٢٧٤.

١١٧ - مجدي وهبة، وكامل المهندس، معجم **المصطلحات العربية في اللغة والأدب**، (مكتبة لبنان، بيروت، ط٢، ١٩٨٤م)، ١٢٧.

ثانياً: التوقيعات في التراث العربي

١: نشأتها:

ظهر هذا الفن الأدبي مع بدايات ظهور الكتابة وذلك في العصر الإسلامي، إذ لم يكن موجوداً قبل الإسلام؛ لأنّ ظهوره مرتبط ارتباطاً وثيقاً بانتشار التدوين "ومع مجيء الإسلام لم تظهر التوقيعات في بداية هذا العصر لأسباب منها أن الإسلام كان في بداياته، ولم تكن هناك ولايات واسعة ومترامية الأطراف ليتم تبادل الرسائل والتوقيعات"[١١٨]. فقد أُثر أنّ الخليفة الراشدي الأولّ أبا بكر الصديق أوّل من وقّع على الرّقاع، فقد كتب إليه خالد بن الوليد كتاباً من دومة الجندل يستأمره في أمر العدو، فوقّع الخليفة إليه قائلاً: "ادنُ من الموتِ تُوهبْ لك الحياة"[١١٩].

إنّ توقيع الخليفة أبي بكر يُستدل به على أنّ فنّ التوقيعات هو فن إسلامي، فهناك آراء في نشأة هذا الفن بأنه فنّ فارسي، والعرب في أيام الخليفة أبي بكر لم يكونوا قد اتصلوا بالفرس بعد اتصالاً شديدًا، ومن هذه الآراء رأي جرجي زيدان الذي قال: "اقتبس العرب التوقيع... من الفرس؛ لأنهم سبقوهم إلى ذلك"[١٢٠]، وكذلك أشار شوقي ضيف إلى هذا الارتباط فقال: "التوقيعات هي عبارات موجزة بليغة، تعوّد ملوك الفرس ووزراؤهم أن يوقعوا بها على ما يُقدّم إليهم من تظلمات الأفراد في الرعية وشكاواهم، وحاكاهم خلفاء بني العباس ووزراؤهم في هذا الصنيع، وكانت تشيع في الناس ويكتبها الكتّاب ويتحفظونها"[١٢١].

---

١١٨ – عاصم حمدي أحمد عبد الغني، **فن التوقيعات عند الخلفاء الأمويين**، BAÜİFD، Balıkesir Üniversitesi İlahiyat Fakültesi Dergisi، عدد ٣، ٢٠١٧م. ١٥٩.

١١٩ – أحمد زكي صفوت، **جمهرة رسائل العرب**، ٥٣٠/١. ويُنظر: الميداني: **مجمع الأمثال**، (تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة السنة المحمدية، د.م، ١٩٥٥م)، ٤٥٠/٢..

١٢٠ – جرجي زيدان، **تاريخ التمدن الإسلامي**، (دار القلم، بيروت، د.ت)، ٩٢/٤.

١٢١ – ضيف، شوقي: تاريخ الأدب العربي، العصر العباسي الأول، دار المعارف، ط٨، ١٩٦٦م (تاريخ المقدمة)، ٤٨٩.

فنحن إزاء رأيين من آراء العلماء الذين وجدوا أنّ فن التوقيعات هو فن فارسي الأصل، وقد رأى أحمد الحوفي أنّ التوقيعات فن نشأ نشأة عربية خالصة بدليلين[١٢٢]:

أ- أن العرب عرفوا التوقيعات قبل اتصالهم بالفرس، منذ عهد عمر الخطاب إلى أواخر العصر الأموي.

ب- ملائمة أسلوب التوقيعات للسليقة العربية التي تميل إلى الإيجاز والبيان تؤكد أنها من ابتداعهم.

ومهما يكن من أمر، فإنّ التوقيعات موجودة عند العرب وعند الفرس، وتمتاز عند العرب بخصائص سنأتي على ذكرها، ولا يمنع ذلك أن تكون الثقافات قد تلاقحت فيما بينها وأثّرت في بعضها، ولكنّ المهم أنّ التوقيعات عند العرب كان لها لبوسها الخاص الذي ميّزها وجعلها فناً قائماً بذاته.

٢: ارتباطها بالكتابة:

ازدهر فن التوقيعات مع نشوء الدواوين العربية؛ إذ يمكننا القول: إنّ التوقيعات كانت إجازات الرسائل عند العرب، وإلى ذلك يُلمّح عمر فروخ "من أنّ التوقيعات إجازات كان الخلفاء يثبتونها في أعقاب الرسائل التي تصلهم من الولاة والناس"[١٢٣]، وهذا يعني أنّ هذا الفن مرتبط بالترسل النثري عند العرب، وهو بمنزلة الختم في أيامنا هذه.

وأدرج محمد علي أبو حمدة فنّ التوقيعات ضمن الجمل المكثفة "وهي إحدى خصائص الكتابة التي تميل إلى قصر الجمل لتوظيف اللغة في خدمة الحياة العملية، لأنها تُلخّص المعنى الكثير في كلام

١٢٢- أحمد محمد الحوفي، **أدب السياسة في العصر الأموي**، (دار القلم، بيروت- لبنان، ١٩٦٥م (تاريخ المقدمة)، ٤١٩.

١٢٣ - يُنظر: عمر فروخ، **تاريخ الأدب العربي**، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٤م، ٢٥٤.

قليل"[١٢٤].

ثالثاً: أهم خصائصها وأنواعها

ذكر الكلاعي أنّ هذا الفن قد عدل فيه أصحابه عن التطويل والتكرار إلى الإيجاز والاختصار، وأضاف أنّ التوقيع على أنواع، فقد يكون بكلمة واحدة، أو بحرف واحد، أو بآية من القرآن، أو ببيت من الشعر[١٢٥].

ورأى أحمد الشايب أنّ التوقيعات الدّيوانية امتازت بالإيجاز فقال: "والنثر العصري لا يميل إلى الإيجاز إلا في التوقيعات الديوانية، والكلمات السائرة، ولكنه بعد ذلك أميل إلى الإطناب ثم المساواة، وحسبه حياة تخلصه التخلص النهائي من هذه الصنعة البديعية والإغراب اللغوي، إلى خير مستوى ظفر به في حياته من ثراء المعاني وروعة الأساليب"[١٢٦].

وأهم خصائص التوقيعات يمكن أن نجملها في النقاط الآتية:

١- تحديد الهدف والقصد من أقصر طريق وبأسلوب بليغ[١٢٧].

٢- ارتباطها بشدة بفكرة، أو موقف أو دعوة إلى عمل هام[١٢٨].

٣- اعتمادها على الإيجاز، والخصائص الفنية كالسجع والاقتباس والطباق وغير ذلك.

١٢٤- محمد علي أبو حمدة، **الفائق في فن الكتابة والتعبير وتذوق النصوص والتحرير**، (دار عمار، الأردن، ط٣، ٢٠٠٤م)، ٢٠٧، ٢١٠.

١٢٥ - أبو القاسم الكلاعي، **إحكام صنعة الكلام**، (تح، محمد رضوان الداية، دار الثقافة، بيروت- لبنان، ١٩٩٦م)، ١٦٣-١٦٠.

١٢٦ - أحمد الشايب، **الأسلوب**، (مكتبة النهضة المصرية، ط١٢، ٢٠٠٣م)، ١٧٨.

١٢٧ - محمود أدهم، **فنون التحرير الصحفي بين النظرية والتطبيق «المقال الصحفي»**، (مكتبة الأنجلو مصرية)، ١٢٦.

١٢٨ - المرجع السابق: ص٢٢٢.

رابعاً: التوقيعات في العصر الأموي

أسلفنا القول بأنّ هذا الفنّ بدأ في العهد الراشدي، ولكنّه كان خجولاً؛ إذ إنّ التوقيعات فيه تكاد تكون محصورة فيما أورده أحمد زكي صفوت في صفحتين من كتابه جمهرة رسائل العرب جمعها من بطون كتب التراث، وقد ورد معظمها في الجزء الرابع من العقد الفريد[١٢٩] فأورد توقيعاً لأبي بكر، وتوقيعين لعمر بن الخطاب، وتوقيعين لعثمان، وتوقيعاً لعلي، وخمسة تواقيع للحسين بن علي[١٣٠]. على حين أنه أورد سبعة توقيعات لمعاوية، وستة ليزيد بن معاوية، وثمانية لعبد الملك بن مروان، وتوقيعين للوليد بن عبد الملك، وأربعة لسليمان بن عبد الملك، وسبعة عشر لعمر بن عبد العزيز، وأربعة ليزيد بن عبد الملك، واثني عشر لهشام بن عبد الملك، وتوقيعين ليزيد بن الوليد بن عبد الملك، وستة لمروان بن محمد، وتوقيع واحد لعبد الله بن علي، وواحد وعشرين لزياد، وثمانية للحجاج بن يوسف الثقفي، وأربعة لأبي مسلم الخراساني.

من أشهر هذه التوقيعات توقيع عمر بن عبد العزيز إلى رجل ولّاه الصّدقات وكان دميماً فعدل وأحسن[١٣١]: (وَلاَ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَن يُؤْتِيَهُمُ اللّهُ خَيْراً) [هود : ٣١]. وكذلك توقيع سليمان بن عبد الملك إلى قتيبة بن مسلم الباهلي: " وإن تصبروا وتتّقوا لا يضرُّكم كيدهم شيئاً"[١٣٢].

---

[١٢٩] – ابن عبد ربه، العقد الفريد، ٤/١٩٠-١٩٣.

[١٣٠] – أحمد زكي صفوت، **جمهرة رسائل العرب**، ١/٥٣٠-٥٣١.

[١٣١] – ابن عبد ربه، **العقد الفريد**، ٤/٢٩٢.

١٣٢ – نفس المرجع السابق، ٤٩٤.

من توقيعات معاوية: "نحن الزمانُ: مَنْ رفعناه ارتفع، ومن وضعناه اتّضع"[١٣٣]

ولعلّ ابنه يزيد قد سار على نهجه فمن توقيعاته ما كتبه لعبد الله بن جعفر ليقضي عنه ذمام نفر من بطانته وخاصته، فوقع له في كتابه: "احكم لهم بآمالهم إلى منتهى آجالهم"[١٣٤]

وكذلك قوله في كتاب لمسلم بن زياد عامله على خراسان: "قليل العقاب يُحكم سرائر الأسباب، وكثيره يقطع أواخي الانتساب"[١٣٥]،

ومن توقيعات عبد الملك بن مروان المسجَّعة توقيعه: "أبقِ لهم لُحوماً، يَعقِدوا بها شحوماً"[١٣٦]، وكذلك توقيع أبي مسلم الخراساني لقحطبة بعد أن أخبره أن بعض قواده خرجوا إلى عسكر ابن ضُبارة راغبين[١٣٧]: (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُواْ نِعْمَةَ اللّهِ كُفْراً وَأَحَلُّواْ قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ * جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ الْقَرَارُ) [إبراهيم: ٢٨-٢٩].

وأما أهم من ضمّن توقيعه الشعر؛ فنجد عبد الملك بن مروان الذي وقّع في كتاب ابن الأشعث[١٣٨]:

فما بالُ مَن أسعى لأجْبُرَ عَظْمه حِفاظاً ويَنْوي مِن سفاهته كَسْرِي؟[١٣٩]

ووقّع أيضاً في كتاب[١٤٠]:

---

[١٣٣] – عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي، **خاص الخاص**، (شرح مأمون الجنابي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٤م)، ١٣٣.

[١٣٤] – ابن عبد ربه، **العقد الفريد**، ٢٩٠/٤.

[١٣٥] – ابن عبد ربه، **العقد الفريد**، ٢٩٣/٤.

[١٣٦] – الثعالبي، **خاص الخاص**، ١٢٨.

[١٣٧] – ابن عبد ربه، **العقد الفريد**، ٢٩٠/٤.

[١٣٨] – ابن عبد ربه، **العقد الفريد**، ٢٨٩/٤.

[١٣٩]– منسوب لوعلة بن الحارث الجرمي في: شُراب، محمد محمد حسن، **شرح الشواهد الشعرية في أمات الكتب النحوية «لأربعة آلاف شاهد شعري**، (مؤسسة الرسالة، بيروت – لبنان، ط١، ١٤٢٧ هـ- ٢٠٠٧ م)، ٤٦٨/١.

[١٤٠]– ابن عبد ربه، **العقد الفريد**، ٢٨٩/٤.

كيف يرْجون سِقاطي بعدما شَمل الرأْسَ مَشيبٌ وصَلَعْ؟[١٤١]

وقد وقّع سليمان بن عبد الملك لقتيبة بن مسلم الذي تهدده بالخلع بهذا البيت[١٤٢]:

زعمَ الفرزدقُ أنْ سيقتلُ مِربعاً أبشِرْ بطولِ سلامةٍ يا مِربعُ[١٤٣]

ووقع مروان بن محمد في جواب أبيات نصر بن سيار فكتب إليه[١٤٤]:

أرى خلل الرّمادِ وميضَ جمرٍ ويوشكُ أن يكونَ له ضِرامُ[١٤٥]

هذا العدد من التواقيع الذي يفوق التواقيع في العهد الراشدي يدل على ازدهار هذا الفنّ في عصر بني أمية لازدهار العصر ذاته، فقد استقرت لبني أمية الأمور بعد زمن من الحروب، وبدؤوا عهداً من الاستقرار مما أثّر على التّرسل النثري في ذلك الوقت، وهذا ما لاحظناه في هذه التوقيعات من أثر للصنعة الفنية فيها من خلال دراسة خصائصها.

" ومن الملاحظ أن التوقيعات في العصر الأموي لم تلقَ اهتماما من الدارسين كما لاقت التوقيعات في العصر العباسي"[١٤٦].

١٤١- منسوب لسويد بن أبي كاهل في: المفضل الضبي، **المفضليات**، (تح وشرح: أحمد محمد شاكر وعبد السلام محمد هارون، دار المعارف – القاهرة، ط٦، د.ت)، ١٩٩.

١٤٢ – ابن عبد ربه، **العقد الفريد**، ٢٩٠/٤.

١٤٣ – البيت لجرير في: جرير، **شرح ديوانه**، (محمد إسماعيل عبد الله الصاوي، مطبعة الصاوي، د.م، د.ت)، ٣٤٨.

١٤٤ – ابن عبد ربه، **العقد الفريد**، ٢٩١/٤.

١٤٥ – البيت لأبي مريم البجلي في: ابن منظور: **لسان العرب**، ١٢/ ٣٥٥، مادة (ضرم).

١٤٦ –عاصم حمدي أحمد عبد الغني، **فن التوقيعات عند الخلفاء الأمويين**، BAÜİFD، Balıkesir Üniversitesi İlahiyat Fakültesi Dergisi، عدد ٣، ٢٠١٧م. ١٥٨

المطلب الرابع: المناظرة في العصر الأموي

تُعدُّ المناظرة نوعاً من أنواع الفنون الأدبيَّة، وهي فرع من فروع الخطاب الحجاجي الإقناعي، وغايتها عرض قضية دينية أو سياسية أو اجتماعية، ثم مناقشتها ووضع الأدلة والحجج في صحة كل طرفٍ من أطرافها. وقد ارتقت في العصر الأموي وأصبح لها دورٌ مهمٌّ بين الفنون الأدبية النَّثرية، وبفضل عواملٍ عديدة شهدت تطوراً ملحوظاً في الأسلوب والمضمون.

أولاً: تعريف المناظرة

"النَّظَر: حِسُّ الْعَيْنِ، نَظَره يَنْظُره نَظَراً ومَنْظَراً ومَنْظَرة ونَظَر إِليه. والمَنْظَر: مَصْدَرُ نَظَر.

والمناظَرَةُ: أَن تُناظِرَ أَخاك فِي أَمر إِذا نَظَرْتُما فِيهِ مَعاً كَيْفَ تأْتيانه"[١٤٧].

وجاء في معجم اللغة العربية المعاصرة: "مُناظَرة مفرد: ج مناظرات:

١- مصدر ناظرَ.

٢- جدال وحوار ونقاش علميّ، وتبادل في وجهات النَّظر المختلفة يقوم فيه فريقان خصْمان بالدِّفاع عن قضيّة ما أو مهاجمتها "مناظرة أدبيَّة- يهوى المناظرات القلميَّة"[١٤٨].

أما في الاصطلاح، فقد عرّف الشريف الجرجاني المناظرة فقال: "المناظرة: لغةً من النظير، أو من النظر بالبصيرة، واصطلاحاً، هي النظر بالبصيرة من الجانبين في النسبة بين الشيئين إظهاراً

١٤٧- ابن منظور، لسان العرب، مادة (ن ظ ر).

١٤٨- أحمد مختار عبد الحميد عمر، بمساعدة فريق عمل، **معجم اللغة العربية المعاصرة**، (عالم الكتب، الطبعة الأولى، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م)، مادة (ن ظ ر).

للصواب"[١٤٩]. فالمناظرة عند الجرجاني في الاصطلاح امتدادٌ لمعنى النظر في اللغة، والحكم على أحد الطرفين بالصواب.

والمناظرة عند التهانوي: " علم يعرف به كيفية آداب إثبات المطلوب ونفيه أو نفي دليله مع الخصم وتطلق المناظرة أيضاً في اصطلاح أهل العلم على النظر من الجانبين في النسبة بين الشيئين إظهاراً للصواب"[١٥٠].

وقد عرّف حسين الصِّدِّيق المناظرة فقال: "إنّ المناظرة هي نوع من أنواع الخطاب الاحتجاجيّ، الذي يمكن تعريفه بشكل سريع كما يلي: في هذا الخطاب يتوجّه متكلّم ما (أ) بالخطاب إلى مستمع ما (ب) بهدف تغيير رأي (ب) في قضيّة من القضايا. وينتمي هذ الخطاب إلى البيان باعتباره فنّ الكلام أو فنّ التعبير عن الفِكر"[١٥١].

وحاول حسين الصّدّيق أن يفرّق بين مصطلحات متعددة مُشابهة للمناظرة، من مثل: المجادلة، والمناقشة، والمماحكة، والمحاورة، والمفاخرة، والمقابسة، لأنّه لم يجد معجماً عربياً مختصّاً بالتفريق بين هذه المصطلحات، لذلك وجد أنّ هذه المصطلحات جميعها تشترك في أمرين:

الأمر الأول: أنّها جميعها تقوم على الحوار المتبادل بين مُتحاورَينِ اثنينِ على الأقلّ، وتستبعد وجود متكلّم واحد كما في الخطابة، أو متكلّم وحيد كما في الحوار الدّاخلي.

الأمر الثاني: أنّها جميعها ذات صيغة صرفية تدلّ على تنافس في عمل واحد بين شخصين أو

١٤٩- علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني، **التعريفات**: (ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية بيروت –لبنان، ط١، ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م)، ٢٣١-٢٣٢.

١٥٠- محمد بن علي ابن القاضي محمد حامد بن محمّد صابر الفاروقي الحنفي التهانوي، **موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم**، (تقديم: وإشراف ومراجعة: د. رفيق العجم، تح: علي دحروج، نقل النص الفارسي إلى العربية: د. عبد الله الخالدي، الترجمة الأجنبية: د. جورج زيناني، مكتبة لبنان ناشرون – بيروت، ط١، ١٩٩٦م)، ١٦٥٢/٢.

١٥١- حسين الصديق، **المناظرة في الأدب العربي– الإسلامي**، (مكتبة لبنان ناشرون، الشركة المصرية العالمية للنشر– لونجمان، بيروت– لبنان، ط١، ٢٠٠٢م)، ١٨٦.

أكثر في وقت واحد[١٥٢].

ثانياً: المناظرة في التراث العربي

"تعود نشأة المناظرة كجنس خطابي إلى المنافرة في العصر الجاهلي وما بعده، فالمناظرة جنسٌ فكريٌّ، تعتمدُ على المناقشة المنطقية، وقد تحوَّلت من المجادلة الشفوية الثنائية والبسيطة، إلى المناظرة الكلامية المتضمنة لعقيدة مذهبية تعبّر عن توجّه فكري بعد القرن الثاني الهجري، لتتحول إلى المناظرة الفلسفية ذات الأنساق المتكاملة والنظريات المحكمة، وذلك في القرن الخامس للهجرة"[١٥٣].

وقد تأسست العقيدة الإسلامية على "أسس جدالية، ناظّرتْ من خلالِها أهل الكتاب من يهود ونصارى، وناظَرَتْ المشركين. كما شكلت دعوة حوارية تعاونية تستدل وتطالب بالبينة، وتقيم أثقل الوزن للبلا غ المبين في إنشاء الاعتقاد. ومن ثمّ حَثَّت على التشاور ونبذت الإكراه ونادت بالكلمة السواء"[١٥٤].

ولذلك فإننا نلحظ نشوء المناظرة في التراث العربي الإسلامي في حياة الرسول صلى الله عليه وسلّم، فقد "ناظرَ الرسولُ عتبة بن ربيعة الذي فوَّضه سادة قريش من المشركين لثني النبي عن دعوته، كما ناظرَ الرسولُ صلى الله عليه وسلم وفد نصارى نجران الذين جادلوه في أمر عيسى بن مريم عليه السلام. ثم بعد وفاة الرسول، وما استتبع ذلك من صراع حول الخلافة وانشعاب السبل بين المسلمين

١٥٢- يُنظر: حسين الصديق، **المناظرة في الأدب العربي- الإسلامي**، ١٩٢-١٩٣.

١٥٣- مراد يتيمي، الحجاج **في مناظرة الحيدة والاعتذار لعبد العزيز الكناني**، (مخطوطة لنيل درجة الماجستير، الجمهورية الجزائرية، جامعة مولود معمري- تيزي وزو، تاريخ المناقشة: ٢٠١٢/٧/١م، بإشراف بو جمعة شتوان)، ٤٠.

١٥٤- عبد اللطيف عادل، **بلاغة الإقناع في المناظرة**، (منشورات ضفاف، بيروت-لبنان، منشورات الاختلاف، الجزائر، دار الأمان- الرباط، ط١، ١٤٣٤هـ-٢٠١٣م)، ١٣٢.

حتى انتظموا في فرق متنازعة، لعبت الخطابة والمناظرة دوراً بارزاً في التدافع بين هذه الفرق. لذلك ستتخذ المناظرة خلال هذه الفترة وطوال العصر الأموي، طابعاً دينياً وسياسياً"[١٥٥].

أمّا موضوعات المناظرة في التراث العربي الإسلامي فلم تقتصر على أمور الفقه والدين وعلم الكلام بل توسَّعت لتشمل علوم النحو والفلسفة والحساب والكتابة وغير ذلك من العلوم[١٥٦].

ويظهر لنا أنّ العامل الديني، ونشوء علم الكلام، والصراعات السياسية، والخلافات المذهبية، كانت من الأمور المهمة في تطوِّر المناظرة في التراث العربي الإسلامي، حيث ابتدأت في القرن الثاني للهجرة، وتطورت بتطور العقل والانفتاح المعرفي، فشملت مجالات معرفية وأدبية شتّى[١٥٧].

ونخلص إلى أنّ المناظرة "بوصفها جنساً حجاجيّاً تبلور في الثقافة العربية الإسلامية بفعل عوامل دينية وثقافية وحضارية. فالعوامل الدينية، ارتبطت بالدعوة السمحة والمفتوحة للقرآن، بحيث شكلت خصائصه الحوارية والجدالية دافعاً قوياً نحو تبلور جنس المناظرة ونشاطه. وارتبطت العوامل السياسية بالتدافع بين الشرعيات وأوجه الصراع السياسي حول الخلافة. أما العوامل الثقافية الحضارية فتعود إلى الصراعات المذهبية وحصيلة التفاعل بين المذاهب والأفكار والمرجعيات والأجناس والأقوام، وهي عوامل ساعدت على تطور هذا الخطاب وشجعت على تناميه"[١٥٨].

١٥٥- عبد اللطيف عادل، **بلاغة الإقناع في المناظرة**، ١٣٨.

١٥٦- عبد اللطيف عادل، **بلاغة الإقناع في المناظرة**، ١٣٩-١٤٠.

١٥٧- المرجع السابق. ١٤١.

١٥٨- عادل، عبد اللطيف، بلاغة الإقناع في المناظرة، ص. ٢٤٦.

ثالثاً: المناظرة في العصر الأموي

تُعدُّ المناظرة في العصر الأموي امتداداً للمناظرة في العصور السابقة، إلا أنها شغلت مجالاتٍ أوسع بسبب ظهور الفرق الدينية والتيارات السِّياسية والعصبية القبلية.

فقد استفادت الفرق الدينية التي كانت تتطلع للخلافة من فنِّ المناظرة الذي يعتمد على الإقناع والحِجَاج، فكثرت المناظرات التي يدافع أصحابها عن حقهم في الخلافة.

ودارت مناظرات بين أقطاب السياسة التي تمثلت بالأمويين والشيعة والزبيريين والخوارج.

أمَّا العصبيات القبلية التي ظهرت في هذا العصر فقد رافقتها مناكفات ومناظرات بين القبائل سواء كان بالشِّعر أو بالنثر.

ويمكن أن نقسِّم المناظرات في العصر الأموي إلى:

مناظرات سياسية: دارت بين الأحزاب المتخاصمة، والتي غالبا ما كانت تدور حول مسألة الخلافة وطريقة نقلها، والأحقيَّة فيها بين بني هاشم أو بني أمية أو في عموم المسلمين، ومن هذه المناظرات ما دار بين عبد الله بن الزبير والخوارج[١٥٩]، والتي أراد الخوارج من خلالها أخذ إقرار من ابن الزبير بعد أحقية تقديم أبي بكر وعمر رضي الله عنهما في الخلافة. ونجد ذلك أيضا في المناظرة التي دارت بين عمر بن عبد العزيز والخوارج والتي أراد الخوارج من خلالها إقرارا من عمر بن عبد العزيز[١٦٠] بعدم شرعية نقل الخلافة إليه وكذلك عدم شرعية وصيَّته بالخلافة ليزيد من بعده.

مناظرات دينية: كانت غالباً ما تدور بين "أرباب الفرق الدِّينيَّة التي كانت تبحث في العقيدة

---

[١٥٩] – ابن عبد ربه، العقد الفريد،٢/٣٩٥.

[١٦٠] –

والإيمان وصفات الله"[١٦١]. ومن أبرز سمات هذه المناظرات أنها كانت تعتمد على آيات القرآن الكريم والأحاديث النبوية في تدعيم مواقف أصحابها، واختلاف المتناظرين بتفسير هذه الآيات والأحاديث النبوية، وكانت تقوم تفسيراتهم حسب اعتقاداتهم وقناعاتهم.

ومن هذه المناظرات ما دار بين حول مسألة مُرتَكِبِ الكبيرة، حيث كثرت فيها المناظرات وتشعبت الأفكار، ومن أشهر الذين تناظروا فيها واصل بن عطاء وعمرو بن عبيد وهما من أقطاب المعتزلة[١٦٢].

وكذلك المناظرة التي دارت بين عمر بن عبد العزيز مع فرقة القدريَّة[١٦٣] والتي تدور أحداثها بين الخير والشَّر، وهل الإنسانُ مخيَّرٌ أم مسيَّرٌ؟

مناظرات أدبية: كانت غالباً تقام في مجالس الخلفاء وتدور حول قضايا شعرية أو أدبية وأشهر هذه المناظرات تلك التي درات بين قتادة والزهري في مجلس سليمان بن عبد الملك وخسر فيها الزهري أمام قتادة ومدحه سليمان بن عبد الملك ووصفه بالفقيه[١٦٤]. وبعد تطور العصبية القبلية انتقل شكل هذه المناظرات وانتقل إلى الشعراء، وأصبح شعراء القبائل أو الأحزاب السياسية يتناكفون بشعرهم وسميت بالنقائض وقد توفَّر في هذا الشعر عناصر المناظرة وشروطها"[١٦٥]. وأهمها ما دار بين جرير والأخطل والفرزدق.

وأكثر ما يهمنا في بحثنا من هذه الأنواع المناظرات السياسية.

---

[١٦١] – شوقي ضيف، الفن ومذاهبه في النثر العربي، ٧٨.

[١٦٢] – علي بن حسين المرتضى، **أمالي المرتضى، غُررُ الفوائد ودرر القلائد**، (تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، ٢٠٠٤م،) ١٦٦/١.

[١٦٣] – عمرالسكسوني، **عيون المناظرات**، (تح: سعد غراب، منشورات الجامعة التونسية، ١٩٧٦م)، ٢٠٠.

[١٦٤] – الجاحظ، البيان والتبيين، ٢٤٣/١,

[١٦٥] – محمد دوابشة، **المناظرات في الأدب الأموي**، مجلة مجمع اللغة العربية، فلسطين، العدد٢ عام ٢٠١٧م، ٢٣٧.

رابعاً: خصائص المناظرة في العصر الأموي

إذا ما نظرنا إلى أهمّ المناظرات التي جرت في العصر الأموي، سنجد أنَّ أغلبها يدور حول مسائل فقهية أو حادثة تاريخية كمقتل الخليفة عثمان بن عفان، أما المناظرات التي كانت تدور بين الفرق الدينية فغالباً ما يكون موضوعها مرتبطاً بتفسير آية أو مفهوم لمسألةٍ وردت في القرآن الكريم، ولعل أشهر المناظرات الطوال التي وصلت إلينا، مناظرة عبدالله ابن الزبير للخوارج[١٦٦]، ومناظرة عمر بن عبد العزيز للخوارج[١٦٧]، والمناظرة المشهورة بين عبدالله بن عباس وعبدالله بن الزبير[١٦٨]، إضافة إلى مناظرة بين الحسن بن عليّ من جهةٍ، وبين عمرو بن العاص، والوليد بن عقبة، وعتبة بن أبي سفيان، والمغيرة بن شعبة من جهةٍ أخرى، بحضرة معاوية[١٦٩]. ونلاحظ من خلال هذه المناظرات أن أغلب المتناظرين:

يعتمدون على الطريقة المباشرة، حيث يجتمع الفريقان، – وليس بالضرورة شخص لشخص– ويطرح الفريق الأول مشكلته ورأيه الذي يتشبث به ويصرُّ على صحته، فيردُّ عليه الفريق الثاني بالحجج والأدلة وغالباً ما تكون من القرآن الكريم أو من الحديث الشريف، أو من سيرة السلف كالخلفاء الراشدين.

يعتمدون على القرآن الكريم في إثبات آرائهم ومعتقداتهم، مع احتفاظ كل فريق منهم بالتفسير الذي يتناسب مع رأيه.

---

١٦٦ – ابن عبد ربه، **العقد الفريد**، ٣٩٥/٢.

١٦٧ – ابن الأثير، **الكامل في التاريخ**، ١٧/٥.

١٦٨ – ابن أبي الحديد عزَّ الدين عبد الحميد بن هبة الله المعتزلي، شرح نهج البلاغة، تحقيق محمد إبراهيم، دار الكتاب العربي، ٢٠٠٧م، ٥٠١/٢.

١٦٩ – المصدر السابق نفسه، ج٢. ص١٠١.

أبرز القضايا التي كانت محاورَ هامة للمتناظرين هي: الإمامة وخلافة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومقتل عثمان بن عفان رضي الله عنه. ونجد هذا في مناظرة الحسن بن علي رضي الله عنهما ومعاوية بن أبي سفيان، وكذلك في مناظرة ابن عباس وعبد الله بن الزبير.

يعتمد أغلب المتناظرين على طريقة الاستفهام التقريري في إثبات الحجة للخصم، ويبدو هذا واضحاً في مناظرتي عمر بن عبد العزيز وعبدالله بن الزبير للخوارج، ففي مناظرة عمر بن عبد العزيز للخوارج يبدأ بطرحِ الأسئلة التي لا يمكن أن يختلف عليها المسلمون، وبعد كلِّ إقرارٍ منهم ينتقل إلى السؤال التالي وهكذا حتى يصل بهم إلى الحجة الدامغة، فعندما طلب الخوارج من عمر بن عبد العزيز لعن أهله والسابقين من بني أميَّة حتى ينْطَوون تحت خلافته، لأنهم كانوا فسقة حسب رأيهم، قام باستدراجِهم في حوادث تاريخية مثبتة في القرآن والسنة، منها قوله: "إني قد علمت أنكم لم تخرجوا مخرجكم هذا لطلب دنيا ومتاعها، ولكنكم أردتم الآخرة، فأخطأتم سبيلها، إن الله عَزَّ وَجَلَّ لم يبعث رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لعاناً، وقال تعالى على لسان إبراهيم: ﴿ مَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُۥ مِنِّيۖ وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [إبراهيم:٣٦].وقال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾ [الأنعام:٩٠]. وقد سميت أعمالهم ظلماً، وكفى بذلك ذماً ونقصاً، وليس لعن أهل الذنوب فريضة لا بد منها، فإن قلت إنها فريضة فأخبرني متى لعنت فرعون؟ قال: ما أذكر متى لعنته. قال: أفيسعك أن لا تلعن فرعون وهو أخبث الخلق وشرهم، ولا يسعني أن لا ألعن أهل بيتي وهم مصلون صائمون؟ قال: أما هم كفار بظلمهم؟ قال: لا؛ لأنَّ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دعا الناس إلى الإيمان، فكان من أقرَّ به وبشرائعه قبل منه، فإن أحدَثَ حدثاً أُقِيمَ عليه الحد، فقال الخارجي: إن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دعا الناس إلى توحيد الله والإقرار بما نزل من عنده. قال عمر: فليس أحد منهم يقول: لا أعمل بسنة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولكن القوم أسرفوا على أنفسهم، على علم منهم أنه محرم

عليهم، ولكن غلب عليهم الشقاء ".

من خلال النَّص السابق نجد:

كانت غاية المناظرة إقرار عمر بن عبد العزيز بوجهة نظر الخوارج وإلزامه بها، فقد قالوا له: بيننا وبينك أمر، إن أنت أعطيتناه فنحن منك وأنت منا، وإن منعتناه فلست منا ولسنا منك، فقال عمر: وما هو؟ قالا: رأيناك خالفت أعمال أهل بيتك، وسميتها مظالم، وسلكت غير سبيلهم، فإن زعمت أنك على هدى وهم على ضلال، فالعنهم وتبرأ منهم، فهذا الذي يجمع بيننا وبينك أو يفرق.

بُنيت المناظرة على صيغة الاستفهام التقريري، فقد كان سؤال الخوارج لعمر بن عبد العزيز للإقرار منه بأمرين اثنين: بأنّه لم يتولَّ الخلافة ابتزازاً من الناس، وبأنّه معهم على ما خرجوا عليه.

كان ردّ عمر بن عبد العزيز في أنه يستشهدُ بالقرآن الكريم، وهو كما أسلفنا يعدّ من الحجج والبراهين الدّامغة أمام الخصم، فذكّرهم بقوله تعالى: (فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ) [إبراهيم:٣٦]، وقوله: (أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ) [الأنعام:٩٠]، وهو من الملاينة لهم في القول.

١- لجأ عمر بن عبد العزيز إلى الإقناع والحِجاج من خلال طريقة السؤال والجواب لأخذ الإقرار من السّائلَينِ بعدم لعن المؤمنين بعضهم لبعض وإنْ تصرّف أحدهم بتصرفات لا تروق للآخر، وساق إلى ذلك أمثلة جرت بين الخليفتين أبي بكر وعمر، وبين أهل الكوفة والبصرة، وحاجَّهم في أنهم أمّنوا اليهود والنصارى الذين سفكوا دماء المسلمين.

٢- ظهرت لهجة القوّة والسلطة المركزية في حديث عمر بن عبد العزيز عندما قال لهم: ويحكم!

إنكم قومٌ جهال، أردتم أمراً، فأخطأتموه، فأنتم تردون على الناس ما قبل منهم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ويأمن عندكم من خاف عنده، ويخاف عندكم من أمن عنده. قالا: ما نحن كذلك. قال عمر: بل سوف تقرُّون بذلك الآن.

٣- بدا بوضوح إحراج الفريق الثاني وإن كان على الحق، فقد أراد الخوارج من عمر بن عبد العزيز أن يُسلّم الخلافة من بعده إلى يزيد بن عبد الملك الأموي، فرفض ذلك أمامهم وذكّرهم أنّ الناس هم مَن لهم الحق في اختيار من يتولّاهم وليس هو، ولكنهم أخجلوه فقالوا: أفترى ذلك مِن صُنع مَنْ وَلّاك حقّاً؟ أي ذكّروه بأنّه قال لهم عندما سألوه عن خلافته: "وعهد إلى رجل كان قبلي، فقمت ولم ينكره عليَّ أحد، ولم يكرهه غيركم، وأنتم ترون الرضا بكل من عَدَلَ وأنصف، من كان من الناس، فإن خالفت الحق ورغبت عنه فلا طاعة لي عليكم.

وفي مناظرة أخرى جرت بين الخوارج وعبد الله بن الزبير حين جاؤوا لمناصرته ضدَّ بني أمية:

فقد ناظروه في عمر وأبي بكر وعثمان وعلي، وعبيد الله بن طلحة، والزبير بن العوام وعائشة، وقد استخدموا معه أيضاً طريقة الاستفهام التقريري، حيثُ سألوه:" ما تقول في الشيخين؟ قال: خيراً. قالوا: فما تقول في عثمان الذي أحمى[١٧٠] الحمى، وآوى الطريد[١٧١]، وأظهر لأهل مصر شيئاً وكتب بخلافه، وأوطأ آل أبي معيط[١٧٢] رقاب الناس، وآثرهم بفيء المسلمين، وفي الذي بعده، الذي حَكَّمَ في دين الله الرجال، وأقام على ذلك غير تائب ولا نادم، وفي أبيك وصاحبه، وقد بايعا عليّاً وهو إمام

١٧٠- أحمى المكان: جعله حمى لا يقرب.

١٧١- هو الحكم بن أبي العاص.

١٧٢- ممن ولاهم عثمان الوليد بن عقبة بن أبي معيط ولاه الكوفة، وهو أخو عثمان لأمه.

عادل مرضي لم يظهر منه كفر، ثم نكثا بعرض من أعراض الدنيا، وأخرجا عائشة تقاتل، وقد أمرها الله وصواحبها أن يقرن[١٧٣] في بيوتهن، وكان لك في ذلك ما يدعوك إلى التوبة، فإن أنت قلت كما نقول فلك الزلفى[١٧٤] عند الله والنصر على أيدينا، ونسأل الله لك التوفيق وإن أبيت إلا نصر رأيك الأول، وتصويب أبيك وصاحبه، والتحقيق بعثمان والتولي في السنين الست التي أحلت دمه، ونقضت أحكامه، وأفسدت إمامته، خذلك الله وانتصر منك بأيدينا".

أمَّا عبد الله بن الزبير فقد أخذَ وقتاً كافياً قبل أن يردَّ عليهم وعند خروجه إليهم كان متقلِّداً سلاحه، وهذه إشارة إلى عدم موافقتهم على ما قالوه.

"فلما كان العشي راحوا إليه، فخرج إليهم وقد لبس سلاحه، فلما رأى ذلكم نجدة[١٧٥] قال: هذا خروج منابذ[١٧٦] لكم، فحمد الله، وأثنى عليه، وصلى عليه نبيه، ثم ذكر أبا بكر وعمر أحسن ذكر، ثم ذكر عثمان في السنين الأوائل من خلافته، ثم وصلهن بالسنين التي أنكروا سيرته فيها، فجعلها كالماضية، وخبَّر أنه آوى الحكم بن أبي العاص بإذن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وذكر الحمى وما كان فيه من الصلاح، وأن القوم استعتبوه من أمور، وكان له أن يفعلها أولا لا مصيباً، ثم أعتبهم بعد ذلك محسناً، وأن أهل مصر لما أتوه بكتاب ذكروا أنه منه، بعد أن ضمن لهم العتبى[١٧٧] ثم كتب لهم ذلك الكتاب بقتلهم، فدفعوا الكتاب إليه، حلف بالله أنه لم يكتبه، ولم يأمر به، وقد أمر الله عَزَّ وَجَلَّ بقبول اليمين ممن ليس له مثل سابقته، ومع ما اجتمع له من صهر رسول الله، ومكانه من الإمامة،

١٧٣- من قرَّ بالمكان يقرُّ "بالكسر والفتح".

١٧٤- الزلفة والزلفى: القربة والمنزلة.

١٧٥- هو نجدة بن عامر الحنفي من كبار زعمائهم.

١٧٦- نابذه: كاشفه بالعداوة.

١٧٧- العتبى: الرضا.

وأن بيعة الرضوان تحت الشجرة إنما كانت بسببه[١٧٨]، وعثمان الرجل الذي لزمته يمين، لو حلف عليها لحلف على حقٍّ، فافتداها بمائة ألف ولم يحلف، وقد قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "من حلف بالله فليصدق، ومن حلف له بالله فليرضَ" فعثمان أمير المؤمنين كصاحبيه، وأنا ولي وليه، وعدو عدوه، وأبي وصاحبُه صاحِبا رسول الله، ورسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول عن الله عَزَّ وَجَلَّ يوم أحد، لما قطعت إصبع طلحة: "سبقته إلى الجنة"، وقال: "أوجب طلحة[١٧٩]"، وكان الصديق إذا ذكر يوم أحد قال: "ذاك يومٌ كله أو جله لطلحة". والزبير حواري رسول الله صلى الله عليه وسلم وصفوته، وقد ذَكَرَ أنهما في الجنة، فقال جَلَّ وَعَزَّ: ﴿لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ [الفتح: ١٨] وما أخبرنا بعد أنه سخط عليهم، فإن يكن ما سعَوا فيه حقّاً، فأهل ذلك هم، وإن يكن زلة ففي عفو الله تمحيصها، وفيما وفقهم له من السابقة مع نبيهم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومهما ذكرتموهما فقد بدأتم بأمكم عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْها، فإن أَبَى آبٍ أن تكون له أمّاً نبذ اسم الإيمان عنه، وقد قال الله جل ذكره، وقوله الحق: ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ ۗ [الأحزاب: ٦] . فنظر بعضهم إلى بعض، ثم انصرفوا عنه"[١٨٠].

نجد من خلال ردِّ عبد الله بن الزبير:

١- القضية المحورية في هذه المناظرة أخذ إقرار من الزبير بثلاثة أمور، هي: عدم تقديم أبي بكر

١٧٨- وذلك أن الرسول عليه الصلاة والسلام في غزوة الحديبية اختار عثمان بن عفان رسولا من قبله إلى قريش، يعلمهم بمقصده، وأنه أتى مكة معتمراً، فقالوا: إن محمداً: لا يدخلها علينا عنوة أبداً، ثم إنهم حبسوه، فشاع عند المسلمين أنه قتل، فقال عليه الصلاة والسلام حينما سمع بذلك: "لا نبرح حتى نناجزهم الحرب". ودعا المسلمين إلى البيعة على القتال، فبايعوه هناك تحت شجرة سميت بعد شجرة الرضوان.

١٧٩- الموجبة من الحسنات التي توجب الجنة. وأوجب: أتى بها.

١٨٠- ابن عبد ربه، **العقد الفريد** ٢/ ٢١٢.

وعمر، وعدم براءته من عثمان وعلي، وأن يُكفّر والده وطلحة، وهذا الإقرار تمّ من خلال الحوار المباشر القائم على السؤال والجواب مع ابن الزبير وذلك لأخذ الإقرار منه عن طريق سؤال أول هو: ما تقول في الشيخين؟ أي في سيدنا أبي بكر وعمر، فكانت الإجابة: أقولُ خيراً. وسؤال ثانٍ هو: ما تقول في عثمان وفي أبيك وصاحبه؟ وذلك بعد أن ذكروا مناقب عثمان ومثالب الزبير وطلحة اللذين أخرجا السيدة عائشة لتقاتل عليّاً، فكانت الإجابة منه بأنّ الله كان أرأف بالقول منهم عندما بعث موسى وهارون إلى فرعون، ونهى رسول الله عن سبّ أبي جهل من أجل عكرمة ابنه، فكيف يُطالب بسبِّ أبيه الزبير وبسبّ طلحة؟ وطلب منهم العودة إليه في العشي ليخبرهم رأيه.

ونجد أن أسئلتهم كانت "ترمي بشكل واضح إلى إثارة الخلاف، ولإظهار خطأ الخصم... وليس بشكل من الأشكال إلى الوصول إلى اتفاق أو تفاهم"[١٨١].

٢- من خلال محاججة ابن الزبير للخوارج وجدنا أنّه لجأ إلى الحجة والإقناع عن طريق الاستشهاد بآيات من القرآن الكريم، فعندما خاطبوه لم يُلاينوا له في القول فذكّرهم بقوله تعالى: ﴿ٱذۡهَبَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ٤٣ فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ﴾ [طه: ٤٣-٤٤]. وقول الرسول: لا تؤذوا الأحياء بسبِّ الموتى. وقوله تعالى: ﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشۡرِكَ بِي مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٞ فَلَا تُطِعۡهُمَاۖ وَصَاحِبۡهُمَا فِي ٱلدُّنۡيَا مَعۡرُوفٗاۖ﴾ [لقمان: ١٥]، وقوله: ﴿وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسۡنٗا﴾ [البقرة: ٨٣]

١٨١- حسين الصديق، **المناظرة في الأدب العربي الإسلامي**، ٢٥٣-٢٥٤.

– أمَّا الجدال والتناظر عند الفرق الدينية فقد كان يعتمد على ثقافتهم التي اكتسبوها، إضافة إلى الحجة والمنطق. "والمعتزلة هم أول من من أبرز ذلك الاتجاه في النَّثر العربي، وأول من استخدم الدليل، الذي يعتمد على المنطق في إفحام الخصم وإلزامه بالحجة، بل إنهم أول من التفت إلى أن المناظرة يجب أن تكون علماً له أصول وقواعد ولا بدَّ للمتناظرين من مراعاتها "[١٨٢].

ونستطيع أن نقول إنّ المناظرة "تشكل جزءاً من الخطاب الاحتجاجي، فهي تعتمد في ولادتها على المتحاورَين اللذَين يشاركان فيها، ولا يعود الفضل في إنشائها إلى شخص واحد هو الكاتب، كما هو الحال في الأنواع الشِّعرية مثلاً... ولقد كان لكلّ فرقة من الفرق السياسية والدينية المتصارعة في العصر الأموي شعراء يمثلونها، ويُدافعون عنها أمام هجوم الفرق الأخرى"[١٨٣]، وقِس ذلك على أهل المناظرة والاحتجاج، فقد وجدوا المناظرة ملجأ لإلزام خصمهم بوجهات نظرهم.

ورأينا فيما سبق أنّ فرقة الخوارج في العصر الأموي هي الفرقة الأبرز التي اتخذت المناظرة مطية لإلزام خصومها بوجهة نظرها، أو إعلان الحرب عليهم.

كما تميّزت مناظرات هذا العصر بصيغة الاستفهام التقريري، والاقتباس لغايات دينيّة، وابتعاد أحد الفريقين عن القول اللين (ومثّلهم الخوارج)، والتزام الفريق الآخر بالقول اللين (ومثله ابن الزبير وعمر بن عبد العزيز)، مع تفعيل سلطته المركزية إنْ اقتضت الحاجة إلى ذلك، كإرجاء المناظرة إلى يوم آخر، أو تقريع الفريق الآخر وتذكيره بأنّه يخاطب شخصاً ذا سلطة مركزية، ومع ذلك ظهر إحراج أحد الفريقين لبعضهما بعضاً بشكل واضح يؤكّد أنّ الغاية في المناظرة إلزام الخصم بوجهة نظر المناظِر لا

١٨٢ – عبد الحكيم بلبع، أدب **المعتزلة إلى نهاية القرن الرابع الهجري**، (دار نهضة مصر للطبع والنشر، د – ت)، ٢٠٤.

١٨٣– حسين الصديق، **المناظرة في الأدب العربي الإسلامي**، ٢٩٩.

إظهار الحق والصواب.

ويبدو لنا أنّ فنّ المناظرة قد ارتقى في العصر الأمويّ، وساعد في هذا الارتقاء ظهور التيّارات الدينيّة المختلفة، إضافة إلى الأمور الخلافيّة كالإمامة ومقتل الخليفة عثمان بن عفّان. كما نلاحظ اعتماد المتناظرين على القرآن الكريم والحديث الشريف في حججهم، كلّ حسب فهمه ومصلحته.

الفصل الثاني: جماليات الأسلوب في النَّثر السَّياسي

تنوعت جماليات الأسلوب في النَّثر السياسي، وكانت ظاهرة وبارزة، إذ اعتمد النثَّار على أساليب بلاغية متعدِّدة زيَّنوا فيها نتاجهم الأدبي، وفي هذا الفصل سأدرس جماليات الأسلوب من خلال الأساليب البلاغية التي اعتمدها السَّاسة وإبراز بعض الظواهر البلاغية التي تجلَّت بشكل واضح وبارزٍ في الخطب والرسائل والمناظرات، ومن هذه الأساليب الاستشهاد، والاقتباس، واستيحاء الأفكار والمعاني، والاستهلال، والسجع، والتقديم والتأخير، حيث رأينا من خلال اطلاعنا على الدراسات السابقة للنثر الأموي، عدم دراسة هذه الظواهر من قبل، باستثناء دراسة زكي مبارك لتطور السجع بشكل عام، ومروره على السجع في العصر الأموي مروراً سريعا.

وسأبيِّنُ في هذا الفصل الفرق بين الاستشهاد والاقتباس والاستيحاء،

كما سأبيِّنُ جماليات الاستهلال في الخطابة والرسائل والمناظرات، وتنوُّع الاستهلال، ودلالات هذا التنوع، والأسباب التي تجعل من الخطيب أو المرْسِل يغيِّر من طريقته في استهلال خطبته أو رسالته، إضافة إلى الطرق التي اتَّبعها الأدباء في استشهادهم البلاغي، واقتباساتهم واستيحائهم.

كما سأقومُ بدراسة الأساليب في الخطابة والرسائل الفنية والمناظرة، من خلال السجع، وأهميّة هذا الفنّ، كما سأتحدث عن جماليات التقديم والتأخير في النَّثر السياسي من خلال إبراز الأمثلة من النماذج النثرية.

المبحث الأول: الاستشهاد وأشكاله

التعريف في اللغة والاصطلاح:

الاستشهادُ مصدرٌ من الفعل استشهد، وجذره اللغوي شَهِدَ، يقال: "شهد يشهد شهادةً"[١٨٤]

أمَّا في الاصطلاح فإنَّ الاستشهاد هو تضمين الكاتب نصَّه، لفظاً لا معنىً، شيئاً من القرآن الكريم أو الحديث الشريف أو حكمةً أو مثلاً أو مقولةً أو سوى ذلك، مع التدليل على هذا التضمين بالتوثيق وذلك بهدف تأكيد المعنى الذي يريده، وتقويته[١٨٥]. ونستحضر الشاهد عادةً لما فيه من معلومات قيِّمة في اللغة والأدب والتاريخ أو الحالات الاجتماعية.

وقد حدد الجاحظ في مقدمة الجزء السادس من كتابه الحيوان الكلام الذي يمكن أن نستشهد به وندعِّم به حجتنا وحديثنا، وعن اعتماده أسلوب الاستشهاد قال: "ولم نذكر، بحمد الله تعالى، شيئاً من هذه الغرائب، وطريفة من هذه الطرائف إلا ومعها شاهدٌ من كتابٍ مُنَزَّل، أو حديثٍ مأثور، أو خبرٍ مستفيض، أو شعرٍ معروف، أو مثلٍ مضروب"[١٨٦]. فهو يرى أنه يمكننا الاستشهاد بالكتب السماوية والأحاديث المأثورة والشعر، والأخبار المتواترة والأمثال.

---

١٨٤ – أحمد بن زكريا أبو الحسين ابن فارس، **مقاييس اللغة**، (تح: عبد السلام هارون، دار الفكر، بيروت، ١٩٧٩م)، باب الشِّن، فصل الهاء.

١٨٥ – ينظر: المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، **المعجم الموحَّد للمصطلحات والتواصل اللغوي**، (مكتب تنسيق التعريب، الرباط)، مادة استشهاد، بتصرُّف.

١٨٦ – الجاحظ، **الحيوان**، ١٢/٦.

أمَّا القلقشندي فيرى أن الاستشهاد يكون بالقرآن الكريم والحديث الشريف مع الإشارة إلى أننا أخذنا هذا الكلام من القرآن الكريم والحديث الشريف، أمَّا الاستشهاد بالشعر فلا يحتاج إلى الإشارة لأن وزنه يدلُّ عليه وذلك في قوله:" الاستشهاد أن يورد البيت من الشعر أو البيتين من خلال الكلام المنثور، ولا يشترط فيه أن ينبَّه عليه بـ "قال"، كما يشترط في الاستشهاد بالقرآن الكريم والحديث الشريف"[١٨٧].

أمَّا النويري فيشترط على التنبيه عند الاستشهاد بالآيات:" إن الاستشهاد بالآيات يجب أن يُنبَّه عليهما"[١٨٨].

مما سبق نرى أن الاستشهاد في الاصطلاح هو اثبات القول بالحجة والبرهان والاستشهاد بالقرآن الكريم والحديث النبوي والشعر والكلام المأثور والإشارة إلى ذلك.

ومن خلال المقارنة بين التعريفات يمكن أن نجمل الاختلافات بين الاستشهاد الاقتباس والاستيحاء في الأمور الآتية:

أولاً: أننا في الاستشهاد نثبت عبارة قال تعالى أو قال الرسول صلى الله عليه وسلَّم ولا نثبتها في الاقتباس أو الاستيحاء بل يأتي ذلك ضمن سياق الكلام دون الإشارة إليه، لذلك.

ثانيًا: أن الاستشهاد يكون بالقرآن الكريم والحديث الشريف والشِّعر والأمثال، أمَّا الاستيحاء قد يتعدى ذلك إلى قصص العرب وأيامهم، وقد يأخذ من قصص الأقوام البائدة أو من قصص الأنبياء كما سنلاحظ.

---

١٨٧ – القلقشندي، **صبح الأعشى**، ٢٧٤/١.

١٨٨ – شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري، **نهاية الأرب في فنون الأدب**، (صححه: أحمد الزين، دار الكتب المصرية بالقاهرة، الطبعة الأولى، ١٣٤٧هـ/١٩٢٩م)،١٨٣/٧.

وهناك فرق بين شواهد اللغة التي يثبّتُ من خلالها النحاة حجتهم اللغوية وبين الاستشهاد لتقوية حجة أو دليل في الخطابة والرسائل، حيث يستحضر الخطيب الشاهد كي يقوّي حجته وليس بالضرورة أن تكون هذه الحجة صواباً فقد تكون على باطلٍ، كذلك في الشاهد النحوي ينظر النحوي إلى بنية الكلام وصياغته وطريقة تركيبه بغض النظر عن المعنى الكلي المراد من الآية أو الشعر.

المطلب الأول: الاستشهاد بالقرآن الكريم

كان للقرآن الكريم أثرٌ بالغٌ في حياة العرب، إذ أحدثَ فيها تأثيراً هائلاً، وحوَّلَ العرب من أمةٍ تائهةٍ إلى أمةٍ عزيزةٍ قويةٍ، هذا الكتابُ العظيمُ الذي هزَّ النفس العربية وصقلها أيَّما صقلٍ، وطهَّرَ العقول ممَّا عَلقَ بها من أرجاسِ الجاهلية، وألَّف بين قلوب العرب والمسلمين، فكانوا قلباً واحداً ويداً واحدةً، هذا من جهةٍ، ومن جهةٍ أخرى فقد كان للقرآن الكريم تأثيره البالغ في اللغة العربية التي نزل بها، وأثَّرَ فيها تأثيراً كبيراً، وظلَّت هذه اللغة قوية بفضل القرآن الكريم والذي تكفَّل الله تعالى بحفظه فحفظ به اللغة العربية التي نزل بها.

وقد تحدَّى القرآن الكريم البلغاء أن يأتوا بسورةٍ من مثله ولو كانت قصيرة، فعجزوا عن ذلك، وقد اختار الله تعالى لكتابه أفصح اللغات. قال تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ [الزخرف: ٣] ، وقال تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ١٩٣ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ١٩٤ بِلِسَانٍ عَرَبِيّ مُّبِينٍ [الشعراء: ١٩٣-١٩٥]، فالقرآن الكريم عربي المبنى، فصيح المعنى.

وقد كان للقرآن الكريم تأثيرٌ كبير في كثير من الفنون الأدبية، ونخصُّ بالذكر فنَّي الخطابة والرسائل الفنية اللذين لم يكونا يخلوان من الاعتماد على القرآن الكريم من توضيح معنى أو توصيل فكرة أو تصوير مشهد، فنلحظ تمسُّك الخطباء بهذا المنهل الغنيّ الذي أمدَّهم بكمٍّ هائلٍ من المفردات

والمشاهد والأساليب، لإغناء خطبهم ومنحها مزيداً من القوةِ في التعبير والأسلوب في آنٍ واحدٍ للتأثير في المستمع أو المتلقي. وقد تعدَّدت أشكال التأثر بالقرآن الكريم فمنها الاستشهاد بآيات الذكر الحكيم، ومنها الاقتباس والتضمين للآيات الكريمة، ومنها أيضا الاستيحاء العام للمعنى من القرآن الكريم.

أولاً: الاستشهاد بالقرآن الكريم في الخطب

كان القرآن الكريم من أبرز المصادر التي استند إليها الخطباء، في خطبهم، ليجذبوا المستمعين إليهم، وذلك لما في القرآن الكريم من قدسية الخشوع والتعبَّد وإيصال المعنى المطلوب بأدَقِّ طريقةٍ وأسهل أسلوب، وأفصح معنىً.

وقد تجلَّى هذا الجانب الغني في الخطب، وظهر في الخطب السياسية بشكل ملحوظ وملفتٍ للنظر.

وقد تعددت مواضع الاستشهاد في الخطب بالقرآن الكريم والحديث الشريف والشِّعر العربي، إلَّا أنَّ الاعتماد على النص القرآني في الاستشهاد كان الأبرز والأقوى خاصة في مجال الوعظ، فكثرت مواضع الاستشهاد بالآيات الكريمة بهدف الإصلاح والإرشاد، أو بهدف المناظرة وإقناع الخصم بالحجة والدليل القاطع والبرهان، فكان النص القرآني المنهل الأساسي الذي استسقى منه الخطباء مادة خطبهم، وكان المعين الذي لا ينضب لما أمَدَّهُم به من مادة دسمة.

وقد تنوعت صور صيغ الاستشهاد بالقرآن الكريم فكان هناك أكثر من طريقة للتمهيد لذكر الشاهد القرآني: كقول الخطيب: "قال تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم"، أو كقول الخطيب: "هل سمعتم قول الله تبارك وتعالى في كتابه"، أو قول الخطيب: "كما قال الله عزَّ وجلَّ"، وسوى ذلك كثيرٌ من

الصيغ [١٨٩].

وكثيراً ما كان الخطيب يجمع بين الاستشهاد والاقتباس في خطبته، ممَّا يجعلُ الخطبة أكثر تأثيراً في المستمع، وأكثر قوة وسعة، حتى إن القارئ يشعر بهذا الخروج السريع من الاستشهاد إلى الاقتباس أو العكس نظراً لقدرة الخطيب وتمكُّنِه في إحكام الربط بين قوله وبين النص القرآني، مما يضفي على الخطبة قيمة بلاغية وأسلوبية.

وقد اختلفت طريقة الاستشهاد بالآيات القرآنية من خطيب لآخر، فنرى بعضهم يستشهد بالآية كاملة، بحيث تشرحُ الآيةُ المعنى وتوضحه على أتمِّ وجه، ونرى بعضهم الآخر يأتي بجزءٍ من الآية فقط بما يخدمُ الغرض الذي هو بصدد الحديث عنه، فيأتي الخطيب بأوَّل الآية مثلاً، أو يأتي بآخرها، أو بوسطها. والأمثلة على ذلك كثيرة متعدِّدة متناثرة هنا وهناك في الخطب على أنواعها كافةً، وفي باب الرسائل أيضاً.

١: الاستشهاد بآية كاملة

من أمثلة الاستشهاد بالآية كاملةً، خطبة الحسن في الصلح بينه وبين معاوية التي يقول فيها: إن الله تعالى قال لنبيه صلى الله عليه وسلم﴿وَإِنۡ أَدۡرِي لَعَلَّهُۥ فِتۡنَةٞ لَّكُمۡ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٖ [الأنبياء: ١١١] "[١٩٠]. هنا يوضحُ الحسن السبب الذي جعله يَقْبَلُ الصلح مع معاوية وقد استشهد بالآية كاملة لأنها تبرر له هذا الصلح.

---

١٨٩ – ينظر: صفوت، أحمد زكي، جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، العصر الأموي، ص. ٦، ١٢٢، ١٧٩.

١٩٠ – أبو محمد بن عبد الله بن مسلم ابن قتيبة، **الإمامة والسياسة** المنسوب لابن قتيبة، (اعتنى بطبعته محمد محمود الرافعي، مطبعة النيل، القاهرة، ١٩٠٤م) ١: ١٢٠.

وكذلك خطبة الحجاج بن يوسف الثقفي في أهل الكوفة وأهل الشام، إذ قال: "بل أنتم يا أهل الشام كما قال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ١٧١ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ١٧٢ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾ [الصافات: ١٧١-١٧٣]."[١٩١] وقد استطاع الحَجَّاج أن يدمجَ الآية القرآنية ضمن كلامه. وفي هذا الاستشهاد مدحٌ وإطراءٌ لأهل الشام.

٢: الاستشهاد بأول الآية

ومن صور الاستشهاد بالقرآن الكريم أن يأتي الخطيب بأولِ الآية فقط، وذلك ليؤيِّدَ فكرته، كما جاء في خطبة الزبير ابن عليٍّ في الأزارقة حيث قال"[١٩٢]: " والله يقول لإخوانكم من المؤمنين: ﴿إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١٤٠]. وقد اختار هذه القطعة من الآية لحثّهم على الصبر. كما أنه اختار جزءاً من الآية فظهر الكلام وكأنه قطعةٌ واحدةٌ

٣: الاستشهاد بوسط الآية

أما الاستشهاد بوسط الآية فنراه في الحوار الدائر بين عبد الله بن عباس ومعاوية حول صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلَّم، حيث قال ابن عباس: " إنَّ الله جلَّ ثناؤه، وتقدَّست أسماؤه، خصَّ محمداً صلى الله عليه وسلم بصحابة آثروه على الأنفس والأموال، وبذلوا النفوس دونه في كل حال، ووصفهم الله في كتابه فقال: "... رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَاناً سِيمَاهُمْ

---

١٩١ – ابن أبي الحديد، **شرح نهج البلاغة**، ١/ ١١٥.

١٩٢ – ابن أبي حديد، **شرح نهج البلاغة**، ١/ ٣٨٨.

فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ...."[١٩٣].

كلامه الأخير مأخوذ من الآية الكريمة مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ تَرَىٰهُمۡ رُكَّعٗا سُجَّدٗا يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗاۖ سِيمَاهُمۡ فِي وُجُوهِهِم مِّنۡ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ [الفتح: ٢٩]. فقد استشهد ابن عباس بالآية القرآنية عندما أراد الحديث عن الرسول- صلى الله عليه وسلَّم- وأصحابه، ووصفهم بأجمل الأوصاف وأرقّها.

٤: الاستشهاد بآخر الآية

والاستشهاد بآخر الآية الكريمة مثل قول معاوية لرجلٍ رَفَضَ بيعة يزيد بن معاوية[١٩٤]. فقال الرجل: إني أبايع وأنا كارهٌ للبيعة، فقال له معاوية: بايع أيها الرجل فإن الله تعالى يقول: فَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَيَجۡعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيۡرٗا كَثِيرٗا [النساء: ١٩].

وهذا الجزء من الآية مأخوذ من الآية الكريمة: يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَحِلُّ لَكُمۡ أَن تَرِثُواْ ٱلنِّسَآءَ كَرۡهٗاۖ وَلَا تَعۡضُلُوهُنَّ لِتَذۡهَبُواْ بِبَعۡضِ مَآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ إِلَّآ أَن يَأۡتِينَ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖۚ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ فَإِن كَرِهۡتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَيَجۡعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيۡرٗا كَثِيرٗا [النساء: ١٩].

مما تقدَّم نلاحظ أن الخطباء استفادوا كثيراً في خطبهم من القرآن الكريم، فمنهم من استشهد بجزء من سورة ومنهم من استشهد بآية كاملة ومنهم من استشهد بجزء من الآية، وهذا يدلُّ على تمكُّن

١٩٣ - أبو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي، مروج **الذهب ومعادن الجوهر**، (تح: يوسف أسعد داغر، مؤسسة دار الهجرة، ٤ أجزاء، بيروت، ١٩٦٥ م). ٢/ ٨٤.

١٩٤ - صفوت، أحمد زكي، جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، العصر الأموي، ص. ٢٣٣.

الخطباء من الاستفادة من القرآن الكريم لإغناء موضوعاتهم ووضع الشاهد المناسب في المكان المناسب.

ثانياً: الاستشهاد بالقرآن الكريم في الرسائل

وفي دراستنا لموضوع الاستشهاد في الرسائل، وجدنا الأمرَ عَيْنَهُ الذي وجدناه في الخطبِ؛ إذْ تعدَّدت أيضاً صور الاستشهاد، فكان هناك عدة أشكال يبدأ بها المرسل لذكر الشاهد القرآني الذي يثبتُ من خلالِهِ رأيَهُ، ويستدلُّ به على صحة القضية المطروحة للجدل، ومثال ذلك قول الكاتب: " كما قال الله تعالى"، أو قوله: "إن الله تبارك وتعالى قال"، أو قوله: "قال عزَّ ذكره"، وسوى ذلك كثيرٌ من الصيغ[١٩٥].

وكذلك اختلف أسلوب الاستشهاد في الرسائل من كاتب إلى آخر، فمنهم من دلّل على كلامه بذكر الآية القرآنية كاملةً، ومنهم من ذَكَرَ جزءاً من الآية، قد يكون أول الآية أو وسطها أو آخرها، وذلك حسبما يقتضيه السياق والحال.

١: الاستشهاد بآية كاملة

ومن الاستشهاد بآية كاملة ما جاء في رسالة الحسن البصري إلى الحجَّاج[١٩٦] ، وذلك في سياق حديثه عن السَّلف الصالح الذين قاموا لأمر الله، واستنُّوا بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا

---

١٩٥ – صفوت، أحمد زكي، جمهرة رسائل العرب في عصور العربية الزاهرة، العصر الأموي، ص٢٩٥،٦٨، ٣٨٥.

١٩٦ – أحمد بن يحيى المرتضي، المنية **والأمل في شرح كتاب الملل والنحل**، (اعتنى بتصحيحه توما أرنلد، مطبعة دار المعارف، ١٣١٦هـ). ١٢.

يحتجُّون إلا بما يحتجُّ الله تعالى به على خلقه، وقوله الحق: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ [الذاريات: ٥٦]."فاستشهاده بهذه الآية يؤكد أهمية عبادة الله جلَّ وعلا وضرورة طاعة أوامره وسنة رسوله الكريم.

ونجد ذلك أيضاً في رسالة معاوية إلى ابنه يزيد، وقد بلغه مُقَارَفَتهُ اللَّذاتِ، وانهماكه في الشهواتِ. يقول: "واعلم يا يزيدُ أنك طريدُ الموتِ، وأسير الحياة، بلغني أنك اتَّخذتَ المصانع[١٩٧]، والمجالس للملاهي والمزامير،[١٩٨] كما قال الله تعالى: ﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةً تَعْبَثُونَ ١٢٨ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ [الشعراء: ١٢٨-١٢٩]. يريدُ معاوية بن أبي سفيان أن ينصحَ ابنه بأنَّ الدنيا ليست دائمة، وأنَّ الآخرةَ هي دارُ الخلود وعلى الإنسان أن يعملَ لآخرته فاستشهد بآية تناسب هذا المقام كي يثبت لابنه صِحَّةَ كلامه.

٢: الاستشهاد بأول الآية

ومن أمثلة الاستشهاد بأول الآية الكريمة ما جاء في كتاب الحسن عليه السلام إلى معاوية، إذ بدأ كتابه بالتذكير بدور الرسول صلى الله عليه وسلم في حياة العرب عامةً، وقريش خاصةً، فاستشهد بقوله تعالى: " **وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ**ۖ".[١٩٩]. هذه الآية من قوله تعالى في سورة الزخرف: ﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ۖ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ [الزخرف: ٤٤].

---

١٩٧ – المباني والقصور.

١٩٨ – القلقشندي – **صبح الأعشى**، ٦ ٣٨٧.

١٩٩ – ابن أبي حديد، شرح نهج البلاغة، ٤/ ٩.

٣: الاستشهاد بوسط الآية

وقد استشهد الكتَّاب بوسط الآية، ونجد ذلك في كتاب عمر بن عبد العزيز إلى نفرٍ كذَّبوا بالقدرِ بعد أن تبيَّنت لهم الأمور، وثبتتْ الحجة فهؤلاء مصيرهم الهلاك لا محالة. يقول: "إن الله قد علِمَ ما العباد عاملون، فأنكرتم ذلك، وقد قال تعالى: ﴿إِنَّا كَاشِفُواْ ٱلْعَذَابِ قَلِيلًاۚ إِنَّكُمْ عَآئِدُونَ ﴾ [الدخان: ١٥] . وقال: " وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ"[٢٠٠]. فالشاهد القرآني الأول جاء كاملاً من سورة الدخان، أمَّا الشاهد القرآني الثاني فهو وسط الآية الكريمة ﴿بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُواْ يُخْفُونَ مِن قَبْلُۖ وَلَوْ رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾ [الأنعام: ٢٨] . استشهدَ عمر بن عبد العزيز بهذه الآية كي يثبتَ للناس أنَّ الهلاكَ هو مصيرُ الذينَ يُكَذِّبون بالقضاء والقَدَرِ، وقد أخذ جزءً من الآية وهذا الجزء يخدِمُ فكرته، وأراد أن يقول للذين لا يؤمنون بالقضاء والقدر أن مصيركم هو جهنَّم.

مما سبق نستنتج أن الكتَّاب استخدموا نفس الطريقة التي اعتمد عليها الخطباء في الاستشهاد، واستطاعوا أن يستفيدوا من القرآن الكريم في تقوية رسائلهم.

٤: الاستشهاد بآخر الآية

كما كان بعض الكتَّاب يستشهد بآخر الآية كما جاء في رسالة عمر بن عبد العزيز إلى حيَّان

٢٠٠ – أبو الفرج عبد الرحمن بن علي ابن الجوزي، مناقب **عمر بن عبد العزيز**، (تح أحمد عبد الحميد ديب، دار نجد، الرياض، ٢٠٠٣ م). ٦٨.

بن شُرَيح، يطلب منه إسقاط الجزية عمَّن أسلم من أهل الذِّمة. يقول: "ضع الجزية عمَّن أسلم من أهل الذمة، فإن الله تبارك وتعالى قال:" فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ "[٢٠١]. وهذه الآية مأخوذة من قوله تعالى في سورة التوبة: فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ وَٱقْعُدُواْ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ ۚ فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ [التوبة: ٥]. الاستشهاد بهذه الآية جاء في مقامه المناسب ليؤكد ضرورة إسقاط الجزية عمَّن آمن بالله وأقام الصلاة وآتى الزكاة من أهل الذمة.

ثالثاً: الاستشهاد بالقرآن الكريم في المناظرة

لم يستغنِ المتناظرون في أقوالهم عن الاستعانة بالقرآن الكريم في تدعيم آرائهم، فكان الاستشهاد بآيات الذّكر الحكيم عنصراً بارزاً في مناظراتهم، ومن الطبيعي أن يلجؤوا إلى القرآن الكريم والحديث النبوي في الاستشهادات، وذلك لأن أغلب القضايا التي يتناولونها تختص بالفقه والخلافة، والفيصل في هذه القضايا يعتمد على ما جاء في القرآن، أو ما جاء من أثر وحديث عن الرسول صلى الله عليه وسلم. وكما درسنا في الخطب والرسائل، فقد تعددت طرق الاستشهاد في المناظرات؛ من استشهاد بآية كاملة، إلى استشهاد بجزء من الآية، في بدايتها أو وسطها أو أخرها.

١: الاستشهاد بآية كاملة

نرى هذا الاستشهاد في مناظرة عبد الله بن الزبير للخوارج، حينما شرح للخوارج أنَّ المؤمن يجب أن يكونَ ليّناً في كلامه، رقيقاً في طلبه، فقال: " إنَّ الله أمر – وله العزَّة– في مخاطبة أكفر الكافرين، وأعتى

٢٠١ – الطبري، **تاريخ الطبري** ٨/ ١٣٨.

العتاة، بأرأفِ من هذا القول، فقال لموسى ولأخيه صلى الله عليهما:" اذهبا إلى فرعون إنَّه طغى، فقولا له قولا ليناً، لعلَّه يتذكر أو يخشى"[٢٠٢].

فقد استشهد ابن الزبير بآيتين كاملتين من القرآن الكريم: ﴿ٱذۡهَبَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ٤٣ فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ﴾ [طه: ٤٣-٤٤].

ومن ذلك أيضاً ما جاء في المناظرة التي جرت بين السُّليك بن السلكة والحجاج، حيث أراد السُّليك أن ينصح الحجاج، فقال له: "يا أيها العزيز، إنَّ له أباً شيخاً كبيراً، فخذ أحدنا إنَّا نراك من المحسنين".

فقد استشهد بآيتين كاملتين من القرآن الكريم: ﴿قَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡعَزِيزُ إِنَّ لَهُۥٓ أَبٗا شَيۡخٗا كَبِيرٗا فَخُذۡ أَحَدَنَا مَكَانَهُۥٓۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [يوسف: ٧٨].

٢-الاستشهاد بأوَّل الآية

ومن الاستشهاد بأول الآية، ما جاء في المناظرة بين ابن عباس والمغيرة بن شعبة حول نصيحة المغيرة لعلي – رضي الله عنه- بترك الخلافة، ولكنه آثر رأيه ومضى فيه، فكانت النتيجة غير مرضية للجميع، فردَّ عليه ابن عباس قائلاً[٢٠٣]: "كان -والله- أمير المؤمنين -عليه السلام- أعلم بوجوه الرأي، ومعاقد العزم، من أن يقبل مشورتك فيما نهى الله عنه، وعنَّف عليه، قال سبحانه وتعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوۡمٗا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ يُوَآدُّونَ مَنۡ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوۡ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمۡ أَوۡ أَبۡنَآءَهُمۡ أَوۡ إِخۡوَٰنَهُمۡ أَوۡ عَشِيرَتَهُمۡۚ [المجادلة: ٢٢]. فقد استشهد بأول الآية، ليؤكد انَّ عليَّاً -عليه السلام- لم يقبل مشورة المغيرة، ولا يمكن أن يداهن في دينه، ولايقبل الرِّياء في أمره.

---

[٢٠٢] – الطبري، تاريخ الطبري، ٥٥/٧

[٢٠٣]– ابن الأثير، **الكامل في التاريخ**، ١٧/٥.

ومن ذلك أيضاً ما جاء في مناظرة عبد الله بن الزبير للخوارج، حين أراد أن يدافع عن أبيه وطلحة بن عبيد الله – رضي الله عنهما- بعد أن أراد الخوارجُ منه شتمهما، فقال لهم[٢٠٤]:" إنَّ الرسول- صلى الله عليه وسلم- نهى شتم أبي جهلٍ من أجل عكرمة ابنه، وأنتم تريدون مني أن أسبَّ أبي، وأنتم تعلمون بأنَّ الله تعالى قال في الأبوين: ﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشۡرِكَ بِي مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٞ فَلَا تُطِعۡهُمَاۖ وَصَاحِبۡهُمَا فِي ٱلدُّنۡيَا مَعۡرُوفٗاۖ [لقمان: ١٥]. فقد أخذ نصف الآية وهي تصف الأبوين المشركين، وتطلب من أبنائهم طاعتهم فيما لا يغضب الله، فكيف بالزبير ابن العوام حواري رسول الله – صلى الله عليه وسلم- وطلحة بن عبيد الله أحد المبشرين بالجنة!

وفي نفس المناظرة، استشهد ابن الزبير مرَّة أخرى ببداية الآية عندما ردَّ على الخوارج، حيث قال: إنَّ الرسول –صلى الله عليه وسلَّم- ذكر أنهما في الجنة –يقصد الزبير بن العوام وطلحة بن عبيد الله رضي الله عنهما – وقال جلَّ وعلا: ﴿لَّقَدۡ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ يُبَايِعُونَكَ تَحۡتَ ٱلشَّجَرَةِ ﴾ [الفتح: ١٨]. وما أخبرنا بعدُ أنَّه سَخَطَ عليهم.

٣-الاستشهاد بوسط الآية

كذلك استشهد المتناظرون بوسط الآية، ومن ذلك ما جاء في المناظرة بين ابن عباس ومعاوية بن أبي سفيان، عند أراد ابن عباس أن يبيّن العلاقة بين الرسول- صلى الله عليه وسلم- والعباس، فقال:" رحم الله العباس-أبا الفضل- كان صنو نبي الله، وقرَّة عين صفي الله، سيد الأعمام، وقد وصف الله تعالى صحابة محمد- صلى الله عليه وسلم[٢٠٥]- فقال: ﴿رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ تَرَىٰهُمۡ رُكَّعٗا سُجَّدٗا يَبۡتَغُونَ

[٢٠٤] – الطبري ،**تاريخ الطبري**، ٥٥/٧.

[٢٠٥] – المسعودي، **مروج الذهب**، ٨٤/٢.

فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗاۖ سِيمَاهُمۡ فِي وُجُوهِهِم مِّنۡ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ [الفتح: ٢٩]. وهذه مأخوذة من منتصف الآية ٢٩ من سورة الحجرات.

ومن الأمثلة التي استشهد بها المتناظرون بوسط الآية، ما جاء في المناظرة التي دارت بين أم البراء بنت صفوان، ومعاوية بن أبي سفيان حين طلبت منه العفو بعد أن ذكَّرها بأبيات من الشعر، تهجو فيها بني أمية، فقالت[٢٠٦]: " ومثلك من عفا، والله تعالى يقول: عَفَا ٱللَّهُ عَمَّا سَلَفَۚ [المائدة: ٩٥]. وهي مأخوذة من منتصف الآية.

٤-الاستشهاد بآخر الآية

وقد استشهد المتناظرون بآخر الآية، ومن ذلك ما جاء في مناظرة ابن عباس ومجموعة من الرجال في حضرة معاوية بن أبي سفيان، ففي جواب ابن عباس على المغيرة بن شعبة استشهاد آخر، ولكن هذه المرة جاء من آخر الآية، وذلك في قوله: وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلۡمُضِلِّينَ عَضُدٗا [الكهف: ٥١]. فهذا الاستشهاد جاء من آخر الآية.

ومن ذلك أيضا ما جاء في مناظرة عمر بن عبد العزيز للخوارج حينما أرادوا من أن يقرَّ ببطلان ولاية بني أميَّة ولعنهم، ونزع ولاية العهد من يزيد بن عبد الملك.

فقال لهم إن الله لم يبعث الرسول- صلى الله عليه وسلم- لعاناً[٢٠٧]، وقال إبراهيم: فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُۥ مِنِّيۖ وَمَنۡ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ [إبراهيم: ٣٦]. وهذه مأخوذة من نهاية الآية.

---

[٢٠٦] - القلقشندي، **صبح الأعشى**، ٢٦١/١.

[٢٠٧] - ابن الأثير، **الكامل في التاريخ**، ١٧/٥.

المطلب الثاني: الاستشهاد بالحديث النبوي

لم يتوقف الخطباء والكتاب وأصحاب المناظرات عند الاستشهاد بالقرآن الكريم فحسب، بل تعدّوه إلى الاستشهاد بالحديث النبوي الشريف، ولا يخفى علينا ما يتميز به الحديث الشريف من قوَّة الدلالة وحسن الإشارة، وفصاحة المعنى، وبلاغة الأسلوب، وقد استمدَ الخطيب من كقوة الحديث وفصاحته وبلاغته قوّةً وفصاحةً وبلاغةً، فكان لذلك دورٌ كبيرٌ في إيصال المعنى للمتلقي أو المستمع بأبلغ صورةٍ وأفضل أسلوب، فيؤثّرُ الخطيب في نفوس المتلقين وعقولهم في آنٍ معاً.

وإذا ما قارنا بين الاستشهاد بالقرآن الكريم والاستشهاد بالحديث الشريف، فإنَّا نجدُ أنَّ الاعتماد على القرآن الكريم كان كبيراً جدَّاً، أما الاستشهاد بالحديث الشريف فقد كان قليلاً، وفي أماكن محدودة من الخطب والرسائل، والمناظرات.

أولاً: الاستشهاد بالحديث النبوي في الخطب:

استعان الخطباء بالحديث النبوي في خطبهم، وذلك لتعزيز موقف، أو لإثبات حقٍ يريدونه، معتمدين في ذلك على حديثٍ ورد على لسان الرسولِ صلى الله عليه وسلَّم، ومن ذلك قول الحسين بن علي في خطبةٍ له في جماعته من أهل الكوفة، عندما أراد منهم البيعة لنفسه:" أيها النَّاس، إنَّ رسول الله – صلى الله عليه وسلم- قال: « من رأى سلطاناً جائراً مستحلَّاً لحرم الله، ناكثاً لعهد الله، مخالفاً لسنةِ رسول الله صلى الله عليه وسلم، يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان، فلم يغيّر عليه بفعلٍ ولا قولٍ، كان حقاً على الله أن يُدخله مُدخله»[٢٠٨]. فقد استشهد الحسين بحديث نبوي ليقنع أهل الكوفة بعدم

٢٠٨ – شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري، **نهاية الأرب في فنون الأدب**، (صححه: أحمد الزين، دار الكتب المصرية بالقاهرة، الطبعة الأولى، ١٣٤٧هـ/١٩٢٩م)، ١١٩/٢٠.

أحقية يزيد بن معاوية بالبيعة لظلمه.

واستشهد صعصعة بن صوجان بحديث نبوي عندما وفد على معاوية في الشام، وأراد أن يثبت لمعاوية أنَّ الرسول- صلى الله عليه وسلم- أحبَّ أهلَ العراقِ ومدحهم، ووصفهم بالأناة والحكمة، وذلك عندما وفد عبدالله بن عوف الأشجِّ وهو من أهل العراق إلى المدينة المنوَّرة، فقال له الرسول صلى الله عليه وسلم:« إنَّ فيك خلَّتين يحبهما الله: الأناة والحلم[٢٠٩]». وقد ذكر هذا الحديث من خلال خطبته بين يدي معاوية[٢١٠].

ثانياً: الاستشهاد بالحديث النبوي في الرسائل

وإذا ما جئنا إلى الرسائل فإننا نلاحظ الأمر ذاته من حيث قلة الأحاديث مقارنة بالآيات القرآنية.

ومن هذه الشواهد ما جاء في كتاب عمر بن عبد العزيز إلى عبد الملك بن مروان الذي يقول فيه[٢١١]: "أما بعدُ، فإنك راعٍ، وكلُّ راعٍ مسؤولٌ عن رعيته، حدثني أنس بن مالك أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم: «كلُّ راعٍ مسؤولٌ عن رعيته» [٢١٢].

وهناك بعض الرسائل المتبادلة بين الكتَّاب بهدف الأخذ عن الرسول صلى الله عليه وسلم، وتحصيل الفائدة والمنفعة والحكمة من أقواله الكريمة دون وجود أيَّة مقاصد أخرى للاستشهاد، كما جاء في رسالة معاوية إلى المغيرة بن شعبة:" اكتب إليَّ بشيءٍ سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم،

- [٢٠٩]أخرجه أبو عبدالله أحمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، تح: شعيب الأرناؤوط، عادل مرشد، (بيروت، مؤسسة الرسالة، ط١، ٢٠٠١م) ، ٦١/٢٩، رقم الحديث ١٧٨٢٨.

[٢١٠] - ابن عبد ربه، **العقد الفريد**، ٥٦/٢.

٢١١ - الطبري، **تاريخ الطبري**، ١٢١/٢.

٢١٢ - أخرجه محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور الرسول صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه، {باب قوا أنفسكم وأهليكم نارا}، (بيروت، دار طوق النجاة، ط١، ١٤٢٢هـ)، ٢٦/٧، رقم الحديث ٥١٨٨.

فكتب إليه[٢١٣]:" سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول:« إنَّ الله كره لكم ثلاثة: قيل وقال، وإضاعة المال، وكثرة السؤال»[٢١٤] .

وورد ذلك أيضا في كتاب معاوية إلى عائشة رضي الله عنها، حيث "كتب معاوية إلى عائشة أن اكتبي إليَّ بشيءٍ سَمِعْتِهِ من أبي القاسم صلى الله عليه وسلم، فكتبت إليه: سمعتُ أبا القاسم صلى الله عليه وسلم يقول: « مَنْ عَمِلَ بما يُسْخطُ الله عادَ حامِدهُ من الناس له ذامًّاً »[٢١٥].

وجاء في رسالة عمر بن عبد العزيز إلى أهل الأمصار في الأنبذة: ".... غير أنَّ كل ما كان من نبيذ العسل والتمر والزبيب فلا يُنبذ إلا في أسْقِية الأدم[٢١٦] التي لا زِفْتَ فيها، ولا يُشرب منها ما يُسكر، فإنه بلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن شرب ما جُعل في الجِرار والدُّباء، والظروف المزفَّتة، وقال:« كلُّ مسكرٍ حرام"[٢١٧]. فاستغنوا بما أحلَّ الله عمَّا حُرِّمَ عليكم »[٢١٨].

فقد اتَّخذ عمر بن عبد العزيز من الحديث الشريف دليلاً قويًّاً لإثبات رأيه وإقناع الناس بما هو محرَّمٌ من الأنبذة، وتمكَن من اتخاذ الحجة عليهم، فمن أطاعه فهو في خيرٍ، ومَن خالفه فقد ضَلَّ.

ثالثاً: الاستشهاد بالحديث النبوي في المناظرة

وقد اعتمد المتناظرون أيضا على الحديث النبوي في مناظراتهم، من ذلك ما نجده في المناظرة

---

٢١٣ – ابن قتيبة الدينوري، عيون **الأخبار**، (تحقيق: لجنة دار الكتب المصرية، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٩٦م)، ٢/ ١٠٠.

– ٢١٤ – أخرجه أبو عبدالله أحمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، تح: شعيب الأرناؤوط، عادل مرشد، (بيروت، مؤسسة الرسالة، ط١، ٢٠٠١م) ، ٧٩/٣٠، رقم الحديث ١٨١٧٤.

٢١٥ – الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر، **البيان والتبيين**، (تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي بالقاهرة، الطبعة السابعة، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م)، ٢/ ١٦١.

٢١٦ – الجلد.

٢١٧ – أخرجه أبو عبدالله أحمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، تح: شعيب الأرناؤوط، عادل مرشد، (بيروت، مؤسسة الرسالة، ط١، ٢٠٠١م) ، ٤٩/١٩، رقم الحديث ١٢٠٩٩.

٢١٨ – ابن عبد ربه، **العقد الفريد**، ٣/ ٣٣٧.

التي جرت بين عبد الله بن عباس وعبد الله بن الزبير، حيث قال ابن عباس[٢١٩] " قضى لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله: «ما افترقت فرقتان إلا كنتُ في خيرهما». "[٢٢٠].

وفي مقال المولى ذكوان وهو مولى الحسين بن علي رضي الله عنهما، حيث دخلا على معاوية، وعند معاوية جماعة من قريش، منهم ابن الزبير، إذ بدأ الحوار بينهم، فقال ابن الزبير: " إنَّ أبا عبد الله (كنية الحسين) سكتَ وتكلَّمَ مولاه، ولو تكلَّمَ لأجبناه..... ولا جواب لهذا العبد. قال ذكوان: "هذا العبدُ خيرٌ منك، قال رسول الله صلى الله عليه وسلمَ: «مولى القوم منهم» [٢٢١].، فأنا مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأنت ابن العوَّام بن خويلد، فنحن أكرم ولاءً، وأحسن فعلاً"[٢٢٢].

تظهر هنا بلاغة المولى ذكوان وقدرته على حسن التخلص بالاستشهاد بحديث للرسول صلى الله عليه وسلم، حيث استطاع أن يستشهد بحديث نبويّ شريف للدفاع عن نفسه فكان جوابه كافياً شافياً، مؤديًّاً للغرض المقصود منه.

ونجد ذلك أيضاً في مناظرة ابن الزبير للخوارج[٢٢٣]، فقد استند إلى القرآن الكريم والحديث الشريف في الاحتجاج لرأيه.

وبذلك نجد أن الخطباء والكتَّاب وأصحاب المناظرات قد اتخذوا من القرآن الكريم معيناً لا ينضب يعززون به خطبهم ورسائلهم، أما أقوال الرسول الكريم فقد كانت قليلة جدا إذا ما قورنت بآيات

---

٢١٩ – الطبري، **تاريخ الطبري**،٧/ ٧١.

٢٢٠ – سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني، **المعجم الكبير**، تح: حمدي بن عبد المجيد السلفي، (دار النشر: مكتبة ابن تيمية – القاهرة الطبعة: ط٢، ١٤١٥ هـ – ١٩٩٤م)، ٥٦/٣، رقم الحديث ٢٦٧٤.

٢٢١ – أخرجه محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور الرسول صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه، {باب مولى القوم من أنفسهم}، (بيروت، دار طوق النجاة، ط١، ١٤٢٢هـ)، ٥٥/٨، رقم الحديث ٥١٨٨.

٢٢٢ – شمس الدين أبو المظفر يوسف بن قِزْ أُوغلي، **مرآة الزمان في تواريخ الأعيان**، (تح: عمار ريحاوي، دار الرسالة العالمية، دمشق – ١٤٣٤ هـ – ٢٠١٣ م)، ٧١/٨.

٢٢٣ – ابن عبد ربه، **العقد الفريد**، ٣٩٥/٥.

الذكر الحكيم، ولعلَّ السبب عائدٌ إلى أن الخطباء والكتاب قد وجدوا مادةً غنية في القرآن الكريم، فبدؤوا ينهلون منها ما يريدون، حسبما تقتضي حاجتهم إلى ذلك.

المطلب الثالث: الاستشهاد بالشِّعر

أمَّا الشِّعر فقد كان له دورٌ بارزٌ في الخطب والرسائل والمناظرات، وهو من المصادر المهمَّة التي استند إليها الخطيب أو الكاتب في رسالته، فكان يستشهد ببعض الأبيات الشِّعرية التي تعينه في إيصال المعنى إلى الطَّرف الآخر، وأحياناً نجده يجمع في خطبته أو رسالته بين الاستشهاد بالقرآن الكريم والشِّعر، أو بين القرآن والحديث، بحيث تكون الرسالة غنيةً زاخرةً بما يزيدها إيضاحاً فتكون أقرب إلى فهم المستمع، وأكثر تأثيراً فيه.

أولاً: الاستشهاد بالشِّعر في الخطابة

وقد لاحظنا من خلال دراستنا للخطب كثرة استخدام هذا الجانب الفني(الشِّعر)، والأمثلة على ذلك كثيرة، منها خطبة عبد الله بن الهمام السَّلولي الذي جمع فيها بين التهنئة والتعزية لما توفِّي معاوية واستخلف يزيداً ابنه، فاجتمع الناس على بابه، ولم يقدروا على الجمع بين التهنئة والتعزية حتى

أتى عبد الله بن همام السَّلولي[٢٢٤] فدخل عليه فقال:" يا أمير المؤمنين، آجَرَك الله على الرَّزيّة، وبارك لك في العطيّة، وأعانك على الرَّعيّة، فلقد رُزِئت عظيماً، وأُعطيت جسيماً.... وأنشد:

فاصبر يزيد فقد فارقتَ ذا ثقةٍ واشكر حِباءَ الذي بالملك أصفاكا

لا رُزْءَ أصبح في الأقوام نعلمه كما رُزِئتَ، ولا عُقبى كعقباكا

أصبحتَ واليَ أمر الناس كلِّهمُ فأنت ترعاهم والله يرعاكا

وفي معاوية الباقي لنا خلَف إذا نُعيتَ، ولا نسمع بمنعاكا[٢٢٥]

نلاحظ أنّ عبد الله بن الهمام حثّ يزيداً في البداية على الصبر على الرزيّة، وهي فقد والده، وحثّه أيضاً على شكر الله على ما وهبه من الملك، مبيّناً أنّ مصيبته بالفقد كبيرة، ونعمة الله عليه بالملك عظيمة، إذ وهبه الله الملك وأيّده ورعاه، وهو بدوره راعٍ للناس موكّل عليهم ليكون خير خلف لخير سلف، ويختم كلامه بالدعاء ليزيد بطول العمر والبقاء.

ونجد ذلك أيضاً في خطبةٍ لزياد ابن أبيه حيث قال:

" أيها الناس، لا يمنعكم سوءُ ما تعلمون منَّا أنْ تنتفعوا بأحسن ما تسمعون منَّا، فإنَّ الشاعر يقول:

اِعمل بقولي وإنْ قصَّرتُ في عملي ينفعك قولي ولا يَضُرُّك تقصيري[٢٢٦]

٢٢٤– عبد الله بن همام السلولي (ت–٧٢هـ)، شاعر وضعه ابن سلام الجمحي في الطبقة الخامسة من فحول الشعراء الإسلاميين، يغلب على شعره المدح، له ديوان شعر جمعه وحقق دراسته وليد محمد السراقبي. ينظر: **شعر عبد الله بن همام السلولي**، جمع وتحقيق وليد محمد السراقبي، مطبوعات مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، دبي، ١٩٩٦م، ص ١٥٨.

٢٢٥ – ابن عبد ربه، العقد الفريد، ١٤١/٢.

٢٢٦ – الطبري، تاريخ الطبري، ٦/ ١٤٣.

هذا الشِّعرُ للخليل ابن أحمد الفراهيدي(١٧٠هـ-٧١٨م) [٢٢٧] وهذه دعوة من زياد بن أبيه للناس من أجل الانتفاع بما يدركون من منجزات الخلفاء والأمراء.

وكذلك نلاحظ في خطبة الحجاج حين وُلِّي العراق سنة ٧٥هـ، حيث دخل المسجد مُعتماً بعمامةٍ قد غطَّى بها أكثر وجهه، متقلِّداً سيفاً، متنكِّباً قوساً، يؤم المنبر، فقام الناسُ نحوه حتى صعد المنبر، فمكث ساعةً لا يتكلَّمُ، فلما رأى عيون الناس إليه، حَسَرَ اللثام عن فيهِ ونهض، فقال:

أنا ابن جلا وطلَّاع الثنايا متى أضع العمامة تعرفوني[٢٢٨]

استشهد الحجاج بهذا البيت - وهو لسحيم بن وثيل الرياحي- ليؤكد للناس جميعاً أنَّه أشهر من نارٍ على علمٍ، فهو الرجل الظاهر المشهور الذي لا يخفى على أحدٍ، ثم قال: يا أهل الكوفة أما والله إني لأحمل الشَّرَ بحمله، وأحذوه بنعله.... وإني لأرى رؤوساً قد أينعت وحان قطافها، وإنِّي لصاحبها... ثم قال:

هذا أوانُ الشَّد فاشتدِّي زِيَمْ قد لفها الليلُ بسوّاق حُطَم

ليس براعي إبلٍ ولا غنم ولا بجزَّارٍ على ظهر وَضَمْ[٢٢٩]

هذا الشعرُ للشاعر رويشد بن رُميص[٢٣٠] يخاطبُ فيه فرسهُ (زِيَمْ) ويريدُها أن تكون قويَّةً في أرض المعركةِ، وقد استشهدَ الحجَّاج به كي يخيف أهل الكوفة ويثبت لهم أنَّه فارسٌ قويٌّ، ولغة الشعر

---

٢٢٧ - شاعرٌ ونحويٌّ من البصرة، وهو واضعُ علمَ لعروض.

٢٢٨- ابن عبد ربه، **العقد الفريد**، ٢/ ١٥٣.

٢٢٩ - ابن عبد ربه، **العقد الفريد**، ٢/ ١٥٣.

٢٣٠ - شاعر مخضرم (جاهلي إسلامي) أدرك الإسلام وأسلمَ. الكامل في التاريخ، ص٢٠٥.

في هذا البيت تدلُّ على التهديد[٢٣١]. كما أنَّ مضمون الخطبة تهديدٌ ووعيدٌ وتخويفٌ من الحجّاج لأهل الكوفة.

ثانياً: الاستشهاد بالشِّعرِ في الرسائل

وإذا ما انتقلنا إلى الرسائل نجد أن اعتماد هذا الجانب الفني قليل مقارنة مع الخطب. مثال ذلك كتاب عبد الملك بن مروان إلى الحجاج بعد أن وصله خبرَ إسراف الحجاج في سفك دماء المسلمين، وتبذير الأموال:" وظُنَّ بأمير المؤمنين كلَّ شيءٍ، إلا احتمالك على الخطأِ، وكتب له في أسفل الرسالة:

إذا أنت لم تطلب أموراً كَرِهْتَها وتطلب رضائي بالذي أنت طالبه
فإن ترَ مني غفلةً قرشيَّةً فيا ربَّما غصَّ بالماء شاربه [٢٣٢]

والأبيات مع الرسالة يحملان تهديداً واضحاً للحجاج، ويطلبان منه الحفاظ على دماء وأموال الناس.

وأحياناً كان الكاتب يرسل رسالة شعريةً دون اللجوءِ إلى الخطاب النَّثري، فيجد في الشِّعر مبتغاه ومقصده، كما في الرسائل المتبادلة بين معاوية وعبد الله بن الزبير، إذ كتب معاوية إلى ابن الزبير قائلاً:

رأيت كرامَ الناسِ إن كُفَّ عنهمُ بحِلمٍ رأوْا فضلاً لمن قد تَحَلَّما
ولا سيَّما إن كان عفْواً بقدرةٍ فذلك أحرى أن يُجَلَّ ويُعظَما
ولست بذي لؤمٍ فَتُعْذر بالذي أتاهُ من الأخلاقِ ما كانَ ألأما
ولكنَّ غِشًّا لستَ تعرفُ غيرهُ وقد غَشَّ قبل اليومِ إبليسُ آدما
فَما غّشَّ إلا نفسه في فعالهِ فأصبح ملعوناً وقد كان مُكْرَما[٢٣٣]

---

٢٣١ – شاعرٌ مخضرمٌ (جاهلي إسلامي) أدرك الإسلام وأسلم. ينظر: ابن الأثير، **الكامل في التاريخ**، ٢١٥.

٢٣٢ – مروج الذهب، ٢/ ١٢٦.

٢٣٣ – ابن قتيبة، **الإمامة والسياسة**، ١/ ١٣٠.

فردّ عليه عبد الله بن الزبير بالطريقة ذاتها قائلاً:

ألا سمعَ اللهُ الذي أنا عبدُهُ فأخزى إلهُ الناس مَنْ كان أظلما

وأجرا على الله العظيم بحلمه وأسرَعَهم في الموبقات تَقَحُّما

أغَرَّك أن قالوا حليمٌ بعزَّةٍ وليس بذي حلمٍ ولكن تحلَّما

ولو رُمتَ ما إن قد عزَمتَ وجدتني هِزبرَ عرينٍ يترك القِرْنَ أكتما[٢٣٤]

وفي هذه الأبيات نرى كلاً من ابن الزبير ومعاوية يزعم لنفسه الحلم والصفح، ويتّهم الآخر باللؤم والخسّة والدناءة والغشّ.

ثالثاً: الاستشهاد بالشعر في المناظرة

جاء الاستشهاد في الشِّعر في المناظرات في مواضع محدَّدة، ورأينا من خلال تتبعنا للمناظرات استشهادا بأشعارٍ غير لائقةٍ، وقد تجنباها لما فيها من شتائم تمسُّ أشخاصاً من الصحابة، وقد شكك كثيرٌ من المؤرخين والدارسين بصحة هذه المناظرات، ونرى أن السبب في تجنب المتناظرين الاستشهاد بالشعر يعود إلى عدم خدمته لمواضيعهم كما هو الحال في القرآن الكريم، والحديث النبوي الشريف.

ومن الشواهد الشعرية ما جاء على لسان ابن عباس عندما تحدَّث عن نهاية عبد الرحمن بن ملجم، وذكر الشعر الذي يدلُّ على شجاعة على رضي الله عنه حيث قال:" فإنَّا لَكَمَا قال دريد بن الصِّمة[٢٣٥]:

فإنَّا لَلَحْمُ السَّيف غيرِ مكرَّهٍ ونُلْحِمُهُ طوراً وليس بذي نُكْرِ

---

٢٣٤ – ابن قتيبة، **الإمامة والسياسة**، ١/ ١٣١.

ابن أبي حديد، **شرح نهج البلاغة**، ٢/١٠٥. ٢٣٥ –

وكذلك استشهد ابن عباس بالشعر عندم ردَّ على رجل من بني فزارة وقد هجا صاحب ابن عباس صعصعة بن صوجان فقال:" أما لو كلِّفَ أخو فزارة نفسه نقل الصخور من جبل شمام إلى الهضاب لكان أهون عليه من منازعة أخي عبد القيس، ثم تمثَّل قائلاً[٢٣٦]:

صُبَّتْ عليه ولم تنصبُّ من أممٍ إنَّ الشقاء على الأشقين مصبوب

والبيت غير منسوبٍ لصاحبه.

نجد مما سبق أن القرآن الكريم والحديث الشريف والشِّعر، من المصادر الأساسية التي نهل منها الخطباء والكتَّاب والمتناظرون في العصر الأموي. لأنهم وجدوا فيها مادةً وفيرة يستمدُّون منها المعاني والمقاصد التي يبغونها، بغضِّ النظر عن طبيعة المرمى وغرضه سواء أكان للمدح أم للذمِّ أم للوعظ أم للحضِّ والتشجيعِ والتشويق أم لتوضيح بعض المسائل المعقَّدة، أم للاحتجاج والاستدلال على قضيَّةٍ ما، أو رأي ما، أم للدفاع عن الذات ضدَّ أحد الخصوم.

المبحث الثاني: الاقتباس وأشكاله

تعريف الاقتباس

الاقتباس من قَبَسَ وأقْبَسَ بمعنى أعطى، واقتبستُ منه علماً، أي اسْتفدتُهُ، يُقالُ: اقتبستُ منهُ عِلماً أي استَفدتُهُ، وقبَسَ العِلمَ: استفادَهُ، وقبسَ الرجلُ عِلماً أو نُوراً: أفادهُ إياهُ[٢٣٧].

أمَّا في الاصطلاح فإنَّ "الاقتباس أن يُضمِّن المتكلِّم كلامه كلمةً أو آية من آيات الكتاب العزيز

المسعودي، **مروج الذهب**، ٨٢/٢.. ٢٣٦ –

٢٣٧ – ابن منظور، **لسان العرب**، مادة قَبَسَ.

خاصة أو من الحديث النبوي الشريف "[٢٣٨] من غير دلالةٍ على أنَّه منهما، ويجوز أن يغيِّر في الأثر المقتبس قليلاً، وبعضهم من أجاز الاقتباس من الأمثال والأثر وأقوال السابقين.

المطلب الأول: الاقتباس من القرآن الكريم

إنَّ الاقتباس عنصرٌ فنيٌّ بارزٌ في الخطب والرسائل والمناظرات، فقد ضمَّنَ الخطباء والكتَّاب والمتناظرون كلامهم القرآن الكريم دون أن يصرِّحوا بأنه من القرآن، وغرضهم هو أن يستعيروا من قوَّةِ القرآن وبيانه وفصاحته قوَّةً وبياناً وفصاحةً، معبِّرين بذلك عن براعةٍ فائقةٍ في إحكام الربط بين كلامهم والكلام المضَمَّنِ.

يقول الجاحظ: "وكانوا يستحسنون أن يكون في الخطب يومَ الحفْلِ، وفي الكلام يوَم الجُمَعِ آيٌ من القرآن، فإن ذلك كان ممَّا يورث الكلام البهاء والوقار والرِّقة وسَلس الموقع، ثم يروي عن عِمران بن حِطَّان قوله: إنَّ أول خطبةٍ خطبتها عند زياد — أو عند ابن زياد– فأُعجبَ بها الناس، وشهدها أبي وعمِّي. ثم إني مررت ببعض المجالس، فسمعتُ رجلاً يقول لبعضهم: هذا الفتى أخطبُ العربِ لو كان في خطبتهِ شيءٌ من القرآن "[٢٣٩].

فهنا إشارة قويَّةٌ إلى أهميَّة وضرورة الاقتباس في الخطب، فهو يورث الكلام الجمال والجلال والبهاء

٢٣٨ – عبد العزيز بن سرايا بن علي السبسي صفي الدين الحلي، الكافية البديعية ، (تحقيق نسيب نشاوي، دار صادر، بيروت، ١٩٩٢م) ، ٣٢٦.

٢٣٩ – الجاحظ، **البيان والتبيين** ١/ ١٨١.

والرِّقةَ.

أولاً: الاقتباس في الخطب

الاقتباس من القرآن كثيرٌ جداً في الخطب، وقد تنوَّعت طرق الاقتباس من القرآن الكريم، فنرى الخطيب يضمِّن خطبته الآية القرآنية كاملةً، وأحياناً يضمِنُ خطبتهُ وسط الآية القرآنية، وأحياناً يأخذُ أولها فقط، وأحياناً آخرها، وذلك كلُّه حسبما تقتضيه حاجته إلى كلام الله عزَّ وجلَّ، ويناسبُ المقام والحال الذي هو فيه.

١-اقتباس آية كاملة

من خلال دراستنا قد لاحظنا أنَّ اقتباس الآية كاملةً كثيرٌ جداً في الخطب كما في خطبة عبد الله بن الزبير وقد بلغه أنَّ عبد الملك بن مروان قتل عمرو بن سعيد الأشدق، فقال: "إنَّ أبا ذِبَّان[٢٤٠]، قَتَلَ لطيم الشيطان"[٢٤١] ﴿وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعۡضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعۡضَۢا بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ﴾ [الأنعام: ١٢٩]. الاقتباس هنا جاء في موضعه المناسب، فالله يولِّي الناس بأعمالهم. فالمؤمن وليُّ المؤمن والكافر وليُّ الكافر، والله تعالى يسلِّطُ الظالمين بعضهم على بعض، وينتقم من بعضهم جزاءً على ظلمهم وبغيهم، وقد سلَّطَ الله تعالى أبا ذِبَّان لقتل عمرو بن سعيد، كما سمِّي عمرو بن سعيد الأشدق لطيم الشيطان لأنه كان أفقم مائل الذقن.

---

٢٤٠ – سمِّي عبد الملك بن مروان بأبي ذبَّان لأنه كان أشرماً.

٢٤١ – الجاحظ، البيان والتبيين، ٢/ ٤٧.

٢-اقتباس أول الآية

ونجد اقتباس أوَّل الآية الكريمة في خطبة سليمان بن صُرَد في الحضِّ على القتال إذ يقول في آخرها:" اشْحذوا السيوف، وركِّبوا الأسنة، وأعدُّوا لهم ما استطعتم من قوَّةٍ ومن رباط الخيل"[٢٤٢]. وهذا أول الآية القرآنية وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ [الأنفال: ٦٠] . حيث اقتبس أول الآية الكريمة التي تدعو إلى تجهيز العدَّة لمواجهة الأعداء.

ونرى هذا الاقتباس أيضاً في خطبة المهلّب بن أبي صفرة في جنده، حيث يقول: "والله ما بكم من قلَّة، وما ذهب عنكم إلَّا أهل الجبن والضعف، والطمع والطَّبع[٢٤٣]، فإن يمسسكم قَرْحٌ فقد مسَّ القومَ قرحٌ مثله، فسيروا إلى عدوكم على بركة الله"[٢٤٤].فهنا اقتباس من أول الآية الكريمة: إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ [آل عمران: ١٤٠] . وقد اقتبس الخطيب أول الآية، وأراد من هذا الاقتباس حض الجنود على القتال، وأن ما يصيبكم من ألم فقد أصاب القوم الذين قبلكم.

٣-اقتباس وسط الآية

أمَّا اقتباس وسط الآية الكريمة فهو أيضاً كثيرٌ جداً، فمن ذلك ما جاء في خطبة الحسن في

---

٢٤٢ – صفوت، أحمد زكي، **جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، العصر الأموي**، ٥٣.

٢٤٣ – العيب.

٢٤٤ – الطبري، **تاريخ الطبري**، ٦١٨/٥.

عهد خلافته، إذ يقولُ: "... فأطيعونا، فإطاعتنا مفروضة، إذْ كانت بطاعة الله والرسول وأولي الأمر مقرونة " فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول" ولو ردُّوه إلى الرسول وإلى وليّ الأمر منهم لعلمِه الذين يستنبطونه منهم ". وأحذركم الإصغاء لهتاف الشيطان، إنه لكم عدوٌّ مبين، فتكونون كأوليائه الذين قال لهم: " لا غالب اليوم مِنَ الناسِ، وإني جارٌ لكم، فلما تراءَت الفئتان نَكَصَ على عقبيه، وقال إني بريء منكم إني أرى مالا ترون".. ثم " لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن أمنت من قبلُ أو كسبت في إيمانها خيراً"[٢٤٥].

نلاحظ هنا تتالي الاقتباسات من القرآن الكريم وكلها مأخوذة من وسط الآية الكريمة، وهي كالتالي: الآية الأولى قوله تعالى﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩] .

فقد أخذ وسط الآية (٥٩) من سورة النِّساء (فإذا تنازعتم في شيءٍ فردوهُ إلى اللهِ والرَّسولِ).

والآية الثانية﴿وَإِذَا جَآءَهُمۡ أَمۡرٞ مِّنَ ٱلۡأَمۡنِ أَوِ ٱلۡخَوۡفِ أَذَاعُواْ بِهِۦۖ وَلَوۡ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنۡهُمۡ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡۗ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ لَٱتَّبَعۡتُمُ ٱلشَّيۡطَٰنَ إِلَّا قَلِيلٗا﴾ [النساء: ٨٣].

وقد أخذ وسط الآية (٨٣) من سورة النِّساء (إلى أولي الأمرِ منهم لعلمه الذين يستبطنونه منهم).

والآية الثالثة﴿وَإِذۡ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلۡيَوۡمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّي جَارٞ لَّكُمۡۖ فَلَمَّا تَرَآءَتِ ٱلۡفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيۡهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّنكُمۡ إِنِّيٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوۡنَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَۚ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾ [الأنفال: ٤٨].

---

٢٤٥ – المسعودي، **مروج الذهب ومعادن الجوهر**، ٥٣/٢.

وقد أخذ وسط الآية (٤٨) من سورة الأنفال (لا غالب لكمُ اليومَ من النَّاسِ وإنِّي جارٌ لكم).

والآية الرابعة هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأۡتِيَهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَوۡ يَأۡتِيَ رَبُّكَ أَوۡ يَأۡتِيَ بَعۡضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَۗ يَوۡمَ يَأۡتِي بَعۡضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفۡسًا إِيمَٰنُهَا لَمۡ تَكُنۡ ءَامَنَتۡ مِن قَبۡلُ أَوۡ كَسَبَتۡ فِيٓ إِيمَٰنِهَا خَيۡرٗاۗ قُلِ ٱنتَظِرُوٓاْ إِنَّا مُنتَظِرُونَ [الأنعام: ١٥٨].

وقد أخذ وسط الآية (١٥٨) من سورة الأنفال (لا ينفعُ نفْساً إيمانُها لم تكنْ آمنتْ من قبلُ).

– ألقى الحسن بن علي رضي الله عنه هذه الخطبة في مجموعة من الناس الذين يناصرونه في الخلافة، وقد استخدم في خطبته أجزاء من الآيات في جملٍ قصيرةٍ، واستطاع أن يختصر مجموعة من الآيات في جمل قصيرة وهذا دليل على قدرة الحسن بن علي رضي الله عنه في الاقناع واستحضار الشاهد المناسب من آيات القرآن الكريم ووضعه في مكانه المناسب.

كلُّ هذه الاقتباسات جاءت من خلال خطبةٍ قصيرةٍ، فقد استطاع الحسن بن علي رضي الله عنه أن ينتقلَ من آيةٍ إلى آيةٍ ويقتبس من هذه الآية ما يفيده في كلامهِ، وذلك ليجعلَ من القرآن الكريمِ حجَّةً ودليلاً على كلامه، وهذا كله من براعة الخطيب وقدرته على الإقناع.

٤–اقتباس آخر الآية

أما الاقتباس آخر الآية فنجده في خطبة سليمان بن صُرَد في استنكار الصلح بعد أن تمَت البيعة لمعاوية بالعراق، وانصرف راجِعاً إلى الشام، أتى سليمان بن صُرَد– وكان سيّد أهل العراق ورأسهم – فدخل على الحسن وبدأ خطبته: ".... وأْذَنْ لي أَشْخَصْ إلى الكوفة، فأُخرجُ عاملها منها، وأُظهر فيها خلْعَهُ، إنَّ اللهَ لا يهدي كيْدَ الخائنين".[٢٤٦]

٢٤٦ – ابن قتيبة، **الإمامة والسياسة**، ١/ ١٢٠.

هنا اقتباس من قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ لِيَعۡلَمَ أَنِّي لَمۡ أَخُنۡهُ بِٱلۡغَيۡبِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي كَيۡدَ ٱلۡخَآئِنِينَ﴾ [يوسف: ٥٢] . فقد استخدم سليمان بن صُرَد جزءً من الآيةِ التي تدلُّ على خيانةِ القوم الذين تصالحوا مع معاوية بن أبي سفيان، وأراد بهذه الآية أن يكشف الخائن من الأمين.

ونجد هذا أيضاً في خطبة عبيد الله بن عبد الله المرّي في وعظ الناس وإرشادهم: "وكنتم على شفا حفرةٍ من النار، فأنقذكم منها، وكذلك يُبيّنُ الله لكم آياته لعلكم تهتدون"[٢٤٧]. وهذا من قوله تعالى ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنٗا وَكُنتُمۡ عَلَىٰ شَفَا حُفۡرَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنۡهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٣]. فقد أخذ عبيد الله بن عبد الله آخر الآية (١٠٣) من سورة آل عمران لأن هذا الجزء من الآية يتناسب مع موضوع المصالحة الذي يريد طرحه.

وكثيراً ما كان الخطيب يختم كلامه بالاقتباس من القرآن الكريم، فيأتي بآخر الآية ليدل على تمام المعنى، وقد يضعه في آخر خطبته، فلا يشعر الناس بأن هذا الكلام من القرآن الكريم، إلا من حفظ القرآن منهم، كما في خطبة ابن عباس حيث يختم كلامه بقوله: "والله المستعان على ما تصنعون "[٢٤٨] وهذا اقتباس من الجزء الأخير من الآية الكريمة: ﴿وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٖ كَذِبٖۚ قَالَ بَلۡ سَوَّلَتۡ لَكُمۡ أَنفُسُكُمۡ أَمۡرٗاۖ فَصَبۡرٞ جَمِيلٞۖ وَٱللَّهُ ٱلۡمُسۡتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ [يوسف: ١٨].

ونجد هذا أيضاً في خطبة يزيد بن المهلَّب في سياق التحريض على القتال، حيث قال في نهاية خطبته: "...أعيروني سواعِدكم ساعةً من نهارٍ تصفِقونَ بها خراطيمَهم، فإنَّما هي غُدوة أو رواحة، حتى

---

٢٤٧ – الطبري، **تاريخ الطبري**، ٥/ ٥٥٩.

٢٤٨ – ابن أبي حديد، **شرح نهج البلاغة**، ٤/ ٤٩.

يحكم الله بيننا، وهو خيرُ الحاكمين"[٢٤٩].

وهذا من قوله تعالى في سورة الأعراف ﴿وَإِن كَانَ طَآئِفَةٌ مِّنكُمْ ءَامَنُواْ بِٱلَّذِيٓ أُرْسِلْتُ بِهِۦ وَطَآئِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُواْ فَٱصْبِرُواْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ بَيْنَنَا ۚ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾ [الأعراف: ٨٧]. فقد أخذ يزيد بن المهلَّب آخر الآية (٨٧) من سورة الأعراف لأنها تتناسب مع دعوته للقتال والتحريض على الجهاد.

ولم يقتصر شكل الاقتباس على أول الآية ووسطها وآخرها، بل نجد أشكالا متعددة، من مثل تغيير الأثر المقتبس، أو الدمج بين الاقتباس والاستشهاد.

وكان بعض الخطباء يغيّرون في الأثر المقتبس قليلاً ليتناسب مع سياق الخطبة. كما في خطبة سليمان بن صُرَد عن الحرب والقتال، يقول:" أمَّا بعد، فقد أتاكم الله بعدوِّكم الذي دأبتم في المسير إليه آناء الليل والنهار.. فإذا لقيتموه فاصدقوهم، واصبروا إنَّ الله مع الصابرين، ولا يُولِّهم امرؤٌ دُبُرَهُ إلَا متحرِّفاً لقتالٍ أو متحيِّزاً إلى فئةٍ، لا تقتلوا مدبراً، ولا تجهزوا على جريح.."[٢٥٠].

يغيِّر سليمان بن صُرَد في النص المقتبس، ليتناسب مع سياق الحديث فيقول: "ولا يولينَّهم امرؤ دبره" بصيغة الجمع، لأنه يتوجه بالكلام إلى جماعة عظيمةٍ من الناسِ. أمَّا في القرآن الكريم فقد جاءت الآية بصيغة أخرى، قال تعالى ﴿وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [الأنفال: ١٦].

---

٢٤٩ – ابن عبد ربه، العقد الفريد، ٢/١٥٥.

٢٥٠ – ابن الأثير، **الكامل في التاريخ**، ٣/ ٢٦٦.

ونلاحظ ذلك أيضاً في خطبة السيدة أم كلثوم بنت علي رضي الله عنهما في أهل الكوفة بعد مقتل الحسين تقول:" فتَعْسَاً ونُكْساً، لقد خاب السعي، وخَسِرتْ الصفقة، وبؤتُم بغضبٍ من الله، وضُرِبَتْ عليكم الذلةُ والمسكنة.."[٢٥١]

فهنا تنتقل السيدة أم كلثوم في كلامها من صيغة الغائب (هم)، كما جاءت في القرآن الكريم، إلى صيغة المخاطب(أنتم) ففي القرآن الكريم يقول تعالى: ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوٓاْ إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْمَسْكَنَةُۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُواْ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ﴾ [آل عمران: ١١٢]. وكذلك في خطبة الحسين بن علي رضي الله عنه، حيث يتوجه بكلامه إلى معاوية، يقول: ".. تريدُ أن توهمَ الناسَ في يزيد، كأنك تَصِفُ محجوبا، أو تنعتُ غائباً.. تريدُ أن تلبِسَ الناسَ شبهةً، يسْعد بها الباقي في دنياه، وتشقى بها في آخرتك، إنَّ هذا لهو الخسران المبين"[٢٥٢].

هناك تغيير بسيط في الجملة الأخيرة وهي من قوله تعالى: ﴿فَٱعْبُدُواْ مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِۦۗ قُلْ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ﴾ [الزمر: ١٥].

ونلاحظ في ظاهرة الاقتباس أيضاً حسن الربط بين كلام الخطيب والأثر المقتبس وذلك باستخدام الاسم الموصول أو أحرف العطف أو أحرف الجرّ، فالخطيب يغيّر كما يشاء حتى يوافق نصَّه النصَّ المقتبَس، كما في خطبة عتبة بن أبي سفيان يخاطب أهل مصر حيث بلغه عنهم شيءٌ أغضبه

---

٢٥١ – أحمد ابن أبي طاهر ابن طيفور، أبو الفضل، **بلاغات النساء وطرائق كلامهنَّ ونوادرهنَّ وأخبار ذوات الرأي منهنَّ**، (مطبعة والدة عباس الأول، القاهرة، ١٩٠٨ م)، ٢٧.

٢٥٢ – ابن عبد ربه، العقد الفريد، ٢٤٧/٢.

فقال: " وقد بلغنا عنكم نَجْمُ[٢٥٣] قولٍ، وأظهره تقدُّم عفوٍ منا، فلا تصيروا إلى وحشةِ الباطل بعد أُنسِ الحقِّ بإحياء الفتنة وإماتة السنن.. وأنا أُشهِدُ عليكم الذي يعلمُ خائنة الأعين وما تخفي الصدور"[٢٥٤].

فهو يأخذ الآية كاملة: يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي ٱلصُّدُورُ [غافر: ١٩]. ويربطها مع كلامه باستخدام الاسم الموصول (الذي) وهذا يجعلك لا تشعرُ بوجود الاقتباس في الخطبة، ولا تفصل بين كلام الخطيب والنص القرآني.

وأحياناً يستخدم الخطيب الحروف مثل حرف الفاء: كما في خطبة عبد الله بن جعفر يقول:" أمَّا بعدُ: فإن هذه الخلافة إنْ أُخِذَ فيها بالقرآن فـ " أولو الأرحام بعضهم أولى ببعضٍ في كتاب الله" وإن أخِذَ فيها بسنة رسول الله، فأُولو رسول الله"[٢٥٥].

فهو أخذ وسط الآية الكريمة من قوله تعالى: وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنۢ بَعْدُ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ مَعَكُمْ فَأُوْلَٰٓئِكَ مِنكُمْ وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ [الأنفال: ٧٥]. كما نلاحظ أيضاً تتالي الاقتباسات من القرآن الكريم فأحياناً يقتبس الخطيب آيتين متتاليتين أو ثلاثَ آيات أو أربعاً، وكأن الغرض هو حشد هذه الآيات فقط. كما في خطبة السيدة أم كلثوم بنت علي رضي الله عنهما في أهل الكوفة حيث تقتبس عدة آيات من مِثلِ:" لقد جئتم شيئاً إدًّا، تكاد السماوات يتفطرن منه، وتنشق الأرض، وتخرُّ الجبال هدًّا"[٢٥٦]

وهي من سورة مريم في قوله تعالى: تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا [مريم: ٩٠]. وهي تضمن كلامها آياتٍ من سورٍ شتى. تقول:" أفعجبتم أن قطرت

---

٢٥٣ – من نَجَمَ الشيءُ إذا ظهر وطلع.

٢٥٤ – ابن عبد ربه، **العقد الفريد**، ١٥٩/٢.

٢٥٥ – ابن قتيبة، عيون **الأخبار**، ٢١٠/٢.

٢٥٦ – ابن طيفور، **بلاغات النساء**، ٢٩.

السماء دماً، ولعذابُ الآخرة أخزى وهم لا ينصرون "[٢٥٧].

وهذا مأخوذٌ من قوله تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِيٓ أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْيِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَخْزَىٰ ۖ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ ﴾ [فصلت: ١٦]. وفي آخر خطبتها تقول:" إن ربك لنا ولهم لبالمرصاد "[٢٥٨]. وهذا مأخوذ من قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ﴾ [الفجر: ١٤]. فهي أضافت الجار والمجرور (لنا- لهم) حسبما اقتضى سياق الخطبة.

ووجدنا هذه الظاهرة أيضا في خطبة الحسن بن علي رضي الله عنه في عهد خلافته حيث تتالت أربعة اقتباسات.[٢٥٩].

وأيضاً في خطبة الحجاج بن يوسف الثقفي في الوعظ والإرشاد. يقول:" ألا فاعلموا وأنتم من الله على حذر، واعلموا أنَّكم مُلاقُوه ليجْزِيَ الذين أساؤوا بما عملوا، ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى، ألا وإن الخيرَ كلَّهُ بحذافيره في الجنةِ، ألا وإن الشَّرَ كله بحذافيره في النار، ألا وإن مَنْ يعمل مثقال ذرَّةٍ خيراً يرَه، ومن يعمل مثقال ذرَّة شرّاً يره، وأستغفرُ الله لي ولكم"[٢٦٠].

الاقتباس الأول من قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ بِمَا عَمِلُواْ وَيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُواْ بِٱلْحُسْنَىٰ﴾ [النجم: ٣١].

والاقتباس الثاني من قوله تعالى من سورة الزلزلة: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾ [الزلزلة: ٧-٨].

ووجدنا بعض الخطباء يقتبسون كلمتين أو ثلاث كلمات من الآية الكريمة كما في خطبة عبد

---

٢٥٧ – ابن طيفور، **بلاغات النساء**، ٣٠.

٢٥٨ – ابن طيفور، **بلاغات النساء**، ٥١.

٢٥٩ – المسعودي، **مروج الذهب ومعادن الجوهر**، ٥٣/٢.

٢٦٠ – ابن عبد ربه، **العقد الفريد**، ٢/ ١٥٣.

الله بن زياد ابن أبيه. إذ يقول:"... وأشهدُ أن لا إله إلا الله المنقذ بالأمين الصادق من شَفَا جُرفٍ هَارٍ"[٢٦١].

وهذا مأخوذٌ من قوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَٱنْهَارَ بِهِۦ فِى نَارِ جَهَنَّمَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [التوبة: ١٠٩].

وكان الخطيب يختمُ كلامه باقتباس سورة كاملة من القرآن الكريم، إلا أنها من قصار الصور، مثل سورة الإخلاص، كما في خطبة واصل بن عطاء. إذ يختم كلامه بقوله: "أعوذُ بالله القويّ، من الشيطان الغويّ، وإنَّ الله هو السميع العليم، ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ٤﴾ [الإخلاص: ١-٤]"[٢٦٢]. وقد اقتبس سورة الأخلاص كاملة.

وكثيراً ما كان الخطيب يجمع في خطبته بين الاقتباس والاستشهاد من القرآن الكريم لما فيه من تقوية للمعنى ودعماً لآراء الخطيب، كما في خطبة الأحنف بن قيس، حيث يستشهد بقوله تعالى: ﴿فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ١٩]. ويقتبس قوله تعالى: " سمعنا وأطعنا غفرانك ربَّنا وإليك المعيد". وهو مأخوذ من قوله تعالى في سورة البقرة: ﴿وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

ونجد هذا أيضاً في خطبة معاوية بن أبي سفيان إذْ جمع بين الاقتباس والإشارة عندما تحدَّث عن الرسول صلى الله عليه وسلم والرسالة السماوية الموكلة إليه ونزول القرآن الكريم عليه، فعندما وصف القرآن لم يأتِ بكلامٍ يُنْسبْ للبشرِ بل جاء بآيةٍ كريمةٍ من الذكرِ الحكيم تفي بالغرض وتجذب النفوس وتؤثر فيها، بأدقِّ عبارةٍ وأجملِ وصفٍ، وأروع أسلوبٍ. يقول: "الحمد لله وليّ النعم، ومُنزلِ النِّقم، وأشهدُ

---

٢٦١ – ابن عبد ربه، العقد الفريد، ١/ ٢٦٩.

٢٦٢ – أحمد مفتاح، **مفتاح الأفكار في النثر المختار**، مطبعة جريدة الإسلام، القاهرة، ١٤١٣هـ، ٢٧٠.

أن لا إله إلا الله المتعالي عمَّا يقول الملحدون علوّاً كبيرا، وأنَ محمداً عبده المختصّ المبعوثِ إلى الجنّ والإنسِ كافةً لينذرهم بقرآنٍ: ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٢] "[٢٦٣].

ثم لجأ معاوية إلى أسلوب الإشارة في قوله عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: "فأدَّى عن الله، وصدع بأمره، وصَبَرَ على الأذى في جَنبِهِ، حتى أوضح دين الله.."[٢٦٤].

فهنا إشارة إلى قوله تعالى: ﴿فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [الحجر: ٩٤].

ثانياً: الاقتباس في الرسائل

كان الاقتباس من القرآن الكريم عنصراً مهماً في المكاتبات والرسائل المتبادلة آنذاك، فيعتمدُ عليه الكاتب في توضيح المعنى وتوصيله إلى المستمع بأيسرِ طريقةٍ، وقد كثرت مواضع الاقتباس من القرآن الكريم فلا تكاد تخلو رسالة من الاقتباس أو الاستشهاد بالقرآن الكريم، مما أعطى الرسالة قيمةً جماليةً.

- الاقتباس من القرآن الكريم في الرسائل

جاء الاقتباس من القرآن الكريم كثيراً في الرسائل، وقد تعدّدت أشكال هذا الاقتباس وطرقه حسب طبيعة الموضوع الذي يتطرَّق إليه الكاتب أو المرسل، فأحياناً يأخذُ المرسل الآية كاملة أو أول

٢٦٣ - أحمد زكي صفوت، **جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، العصر الأموي**، ٢٤٠.

٢٦٤ - نفس المرجع، ٢٤١.

الآية أو وسطها أو آخرها، وأحياناً يأخذُ كلمتين أو ثلاث كلمات بما يناسب حاجته من الاقتباس، ويفي بالغرض.

١-اقتباس الآية كاملة

ومن اقتباس الآية كاملة ما جاء في كتاب الحسن بن علي رضي الله عنه إلى معاوية بن أبي سفيان، حيث استهلَّ رسالته بالكلام عن النبي صلى الله عليه وسلم، وعن رسالته السماوية، ودوره العظيم في هداية البشر، فاقتبس آيتين كاملتين، يقول: " إنَّ الله جلَّ جلاله بعث محمداً رحمةً للعالمين ومِنَّةً للمؤمنين، وكافَّةً للناس أجمعين " لينذر مَنْ كان حيَّاً ويحقَّ القولَ على الكافرين". فبَّلغ رسالات الله، وقام بأمرِ الله، حتى توفَّاه الله غير مُقَصِّرٍ ولا وانٍ، بعد أن أظهر الله به الحقَّ ومَحَقَ به الشِّركَ، وخصَّ به قريشاً خاصةً، فقال:" وإنَّه لذكرٌ لك ولقومكَ... واتَّقِ اللهَ ودعِ البغي واحقن دماء المسلمين.. وإن أنت أبيت إلا التمادي في غيّكَ سرتُ إليك بالمسلمين فحاكمتك حتى يحكم الله بيننا وهو خيرُ الحاكمين "[٢٦٥]."[٢٦٦]. فالآية الأولى جاءت تامةً من قوله تعالى﴿لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ [يس: ٧٠].

والآية الثانية مأخوذة من الآية الكريمة: ﴿وَإِن كَانَ طَآئِفَةٌ مِّنكُمْ ءَامَنُواْ بِٱلَّذِيٓ أُرْسِلْتُ بِهِۦ وَطَآئِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُواْ فَٱصْبِرُواْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ بَيْنَنَا ۚ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ [الأعراف: ٨٧].

فقد اقتبس الحسن بن علي رضي الله عنه آيتين من آيات القرآن الكريم من سورتين مختلفتين

---

٢٦٥ - ابن أبي حديد، **شرح نهج البلاغة**، ٤/ ١٢.

٢٦٦ - ابن أبي حديد، **شرح نهج البلاغة**، ١٢/٤.

(يس والأعراف) لأن هذه الآيات فيها تهديد للظالمين، والحسن رضي الله عنه يريد بهذا الاقتباس أن يجعل الحكم بينه وبين معاوية لله وحده لأنه أحكم الحاكمين.

وكثيراً ما كان اقتباس الآية القرآنية خاتمةً للرسالة، كما وجدنا في مواضع كثيرة، وهذه الميزة منحت الخطب والرسائل قيمةً جماليةً ساميةً وإيحاءً عظيماً، كما في رسالة المهلَّب إلى الحجاج لما تمت الغلبة للمهلب على الأزارقة وقتل آخر زعمائهم عبد ربِّه الصغير. يقول: " فقد كان من أمرنا ما قد بَلَغَكَ وكنَّا نحن وعدونا على حالين مختلفين... فانتهزتُ منهم الفرصة في وقت إمكانها، وأدنيت السَّوادَ من السَّوادِ حتى تعارفت الوجوه، فلم نزل كذلك حتى بلغ الكتابُ أجله " فقُطع دابرُ القوم الذين ظلموا والحمد لله ربِّ العالمين"[٢٦٧].

الاقتباس الأول من الآية الكريمة: ﴿وَلَا تَعۡزِمُواْ عُقۡدَةَ ٱلنِّكَاحِ حَتَّىٰ يَبۡلُغَ ٱلۡكِتَٰبُ أَجَلَهُۥۚ﴾ [البقرة: ٢٣٥].

والاقتباس الثاني من الآية القرآنية: ﴿فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْۚ وَٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنعام: ٤٥].

فقد جاء الاقتباس في نهاية الرسالة وهذا أحد فنون الاقتباس بأن ينهي الكاتب كلامه باقتباس من القرآن الكريم، كما أنَّ هذا الاقتباس جاء على شكل تهديد للأزارقة (الخوارج) الذين انتصر عليهم المهلب بن أبي صفرة.

وأحياناً كان المرسل يبدأ رسالته بالاقتباس من القرآن الكريم مباشرة دون تقديم أو إشارة إلى ذلك، وقد ورد هذا في سياق التهديد والوعيد بشكل خاصّ، لأن غرض الكاتب هو التخويف والترهيب لا غير. كما في كتاب معاوية إلى الحسن يحضُّه فيه على مبايعته على الخلافة. يقول: " أمَّا بعدُ: فإنَّ

٢٦٧ – ابن أبي حديد، **شرح نهج البلاغة**، ٤/ ٤٠٧.

الله يفعل في عباده ما يشاء ولا معقِّب لحكمه وهو سريع الحساب، فاحذر أن تكون منيَّتُكَ علي أيدي رَعَاعٍ من الناس، ثم الخلافة لك من بعدي، فأنت أولى الناس بها، والسلام "[٢٦٨].

ففي قوله اقتباس من قوله تعالى﴿أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّا نَأۡتِي ٱلۡأَرۡضَ نَنقُصُهَا مِنۡ أَطۡرَافِهَاۚ وَٱللَّهُ يَحۡكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكۡمِهِۦۚ وَهُوَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ﴾ [الرعد: ٤١].

حيث أخذ المرسل الآية في سياق التخويف والتهديد.

وفي المقام ذاته نلاحظ ذلك أيضاً في كتاب يزيد بن معاوية إلى أهل المدينة إذْ كره أهل المدينة خلافة يزيد وأجمعوا على عدم تولّيه الخلافة، فكتب إليه عثمان بن محمد بن أبي سفيان بذلك، فكتب يزيد إليهم: " أمَّا بعدُ فإنَّ الله لا يغيِّرُ ما بقومٍ حتى يغيروا ما بأنفسهم وإذا أراد الله بقومٍ سوءاً فلا مردَّ لهم وما لهم من دونه من والٍ، وإني والله قد لَبسْتُكم فأخلقتكم ورفعتُكم على رأسي.. وايم الله لئن وضعتُكم تحت قدمي لأطأنكم وطأةً أُقلَّ بها عَدَدَكم، وأترككم بها أحاديث تُنْتَسَخُ أخباركم مع أخبار عادٍ وثمودٍ"[٢٦٩].

ففي هذا السياق (سياق التهديد والوعيد) اقتباس من قوله تعالى﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ سُوٓءٗا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٖ﴾ [الرعد ١١]

واقتباس الآية كاملة كثيرٌ جداً في الرسائل، نرى ذلك في ردِّ ابن عباس على معاوية، فهو يختم الرسالة بالآية الكريمة ويدرجها في كلامه دون قرينة تُشعرُ القارئُ بأنها من القرآن الكريم. يقول:" فَطَفِقْتَ تنعى عثمان وتُلْزِمُنا دمه، وتقُولُ قُتِلَ مظلوماً، فإن يكُ قُتِل مظلوماً فأنت أظلمُ الظالمين.. تستغوي

٢٦٨ – ابن أبي حديد، **شرح نهج البلاغة**، ٤/ ١٣.

٢٦٩ – ابن عبد ربه، **العقد الفريد**، ٢/ ٢٥٦.

الجهَّال، وتنازعنا حقَّنا بالسُّفهاء، حتى أدركتَ ما طلبتَ، وإنْ أدري لعلَّهُ فتنةٌ لكم ومتاعٌ إلى حين"[٢٧٠].

فقد اقتبس قوله تعالى: ﴿وَإِنۡ أَدۡرِي لَعَلَّهُۥ فِتۡنَةٞ لَّكُمۡ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٖ﴾ [الأنبياء: ١١١].

وهذا الكلام أيضاً من الاقتباسات التي جاءت في نهاية الرسالة، وهو أحد فنون الاقتباس، وقد أراد الكاتب اختتام رسالته بآية من القرآن الكريم تناسب نهاية كلامه.

٢-اقتباس أول الآية

أمَّا اقتباس أول الآية فنجده في رسالة عبد الحميد الكاتب عن مروان بن محمد إلى ابنه عبد الله بن مروان. يقول":.. واللهَ يسأل لك أميرُ المؤمنين حسنَ الإرشاد، وتتابع المزيد، وبلوغ الأمل.. فإنه الموفق للخير، والمعينُ على الإرشاد، منه تمام الصالحات، وهو مؤتي الحسنات، عنده مفاتيح الخير، وبيده الملك، وهو على كل شيءٍ قدير"[٢٧١].

ففي قول: عنده مفاتيح الخير اقتباس من أول الآية الكريمة: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۚ وَمَا تَسۡقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعۡلَمُهَا وَلَا حَبَّةٖ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡأَرۡضِ وَلَا رَطۡبٖ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ﴾ [الأنعام: ٥٩].

وفي قوله: وبيده الملك اقتباس من قوله تعالى في سورة الملك: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلۡمُلۡكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ﴾ [الملك: ١].

---

٢٧٠ – ابن أبي حديد، **شرح نهج البلاغة**، م٤: /٥٨.

٢٧١ – هذه الرسالة كتبها عبد الحميد الكاتب على لسان مروان بن محمد ليرسلها إلى ابنه عبد الله بن مروان، ويتحدَّث فيها عن النصح والإرشاد والوعظ والسير في طريق الخير، وقد جاء الاقتباس مناسبا لموضوع الرسالة لأنَّ الآية تدعو النَّاس إلى عبادة الله والتَّوكُّل عليه في كلِّ الأمور. ينظر: القلقشندي، **صبح الأعشى**، ١/ ١٩٥.

٣-اقتباس آخر الآية

أما اقتباس آخر الآية فنجده في كتاب معاوية إلى الحسين: " أمَّا بعدُ: فقد انتهت إليَّ عنك أمورٌ لم أكن أظنُّك بها، رغبةً بك عنها، واتَّقِ الله ولا ترُدَّنَّ هذه الأمة في فتنة، وانظر لنفسك ودينك وأمة محمد ولا يستخفنَّك الذين لا يوقنون"[٢٧٢].

هذا الجزء الأخير من مأخوذ الآية القرآنية ﴿فَٱصۡبِرۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ وَلَا يَسۡتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾ [الروم: ٦٠].

فقد اقتبس معاوية بن أبي سفيان من آخر الآية (٦٠) من سورة الروم، وهذا الاقتباس فيه تنبيه للحسين بن علي رضي الله عنه وفيه وعيد وتهديد يتناسب مع كلام معاوية في الرسالة، وقد أراد بذلك التهديد أن يظهر قوَّتهُ.

وكذلك ما جاء في كتاب ابن الحنفية إلى الشيعة بالكوفة، حيث أُخبرَ بخبر نفرٍ من غُلاة الشيعة بالكوفة فكتب إلى الشيعة يحذر هؤلاء الغلاة: " ... وأكثروا الصلاة والصيام والدعاء، فإنه ليس أحدٌ من الخلق يملك لأحدٍ ضرّاً ولا نفعاً إلا ما شاء الله، وكلُّ نفسٍ بما كسبت رهينةٌ، فاعملوا صالحاً وقدِّموا لأنفسكم حسناً"[٢٧٣].

فهنا إشارة إلى قوله تعالى ﴿وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةٗ لَّا يَخۡلُقُونَ شَيۡـٔٗا وَهُمۡ يُخۡلَقُونَ وَلَا يَمۡلِكُونَ لِأَنفُسِهِمۡ ضَرّٗا وَلَا نَفۡعٗا وَلَا يَمۡلِكُونَ مَوۡتٗا وَلَا حَيَوٰةٗ وَلَا نُشُورٗا﴾ [الفرقان: ٣]. فقد اقتبس آخر الآية.

ونرى اقتباس لآخر الآية في ردِّ سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب على كتاب عمر بن عبد

---

٢٧٢ - ابن قتيبة، **الإمامة والسياسة**، ١/ ١٣٠.

٢٧٣ - الطبري، **تاريخ الطبري**، ٧/ ١٥٣.

العزيز: " وما توفيقي إلا بالله عليه توكَّلتُ وإليه أنيب ".[٢٧٤] فهذا مأخوذٌ من نهاية الآية في قوله تعالى: ﴿مَآ أُرِيدُ أَنۡ أُخَالِفَكُمۡ إِلَىٰ مَآ أَنۡهَىٰكُمۡ عَنۡهُۚ إِنۡ أُرِيدُ إِلَّا ٱلۡإِصۡلَٰحَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُۚ وَمَا تَوۡفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ﴾ [هود: ٨٨].

وكذلك نجد في رسالة عبد الحميد الكاتب عن مروان إلى ابنه عبد الله بن مروان اقتباس لآخر الآية، يقول: " ثم اصمد لعدوك المسمَّى بالإسلام خارجاً من جماعة أهله، المنتحل ولاية الدين مستحلّاً لدماء أوليائه، طاعناً عليهم.. يدعو إلى المعصية والفرقة والمروق من دين الله إلى الفتنة، مخترعاً بهواه للأديان المنتَحَلة والبدع المتفرّقة، خساراً وتخسيراً، وضلالاً وإضلالاً، بغير هدىً من الله ولا بيان، ساء ما كسبت يداه، وما الله بظلَّام للعبيد، "[٢٧٥].

فقوله وما الله بظلام للعبيد مقتبس من آخر الآية من قوله تعالى: ﴿مَّنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا فَلِنَفۡسِهِۦۖ وَمَنۡ أَسَآءَ فَعَلَيۡهَاۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ﴾ [فصلت: ٤٦].

٤–اقتباس الرسالة كاملة من القرآن

وفي بعض الأحيان تكون الرسالة كلها اقتباساً من القرآن الكريم كما في رسالة عمر بن عبد العزيز إلى جنده فقد كتب إليهم: " الله لا إله إلا هو ليجمعنَّكم إلى يومِ القيامة لا ريب فيه، ومَنْ أصدقُ من الله حديثاً"[٢٧٦]. وهو بذلك يذكّرهم بأنّ الموت حقّ وأنّ الجميع مبعوثون يوم القيامة، وفي ذلك حثّ على طاعة الله تعالى، والثبات على الحقّ. وقد اقتبس الرسالة من قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ لَيَجۡمَعَنَّكُمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَا رَيۡبَ فِيهِۗ وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثٗا﴾ [النساء: ٨٧].

---

٢٧٤ – ابن الجوزي، **مناقب عمر بن عبد العزيز**، ١٢٧.

٢٧٥ – القلقشندي، **صبح الأعشى**، ج١/ ١٩٥.

٢٧٦ – ابن الجوزي، **مناقب عمر بن عبد العزيز**، ٩٨.

نلاحظ مما سبق أنَّ الاقتباس من القرآن الكريم كان واضحاً وبارزاً جدّاً في الخطب والرسائل على حدٍّ سواء، وهذا إن دلَّ على شيءٍ فإنما يدلُّ على غنى وعظمة وجلالة هذا المصدر الذي نَهَلَ منه كثيرٌ من الخطباء والكتَّاب، فاستشهدوا بكثيرٍ من الآيات واقتبسوا أيضاً الكثير منها في موضوعات شتَّى تطرَقوا إليها، وأحداث عظيمة حلَّت بهم، فكانت الآيات مورداً يستمدون منه ما يريدون لإرواء ظمئهم وظمأ المستمعين، وتوصيل أغراضهم ومقاصدهم إلى الناس على أحسن صورة. وقد كثرت الاستعانة بهذا الجانب الفنيّ خاصةً في سياق الوعظ والإرشاد إذ لاحظنا تتابع عدد الآيات التي تشرح وتوضّح وتعظ، وكذلك في سياق الحضِّ على الجهاد.، فهنا يكون القرآن الكريم أهم وسيلة وأعظم أداة للتأثير في نفوس الناس.

ثالثاً: الاقتباس في التوقيعات

وفي سياق التوقيعات أَكْثَرَ الكتَّاب من الاقتباس من القرآن الكريم، فكان التوقيع عبارة عن آية قرآنية فقط، وقد جاءت التوقيعات بآية أو بجزء من آية:

١-التوقيع بآية كاملة

جاء ذلك في توقيع أبي مسلم الخراساني لقحطبة بعد أن أخبره أن بعض قواده خرجوا إلى عسكر ابن ضُبارة راغبين[٢٧٧]: (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُواْ نِعْمَةَ اللهِ كُفْراً وَأَحَلُّواْ قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ * جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ الْقَرَارُ) [إبراهيم: ٢٨-٢٩]. فقد وقَّع بآيتين كريمتين.

٢-التوقيع بأول الآية

نجد ذلك أيضا في توقيع أبي مسلم الخراساني إلى ابن قحطبة[٢٧٨]: (وَلاَ تَرْكَنُواْ إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ) [هود: ١١٣]. فقد وقَّع فقط بأول الآية، وهذا ما يخدم غرضه.

---

٢٧٧ – ابن عبد ربه، **العقد الفريد**، ٤/٢٩٠.

٢٧٨ – صفوت، جمهرة رسائل العرب،٢/٥٠٤.

وتوقيعه إليه أيضاً[٢٧٩]: (ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ) [النحل: ١٢٥].

وتوقيعه إلى عدي بن أرطأة في أمر عاتبه عليه[٢٨٠]: (وَاتَّقُواْ يَوْماً تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللهِ) [البقرة: ٢٨١]. فقد اختار أول الآية.

وتوقيعه إلى عامله على الكوفة، وكتب إليه أنه فعل في أمر كما فعل عمر بن الخطاب[٢٨١]: (أُوْلَـئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ) [الأنعام: ٩٠]. فقد اختار فقط أول الآية الكريمة.

أما عمر بن عبد العزيز فقد كانت بعض توقيعاته اقتباسات من القرآن الكريم، وليست كلها، ومنها توقيعه إلى رجل ولّاه الصّدقات وكان دميماً فعدل وأحسن[٢٨٢]: (وَلاَ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَن يُؤْتِيَهُمُ اللهُ خَيْراً) [هود: ٣١]. وكان هذا التوقيع مقتبساً من أوَّل الآية.

٣-التوقيع بوسط الآية

توقيع أبي مسلم الخراساني أيضا إلى قحطبة[٢٨٣]: (وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا) [القصص: ٧٧]. فقد أخذ فقط وسط الآية.

ووقع سليمان بن عبد الملك إلى قتيبة بن مسلم الباهلي: " وإن تصبروا وتتّقوا لا يضرُّكم كيدهم شيئاً"[٢٨٤]. وهذا اقتباس وسط الآية الكريمة: وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ [آل عمران: ١٢٠]. وهذا التوقيع من منتصف الآية.

وكذلك توقيع عمر بن عبد العزيز حيثُ وقَّعَ إلى رجلٍ ولَّهُ الصدقات، فكان دميماً فَعَدَلَ وأحسن: وَلَآ

---

٢٧٩ – المرجع السابق، ٥٠٤/٢.

٢٨٠ – المرجع السابق، ٤٩٦/٢.

٢٨١ – المرجع السابق، ٤٩٦/٢.

٢٨٢ – ابن عبد ربه، **العقد الفريد**، ٢٩٢/٤.

٢٨٣ – المرجع السابق: ٥٠٤/٢.

٢٨٤ – نفس المرجع السابق، ٤٩٤.

أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِيٓ أَعۡيُنُكُمۡ لَن يُؤۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيۡرًاۖ [هود: ٣١] وهذا مأخوذٌ من وسط الآية.

٤-التوقيع بآخر الآية

جاء ذلك في توقيع سليمان بن عبد الملك أسفل كتاب قتيبة بن مسلم الباهلي الذي كتب يهدّد سليمان بالخلع فوقّعَ سليمان بآية قرآنية فقط: " والعاقبة للمتَّقين "[٢٨٥].

وهذا اقتباس آخر الآية الكريمة من قوله تعالى: تِلۡكَ ٱلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ نَجۡعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوّٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فَسَادٗاۚ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلۡمُتَّقِينَ [القصص: ٨٣].

وأيضاً توقيع يزيد بن عبد الملك في قضيةِ مُتَظَلِّم: "وَسَيَعۡلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٖ يَنقَلِبُونَ [الشعراء: ٢٢٧]. وهذا مأخوذٌ من آخر الآية.

رابعاً: الاقتباس في المناظرات

لم يتوقف الاقتباس من القرآن الكريم على الخطباء وكتَّاب الرسائل، بل نجد أنَّ المتناظرين قد اقتبسوا، وضمنوا مناظراتهم آيات الذكر الحكيم، لأهداف متعددة، وقد تعددت أشكال الاقتباس؛ فمنهم من اقتبس آيةً كاملةً، ومنهم من اقتبس جزءً من الآية. أولها أو وسطها أو آخرها.

١-اقتباس الآية كاملةً

اقتبس المتناظرون الآية كاملة، ومن ذلك ما جاء على لسان عبد الله بن الزبير، ردَّاً على معاوية بن أبي سفيان، حيث قال له:" لا تدعنَّ مروان يرمِ جماهير قريش بمشاقصه[٢٨٦]، ويضرب صفاتهم بمعوله، وايمُ الله لئن ملكَ أعِنَّة خيل تنقاد له، لتركَبَنَّ منه طبقاً تخافه"[٢٨٧].

---

٢٨٥ – ابن عبد ربه، **العقد الفريد**، ٤/٢٩٠.

[٢٨٦] – مشاقص جمع مفرده مشقص، وهو سهم تُرمى به الوحوش.

[٢٨٧] – ابن عبد ربه، **العقد الفريد**، ٢/١١٥.

نجد أن عبد الله بن الزبير قد اقتبس في نهاية حديثه آيةً كاملة، وهي قوله تعال: لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ [الانشقاق: ١٩].

وجاء اقتباس الآية كاملة أيضا في حوار معاوية بن أبي سفيان مع رجلٍ من أهل سبأ، حين عاب معاوية على أهل سبأ تولية أمرهم لامرأة، فردَّ عليه السبئي: " بل قومك أجهل، قالوا حين دعاهم رسول الله -صلى الله عليه وسلم- إلى الحق، وأراهم البيّنات: اللهم إن كان هذا هو الحقُّ من عندك فأمطر علينا حجارةً من السماء أو ائتنا بعذاب أليم"[٢٨٨]. وهذا اقتباس كاملٌ للآية الكريمة: وَإِذْ قَالُواْ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ [الأنفال: ٣٢].

٢-اقتباس أول الآية

ومن اقتباس أوَّل الآية ما جاء على لسان معاوية بن أبي سفيان في الرَّدِّ على عبيد الله بن زياد الذي ذكر مثالب أبيه وفضله على دولة بني أميَّة، وأراد من معاوية أن يثأر له، فغضب معاوية وذكر له الخطأ في اعتماده على زياد، وقال:" كنت رأيت في أبيك رأياً حضره الخطل، والتبس به الزلل، فأخذ مني بحظِّ الغفلة، وما أبرئُ نفسي، إنَّ النفس لأمارةٌ بالسوءِ، فما برحتْ هناتُ أبيك تحطبُ في حبل القطيعة"[٢٨٩].

نرى أنَّ معاوية قد اقتبس أول الآية الكريمة: وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِيٓ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓ إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ [يوسف: ٥٣]. وبهذا الاقتباس يوضّح لعبيد الله الخطأ الذي وقع فيه بسبب اختيار أبيه.

٣-اقتباس وسط الآية

---

[٢٨٨] - الجاحظ، **البيان والتبيين**، ٣/٢٢٠.

[٢٨٩] - ابن عبد ربه، **العقد الفريد**، ٢/١٤٠.

ومن اقتباس وسط الآية ما جاء في نفس المناظرة بين عبيد الله ومعاوية، حيث كان زياد يعدّد مناقبَ أبيه، واستفتح كلامه بالصلاة على النبي الأمين، فقال: وأشهد أنَّ لا إله إلا الله المنقذ بالأمين الصادق من شفا جُرفٍ هارٍ"[٢٩٠]. وهذا اقتباس من وسط الآية الكريمة: ﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَٱنْهَارَ بِهِۦ فِي نَارِ جَهَنَّمَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [التوبة: ١٠٩].

٤–اقتباس آخر الآية

وجاء الاقتباس من آخر الآية في قول ابن عباس أثناء مناظرته لعبدالله بن الزبير، عندما أراد أن يذكر له فضل بني هاشم عليه، فقال:" أما والله لنحن أقرب بك عهداً، وأبيض بك يداً، وأوفر عندك نعمةٍ، ممن أمسيت تظنُّ أنك تصول به علينا، وما أخلق ثوب صفية بعدُ، والله المستعان على ما تصفون"[٢٩١].

فقد ختم كلامه باقتباس من آخر الآية الكريمة: ﴿وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٍ كَذِبٍ ۚ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ [يوسف: ١٨].

الاقتباس من الأمثال والأقوال السائرة

اقتبس المتناظرون من الأمثال، ومن ذلك ما جاء على في المناظرة بين أبي صخر الهذلي وعبدالله بن الزبير في حق الناس في بيت مال المسلمين، وطلب الهذلي بهذا النصيب من حقه، فردَّ عليه ابن الزبير بأنْ اذهب إلى بني أميَّة وخذ حقك، فردَّ الهذلي يمدح بني أميَّة:" ولا هم في قريش كفقعةِ القاع، لهم السُّؤدد في الجاهلية، والملك في الإسلام، لا كمن لا يُعدُّ في عيرها ولا نفيرها"[٢٩٢].

---

[٢٩٠] – نفس المصدر والصفحة.

[٢٩١] – ابن أبي حديد، **شرح نهج البلاغة**، ٤/٤٩٠.

[٢٩٢] – الأصفهاني، **الأغاني**، ٢١/٩٤.

فقد ضمن كلامه المثل المشهور" لافي العير ولا في النفير"، والهدف من هذا التضمين الحط من شأن الإنسان، والتصغير من قدره.

ومن ذلك أيضا ما جاء على لسان أيوب بن القرّية في ردّه على الحجاج:" ثلاث كلمات- أصلح الله الأمير- كأنهنَّ ركبٌ وُقُفٌ، يكنَّ مثلاً بعدي، قال الحجاج: هاتِ، قال: لكلِّ جوادٍ كبوةٌ، ولكل صارمٍ نبوةٌ، ولكل حليمٍ هفوةٌ"[٢٩٣]. وهذا تضمينٌ لقول سائر.

استطاع الخطباء والكتَّاب والمتناظرون أن يقتبسوا من القرآن الكريم في الخُطَبِ والرَّسائل والمناظرات، وقد تنوَّع شكل هذا الاقتباس، فمنهم من اقتبس آيةً كاملةً، ومنهم من اقتبس بداية الآية ومنهم من اقتبس وسط الآية أو نهايتها وجاء هذا الاقتباس لأغراضٍ متعدِّدةٍ، فمنهم من جاء به للتهديد ومنهم من جاء به لإثبات الحقِّ وتقويةِ دليله وبرهانه في كلامه، وكلُّ هذا من براعة الخطيب أو الكاتب وقدرته على استحضار الشاهد في المكان المناسب وقدرته كذلك على اختيار الجزء الذي يناسب كلامه من الآية.

المطلب الثاني: الاقتباس من الحديث الشريف

أمَّا الاقتباس من الحديث الشريف فقد كان قليلاً، وقد وجدنا بعض الخطباء يركِزون على معنى الحديث الشريف كما جاء في خطبة الحسن البصري[٢٩٤]: "لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق"[٢٩٥].

المبحث الثالث: استيحاء الأفكار

---

[٢٩٣] – الجاحظ، **البيان والتبيين**، ١٨٩/١.

٢٩٤ – أحمد زكي صفوت، **جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، العصر الأموي**، ٤٧٢. والحديث رواه أحمد وأخرجه الطبراني في الكبير والأوسط.

[٢٩٥] – أخرجه أبو عبدالله أحمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، تح: شعيب الأرناؤوط، عادل مرشد، (بيروت، مؤسسة الرسالة، ط١، ٢٠٠١م)،٣٣٣/٢، رقم الحديث ١٠٩٥.

تعريف الاستيحاء: (لغةً واصطلاحاً)

الوَحْيُ: الإشـــارة والكتابة والرّســـالة والإلْهام والكلام الخَفِيُّ وكلُّ ما أَلقيته إلى غيرك. يقال: وحَيْتُ إليه الكلامَ وأَوْحَيْتُ.

ووَحَيْتُ إليه بالكلام أَحي به وأَوْحَيْتُه إليه، وهو أَن تكلمه بكلام تخفيه من غيره.

وقال بعضـــهم في قوله تعالى: (وإذ أَوْحَيْتُ إلى الحَوارِيِّينَ)؛ أَتَيْتُهم في الوَحْي إليك بالبَراهِين والآيات التي استدلوا بها على الإيمان فآمنوا بالله.

واسْتَوْحِ لنا بني فلان ما خَبَرُهم أَي اسْتَخْبِرهم، وقد وَحى. وتَوَحَّى بالشيء: أَسْرَعَ وشيء وَحِيٌّ: عَجِلٌ مُسْرِعٌ.

واسْتَوْحى الشيءَ: حرَّكه ودَعاه ليُرْسِله[٢٩٦].

وفي الصرف: (استوحى) على وزن (استفْعَلَ) [٢٩٧]، وهي صيغة الفعل الثلاثيّ المزيد بثلاثة أحرف هي همزة الوصل والسين والتاء، وهذه الصيغة تفيد ثلاثة معان:

١- الطلب، مثل استكتبَ الرسالةَ أي طلبَ كتابتَها.

٢- التحويل: أي تحويل الشيء إلى شيء آخر، مثل استنفد فلان المال أي استخدمه حتّى نفد، أيّ حوّله من موجود إلى غير موجود. وفي التراث (استَنْوَقَ الجَمَلَ) أي حوّله من جمل إلى ناقة.

٣- إضافة الصفة إلى المفعول من قبل الفاعل، مثل استحسن الثوب أي عدّه حسَناً.

وصيغة (استوحى) في دراستنا هذه تفيد التحويل، حيث تفيد تحويل المادّة المستوحاة من موقف

---

٢٩٦ – ابن منظور، لسان العرب، مادة وحيَ.

٢٩٧- هاشم طه، شلاش، **أوزان الفعل ومعانيها**، (مطبعة الآداب، النجف، ١٩٧١م)، ١٠٦.

خارجيّ إلى موقف يخدم فكرة المبدع.

أمّا في الاصطلاح فيمكن أن نعرِّف الاستيحاء بأنَّه عمليّة صياغة مادّة ما (آية، بيت شعر، كلام نثريّ،) في شكل جديد، بحيث تغدو هذه المادّة جزءاً من العمل الفنّيّ.

وجاء في (معجم الشامل في علوم اللغة العربيّة ومصطلحاتها) أنّ الاستيحاء هو: "أن يأتي الكاتب بمعانٍ جديدةٍ تستدعيها مطالعاته في كتب غيره".[٢٩٨]

وقد استخدم النقاد هذا المصطلح تحت مسمَّيات عدّة، فمنهم من استخدمه للدلالة على " إسقاط حالة أو معنىً من القرآن الكريم أو الحديث الشريف أو الأدب على حالةٍ أو معنىً من الواقع، وتوظيفه في التعبير عن هذا الواقع "[٢٩٩].

أمَّا في النقد القديم فإنَّ للاستيحاء أسماء عدَّة منها: الاسترفاد والاستعانة والاجتلاب والتلميح.

أمَّا الاسترفادُ فهو أن يأخذ الشاعر أو الخطيب من غيره رفداً أي هبةً"[٣٠٠]. "

والاستعانة: "أن يستعين الشاعر أو الخطيب بفكرةٍ لغيره بعد أن يمهِّدَ لهذه الفكرة تمهيداً لائقاً"[٣٠١].

أما الاجتلاب: "أن يأتي الخطيب أو الكاتب أو الشاعر بالفكرة أو ببيت الشعر ويضعها في نثره أو في شعره دون أن يشير إلى ذلك"[٣٠٢].

والتلميح هو: "أن يُشارَ في محتوى الكلام إلى مثل سائر أو شعرٍ نادر أو قصةٍ مشهورة من

---

٢٩٨ – بلال جنيدي، محمد سعيد إسبر، **معجم الشامل في علوم اللغة العربية ومصطلحاتها**، ٥٢٧.

٢٩٩ – قحطان الفلاح، **استيحاء المعاني عند سهل بن هارون**، (مطبعة العبيكان، الرياض، ٢٠٠٥م)، ٣٢.

٣٠٠ – ابن رشيق، **العمدة في محاسن الشِّعر وأدبه ونقده**، (تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، بيروت – دار الجيل ١٩٧٢ م)، ٢١٧/١.

٣٠١ – ابن أبي الأصبع المصري، **تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن**، (تحقيق حفني محمد شرف، القاهرة، د.ت) ٣٨٣.

٣٠٢ يُنظر: أحمد مطلوب، **معجم مصطلحات النقد العربي القديم**، (مكتبة لبنان ناشرون، د.ت)، ٤٣.

غير أن يذكرها"[٣٠٣].

على أنّ الدراسة تجد أنّ مصطلح الاستيحاء المأخوذ من الوحي أشد صلة بموضوع الخطب التي لا بُد لها أن تستوحي من القرآن والأمثال وما شابه ذلك بتحريك هذا النوع الأدبي في ذهن الخطيب ومن ثَم إرساله للمتلقي، والمتلقي يتتبع أقوال الخطباء ليرى هل يلتزمون أصول الخطبة المعهودة، كأن تُفتتح بالتحميد، وتوشَّح بالقرآن وسائر الأمثال.

وهناك فرق بين الاستيحاء والتضمين، فالتضمين هو "أن يكون الكلام ضمن معنى علميّاً أو خبراً تاريخيّاً أو إشارة إلى مثَل أو بيت أو كلام سالف بالجملة يجعل بعض ذلك المثل أو البيت جزءاً من أجزاء المعنى" [٣٠٤]

أي إنّ التضمين يأتي لهدف جزئيّ يخدم جملة قصيرة، أمّا الاستيحاء فيعمل على إعادة خلق المادّة المستوحاة، ودلالته تكون أوسع من دلالة التضمين.

فالاستيحاء هو استحضار للشخصيات أو الأحداث أو المراحل التاريخية في عمل أدبي جديد، ويكون الاستحضار جزئياً أو كليَّاً، وتصريحاً أو تلميحاً، تعبيراً مباشراً أو فنياً[٣٠٥].

المطلب الأول: أشكال الاستيحاء

أولاً: استيحاء في المعنى

المراد بالمعاني كل ما يتَّصل بالألفاظ وهو:" تتبُّع خواص تركيب الكلام وما يتصل بها من

---

٣٠٣ الخطيب القزويني، **الإيضاح في علوم البلاغة**، (اعتنى به محمد الفاضلي، د.ت)، ٤٢٦.

٣٠٤ – جازم القرطاجنّي، **منهاج البلغاء وسراج الأدباء**، (تح: محمّد الحبيب قوجة، ط٢، دار المغرب الإسلاميّ، بيروت، د.ت) ١٧٣.

٣٠٥ – عبد الله أبو هيف، **التنمية الثقافية**، (اتحاد الكتاب العرب بدمشق، ٢٠٠١م)، ٨٢.

الاستحسان"[٣٠٦]. والمقصود باستيحاء المعاني في بحثنا أخذ بعض المعاني والألفاظ من القرآن الكريم أو الحديث النبوي الشريف أو الشعر القديم، وقد اعتمد الخطباء وكتَّاب الرسائل كثيرا على استيحاء معاني القرآن الكريم أو الذين قبلهم، وهذا ما سنوضِّحه مع الأمثلة من خلال دراستنا.

ثانياً: استيحاء في الأسلوب

الأسلوب هو الطريقة والشكل الذي نُقَدِّم فيه ما نريد، وقد استعمله الخطَّابي:" بمعنى الطرق والمذاهب التي نقدِّم بها كلامنا"[٣٠٧]. وهذا ما أردناه في دراستنا من الاستيحاء في الأسلوب، حيث سنتحدَّث عن استيحاء الخطباء والكتَّاب لأساليب الذين سبقوهم أو الاستيحاء من أسلوب القرآن الكريم.

المطلب الثاني: الاستيحاء في الخطب

استوحى الخطباءُ الكثير من معانيهم من القرآن الكريم والحديث الشريف، وقد تنوعت هذه المعاني وتعدَّدت حسب طبيعة الخطبة أو الرسالة، كما في معاني الوعظ والإرشاد والزهد في الدنيا، والحديث عن الموت، والحثِّ على الجهاد والقتال، ومعاني القدرة الإلهية، والحساب والجزاء، إضافة إلى معانٍ أخرى، تكررت أكثر من مرَّة من مثل: الشكر على النِّعم، إطاعة الله ورسوله، الصبر على المحن، وغيرها.

وكان هدفهم من هذا الاستيحاء تفخيم أقوالهم، واجتذاب سامعيهم، ولا عجب في ذلك فهم قد حفظوا القرآن الكريم وفهموه، فتغلغل في نفوسهم وعقولهم، فصار يجري على ألسنتهم في كلِّ حال ومقام، ونستطيع أن نقسِم الاستيحاء إلى استيحاءٍ في المعنى، واستيحاءٍ في الأسلوب.

---

٣٠٦ – جلال الدين القزويني، **الإيضاح**، (تح: جماعة من العلماء، القاهرة، د.ت)، ١٢.

٣٠٧ – حمد بن محمد الخطابي، **بيان إعجاز القرآن**، (تح: محمد خلف الله أحمد، محمد زغلول سلام، دار المعارف، القاهرة، د.ت)، ٤٢.

أولاً: الاستيحاء في المعنى

من ذلك ما جاء في خطبة الحسن وهو يردُّ على مستنكري الصُّلح بينه وبين معاوية:"... مع أنَّ أبي كان يحدثني أنَّ معاوية كان سَيَلي الأمر، فوالله لو سرنا إليه بالجبال والشجر ما شككت أنه سيظهر[٣٠٨]، إنَّ الله لا مُعَقِّبَ لحكمه، ولا رادَّ لقضائه"[٣٠٩]. فقوله: " إنَّ الله لا مُعَقِّبَ لحكمه" مستوحى بالمعنى من قوله تعالى: ﴿أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّا نَأۡتِي ٱلۡأَرۡضَ نَنقُصُهَا مِنۡ أَطۡرَافِهَاۚ وَٱللَّهُ يَحۡكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكۡمِهِۦۚ وَهُوَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ﴾ [الرعد: ٤١].

عندما أرادَ الحسن بن علي رضي الله عنه إقناع أنصاره بالصلح بينه وبين معاوية ذكر لهم كلام أبيه علي بن أبي طالب رضي الله عنه بأن الخلافة ستذهب لمعاوية وفي نهاية حديثه استوحى الآية القرآنية: (إنَّ الله لا مُعَقِّبَ لحكمهِ). وأراد بذلك تخفيف الأمر على أصحابه وأن هذا الأمر محسوم عنده ولا رادَّ لقضاء الله.

وفي التحريض على القتال خطب يزيد بن أنس الأسدي قائلاً:" يا معشر الشيعة: قد كنتم تُقتلون وتُقْطعُ أيديكم وأرجلكم، وتُسمَل أعينكم، وتُرفعون على جذوع النخل، في حُبّ أهل بيت نبيكم، وأنتم مقيمون في بيوتكم وطاعة عدوِّكم، فما ظنُّكم بهؤلاء القوم إن ظهروا عليكم اليوم؟"[٣١٠]. ففي بداية خطبته يُقدِّمُ صورةً للتعذيب وهي مستوحاة من القرآن الكريم عندما آمن السحرةُ بربِّ العالمين وخاطبهم فرعون بقوله: ﴿قَالَ ءَامَنتُمۡ لَهُۥ قَبۡلَ أَنۡ ءَاذَنَ لَكُمۡۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِي عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحۡرَۖ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيۡدِيَكُمۡ وَأَرۡجُلَكُم مِّنۡ خِلَٰفٖ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمۡ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخۡلِ وَلَتَعۡلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابٗا وَأَبۡقَىٰ﴾ [طه: ٧١].

٣٠٨- يغلب.

٣٠٩ - المسعودي، **مروج الذهب ومعادن الجوهر**، ٢/ ٥٣.

٣١٠ - الطبري، **تاريخ الطبري**،٧/ ٩٧.

في هذه الخطبة استوحى الخطيب يزيد الأسدي قصة تعذيب أتباع علي رضي الله عنه من قصة فرعون مع السحرة الذين آمنوا بالله وبموسى نبيًّا بعد أن رأوا برهان ربهم، وأراد بذلك أن يدعو أنصاره إلى الحرب كي لا يهلكوا مثل السحرة.

ويعظُ سليمان بن عبد الملك الناس ويرشدهم إلى الطريق الصحيح، ويحذرهم من الحياة الدنيا وغدرها، فهي غرَّارة لعَّابة بأهلها، وينصحهم أن يتَّخذوا كتاب الله إماماً، وأن يرتضوه حَكماً. يقول:".. واجعلوه لكم قائداً، فإنه ناسخٌ لما قبله، ولم ينْسخهُ كتابٌ بعده، واعلموا عبادَ اللهِ أنَّ هذا القرآن يجلو كيدَ الشياطين، كما يجلو ضوء الصبح إذا تنفس ظلام الليل إذا عسعس"[٣١١].

فهذا وصف جميلٌ ورائعٌ لكتاب الله عزَّ وجلَّ، وإذا جئنا إلى العبارة الأخيرة نجدها مستوحاة من قوله تعالى: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلۡخُنَّسِ ١٥ ٱلۡجَوَارِ ٱلۡكُنَّسِ ١٦ وَٱلَّيۡلِ إِذَا عَسۡعَسَ ١٧ وَٱلصُّبۡحِ إِذَا تَنَفَّسَ﴾ [التكوير: ١٥-١٨] . في هذه الخطبة استوحى سليمان بن عبد الملك وصفه للقرآن الكريم عندما نلتزم به وبقراءته، وإنَّ القرآن الكريم يطرد الشيطان كما يطردُ ضوء الصبح ظلام الليل. وقد استوحى هذه الفكرة من آيات القرآن الكريم وقوله تعالى: (والليل إذا عسعس * والصبح إذا تنفس).

ويبدأ عمر بن عبد العزيز خطبته بالتذكير بالموت والآخرة والثواب والعقاب، وأنَ هذه الدار دار فناء، فيجب أن يعدَّ الإنسان عدَّته للدار الآخرة. يقول: "**أيها الناس**: إنَّكم لم تُخلقُوا عبثاً، ولم تتركُوا سُدىً، وإنَّ لكم مَعَاداً يحكم اللهُ فيه بينكم، فخابَ وخَسِرَ منْ خرجَ من رحمة اللهِ التي وّسِعَت كلَّ شيءٍ، وحُرِمَ الجنَّةَ التي عرضها السماوات والأرض، واعلموا أنَّ الأمان غداً لمن خاف ربَّهُ"[٣١٢].

---

٣١١ – ابن قتيبة، **عيون الأخبار**، ٢/٢٤٧.

٣١٢ – ابن عبد ربه، **العقد الفريد**، ٢/ ٦٠.

ففي قوله استيحاءان: الأول في وصف رحمة الله تعالى: فهو من قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيُؤۡمِنُونَ بِهِۦ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْۖ رَبَّنَا وَسِعۡتَ كُلَّ شَيۡءٖ رَّحۡمَةٗ وَعِلۡمٗا فَٱغۡفِرۡ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ وَقِهِمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ﴾ [غافر: ٧].

والثاني في وصف الجنَّة التي أعدها اللهُ للمتقين: يقول تعالى: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣].

في هذه الخطبة استوحى عمر بن عبد العزيز كلامه عن الجنة ووصفها في العرض والجمال من القرآن الكريم، وهذا من أجل تشويق الناس إلى الجنةِ والعمل من أجلها.

وفي خطبة عتبة بن أبي سفيان في أهل مصر. فقد بلغه أنهم يطعنون على الولاة ويعيبون السَّلف. فقال:" يا أهل مصرَ: خَفَّ على ألسنتكم مَدحُ الحقِّ ولا تفعلونه، وذمُّ الباطلِ وأنتم تأتونه، كالحمار يحمل أسفاراً أثقلهُ حملها، ولم ينفعهُ علمها.."[٣١٣].

فهذا الوصف مستلهم من قوله تعالى: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ ثُمَّ لَمۡ يَحۡمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلۡحِمَارِ يَحۡمِلُ أَسۡفَارَۢاۚ بِئۡسَ مَثَلُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الجمعة: ٥].

ونجد الاستيحاء أيضاً في خطبة أبي حمزة الشاري حيثُ يقول:" ندعو إلى كتاب الله وسنة نبيه، والقَسمِ بالسَّويةِ والعدلِ في الرعية، ووضع الأخماس في مواضعها التي أمر الله بها، "[٣١٤].

استوحى الخطيب بعض معانيه من القرآن الكريم فقوله: "وضع الأخماس في مواضعها". مستوحىً من قوله تعالى: ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ [الأنفال: ٤١].

---

٣١٣ – ابن قتيبة، **عيون الأخبار**، ٢/ ٢٣٩.

٣١٤ – الطبري، **تاريخ الطبري**،٩/ ١٠٨.

وقوله: "أصبحنا بنعمته أخواناً". مستوحى من قوله تعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا﴾ [آل عمران: ١٠٣].

فقد استطاع أبو حمزة الشاري أن يقيسَ توزيع الغنائم التي ربحها من الحرب ويوزعها على الجنود حسب ما نزل في القرآن الكريم، ويرى أبو حمزة الشاري أن هذه القسمة سترضي كلَّ الناس ويصبحون كالأخوان وهذا أيضاً استيحاء من القرآن الكريم.

وفي خطبة أخرى له في تقريعِ أهل المدينةِ يقول: "تحملون قلوباً في صدوركم كالحجارة أو أشدّ قسوة من الحجارة، أولم تَلِن لكتاب الله الذي لو أُنزِلَ على جبلٍ لرأيتهُ خاشعاً مُتَصَدِعاً من خشية الله "[٣١٥]. ففي وصف قلوب أهل المدينة استيحاءان بالمعنى الأول من قوله تعالى: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ﴾ [البقرة: ٧٤].

والثاني من بيان عظمة القرأن ومدى تأثيره، مستوحى من قوله تعالى: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ﴾ [الحشر: ٢١].

وكَثُرَ في باب الوصايا الاستيحاء من معاني القرآن الكريم، كما نرى في وصية عبد الله بن شدَّاد لابنه إذ قال له:" يابنيَّ، إني أرى داعيَ الموت لا يُقلِع، وأرى مَنْ مضى لا يرجع، ومَنْ بقي فإليه ينزِع.. عليك بتقوى الله العظيم، وليكن أوْلَى الأمور بك شكر الله، وحسن النيَّة في السرِّ والعلانية، فإن الشكور يزداد، والتقوى خيرُ زاد"[٣١٦]. فمعنى الحض على الشكر مستوحى من قوله تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم: ٧]. ومعنى الحض على التقوى مأخوذ من قوله عزَّ وجل: ﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ

---

٣١٥ – الطبري، **تاريخ الطبري**، ٩/ ١٠٨.

٣١٦ – أبو علي القالي، **إسماعيل بن القاسم**، الأمالي، ٢/ ٢٠٤.

وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي ٱلۡحَجِّۗ وَمَا تَفۡعَلُواْ مِنۡ خَيۡرٖ يَعۡلَمۡهُ ٱللَّهُۗ وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيۡرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقۡوَىٰۖ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ [البقرة: ١٩٧].

والأمر ذاته في خطبة مروان بن الحكم، إذْ يستوحي معانيه من كتاب الله عزَّ وجل. يقول في حديثه عن الله تعالى: "إنَّ الله عظيمٌ خطره، ولا يَقْدِرُ قادِرٌ قدْرَهُ، خلقَ مِنْ خلقِه عباداً، وجعلهم لدعائم دينه أوتاداً"[٣١٧].

فقوله:" لا يَقدِرُ قادرٌ قَدْرَهُ" مأخوذٌ من قوله تعالى:وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦٓ [الزمر: ٦٧].

لقد استوحى الخطباء معاني القرآن الكريم واستطاعوا أن يستحضروا هذه المعاني بدقَّةٍ كما فعل الحسن بن علي رضي الله عنه لإقناع أنصاره في الصلح مع معاوية، وكذلك استطاعوا أن يربطوا بين قصص الحاضر وقصص القرآن الكريم كما فعل يزيد الأسدي بين قصة أنصار علي رضي الله عنه والسحرة الذين آمنوا بالله وحاولوا الهروب منه لكنه قتلهم، وهذا دليل على قدرة الخطباء على إقناع جمهورهم.

كما استحضر الخطباء والكتَّاب الآيات الكريمة من أجل إقناع جمهورهم وجَعْلِ هذه الآيات دليلا على كلامهم.

ثانياً: الاستيحاء في الأسلوب

لم يكتفِ الخطباء بالاستشهاد بالآيات القرآنية والاقتباس من معاني القرآن بل تجاوزوا ذلك إلى استيحاء الأسلوب القرآني في خطبهم ورسائلهم. فها هو الحجَّاج بن يوسف الثقفي يخطب في أهل

٣١٧ – أحمد زكي صفوت، **جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، العصر الأموي**، ٢٣٧.

العراق بعد وقعة دير الجماجم[٣١٨] قائلاً: "... ثم يوم الزاوية، وما يوم الزاوية، بها كان فَشَلكم وتنازعُكم وتخاذلكم، وبراءة الله منكم، ونُكُوص وليُّكم عنكم، إذْ ولَّيتم كالإبلِ الشوارد إلى أوطانها، والنوازع إلى أعطانها[٣١٩]– لا يسأل المرء عن أخيه، ولا يلوي[٣٢٠] الشيخ عن بنيه، حتَّى عضكم السلاح، وقصمتكم الرماح، ثم يوم دَيْر الجماجم، وما يوم دَيْر الجماجم! بها كانت المعارك والملاحم، بضربٍ يُزيلُ الهامَ [٣٢١]عن مَقيله[٣٢٢]، ويُذلُ الخليل عن خليله.."[٣٢٣]. فهذا الأسلوب في قوله:" يوم الزاوية وما يوم الزاوية، ويوم الجماجم وما يوم الجماجم". ثم يشرح ويفصِّل ماذا حدث فيه؟" هذا يذكرنا بالأسلوب القرآني في سورة القارعة ﴿ٱلۡقَارِعَةُ ١ مَا ٱلۡقَارِعَةُ ٢ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡقَارِعَةُ ٣ يَوۡمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلۡفَرَاشِ ٱلۡمَبۡثُوثِ﴾ [القارعة: ١-٤].

وربَّما أراد الحجاج أن يربط في هذا الأسلوب بين الخطبة وبين سورة القارعة التي تدلُّ على الخوف والرعب الموجود فيها.

ونلاحظ من خلال دراستنا لموضوع الاستيحاء أن كثيراً من الخطباء كانوا يبدؤون خطبهم بالاستيحاء من القرآن الكريم مباشرةً وخاصَةً ما يتعلق بالصفات الإلهية أو الكلام على الرسول صلى الله عليه وسلم، أو وصف كتاب الله سبحانه وتعالى.

ونرى استيحاءً في الأسلوب في خطبة عبد الله بن الزبير لما بلغه قتل مصعب، إذ يقول: "الحمد لله الذي له الخلق والأمر، ومُلك الدنيا والآخرة، يُؤتي المُلكَ من يشاء، وينزع الملك ممَّن يشاء، ويُعِزُّ من

٣١٨ – وقعة دير الجماجم: هي وقعة نشبت بين الحجاج وبين عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث قرب الكوفة سنة ٨٣هـ.

٣١٩ – جمع عطن، مبركُ الإبل.

٣٢٠ – لا يقف ولا ينتظر.

٣٢١ – جمع هامة الرأس.

٣٢٢ – مَوْضعِهِ.

٣٢٣ – ابن عبد ربه، العقد الفريد، ٢/ ١٥٢.

يشاء، ويُذِلُّ من يشاء، أمَّا بعدُ"[٣٢٤]. فهذا الاستهلال مستوحىً من قوله تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلۡمُلۡكِ تُؤۡتِي ٱلۡمُلۡكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلۡمُلۡكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُۖ بِيَدِكَ ٱلۡخَيۡرُۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ [آل عمران: ٢٦].

وفي خطبة ليزيد بن معاوية يقول فيها: "الحمد لله أحمده وأستعينه، وأومن به، وأتوكل عليه، ونعوذ بالله من شرِّ أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهدِ الله فلا مضلَّ له، ومن يضلل فلا هادي له.."[٣٢٥]. فقوله من يهد الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له مستوحى من قوله تعالى: ﴿أَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبۡدَهُۥۖ وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦۚ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٖ ٣٦ وَمَن يَهۡدِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّضِلٍّۗ أَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِعَزِيزٖ ذِي ٱنتِقَامٖ﴾ [الزمر: ٣٦-٣٧]

ونجد كثيراً من معاني الوعظ والإرشاد مستوحاة من القرآن الكريم، خاصة في مقام الزُّهد والموت، فكل شيء في هذه الحياة إلى زوال وفناء، ولا بدَّ من الموت، فأين الملوك الأولون؟ وأين الجبابرة المتكبرون؟ وأين الأقوام والتَّبابعة والأكاسرة؟ فالموت أمام الجميع. يقول الحجاج في خطبته: "أيها الناس: قد أصبحتم في أجلٍ منقوص، وعملٍ محفوظ، رُبَ دائبٍ مضيع، وساعٍ لغيره، والموت في أعناقكم، والنار بين أيديكم، والجنَّةُ أمامكم.. فكأنَّ ما قد مضى من الدنيا لم يكن، وكأنَّ الأموات لم يكونوا أحياء، وكلُّ ما ترونه فإنه ذاهبٌ، هذه شمسُ عادٍ وثمود وقرونٍ كثيرةٍ بين ذلك، هذه الشمس التي طلعت على التبابعة والأكاسرة، وخزائنهم السائرة بين أيديهم، وقصورهم المشَيَّدة، ثم طلعت على قبورهم"[٣٢٦].

فهنا إشارة إلى الموت والثواب والعقاب (الجنة والنار)، وإشارة إلى الأقوام البائدة مثل قوم عاد

---

٣٢٤ – المسعودي، **مروج الذهب ومعادن الجوهر**، ٢/ ١٢٣.

٣٢٥ – ابن عبد ربه، **العقد الفريد**، ١٤٢/٢.

٣٢٦ – ابن أبي حديد، **شرح نهج البلاغة**، ١٥٠/١.

وثمود وغيرهم. وقد ذُكرت قصصهم في القرآن الكريم.

يقول تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ٦ إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ٧ ٱلَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي ٱلْبِلَٰدِ﴾ [الفجر: ٦-٨].

وأيضاً إشارة إلى قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا عَادٌ فَٱسْتَكْبَرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَقَالُواْ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً ۖ أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً ۖ وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ﴾ [فصلت: ١٥].

أمَّا ما يخصُّ الاستيحاء من التراث والقصص، فقد وجدنا أنَّ الخطباء استوحوا أو أشاروا إلى قصَّةٍ ما في القرآن الكريم، كقصة قوم عاد وثمود، أو قصة آدم عليه السلام. مثال ذلك ما جاء في خطبة الحجاج بن يوسف بعد مقتل عبد الله بن الزبير، إذ قال: " ألا إنَّ ابن الزبير كان من أحبار[٣٢٧] هذه الأمة، حتى رغب في الخلافة ونازع فيها، وخلعَ طاعة الله، واستكنَّ بحَرَم الله، ولو كان شيءٌ مانعاً للعصاة، لمنع آدم حُرْمةُ الجنة، لأن الله تعالى خلقه بيده، وأسجدَ له ملائكته، وأباحَهُ جَنَّتَهُ، فلمَّا عصاه أخرجه منها بخطيئته، وآدم على الله أكرمُ من ابن الزبير، والجنة أعظم حرمةً من الكعبة"[٣٢٨].

لقد استوحى الحجاج قصة آدم عليه السلام من القرآن الكريم عندما عصى آدمُ اللهَ تعالى وأخرجه من الجنة وأسكنه الأرض هو وزوجته، وقد أراد إسقاط قصة آدم ليبرر قتل عبد الله بن الزبير، كما يبرر محاصرة مكة المكرمة وقصف الكعبة الشريفة بالمنجنيق وهدمها. والقصة التي استوحها في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأَدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ٣٤ وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة: ٣٤-٣٥].

---

٣٢٧ – جمعه حِبرٌ: العالم.

٣٢٨ – أحمد زكي صفوت، **جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، العصر الأموي**، ٢٧٣-٢٧٤.

وفي خطبة يزيد بن الوليد حين قَتَلَ الوليد بن يزيد إشارةٌ إلى قصة الوليد بن يزيد مع المصحف الكريم حيث يقول بعد حمد الله والثناء عليه: "أيها الناس: والله ما خرجتُ أشَرَاً ولا بطراً، ولا حرصاً على الدنيا، ولا رغبة في الملك، ولكن خرجت غضباً لله ودينه، وداعياً إلى الله، وإلى سنةِ نبيه، لما هُدِمتْ معالمُ الهدى، وأُطفِيء نور أهل التقوى، وظهر الجبَّار العنيد المستحِلُّ لكلِّ حُرمة، والراكب لكلِّ بِدْعة، والكافر بيوم الحساب، وإنَّه لابنُ عمِّي في النَّسبِ، وكَفِيئِي[٣٢٩] في الحسب، فلمَّا رأيتُ ذلك استخرتُ اللهَ في أمره، وسألتهُ ألّا يكلني إلى نفسي، ودعوتُ إلى ذلك مَنْ أجابني من أهل ولايتي، حتى أراح الله منه العباد"[٣٣٠].

ففي قوله: " وظهر الجبَّار العنيد" إشارة إلى قوله تعالى: **وَٱسْتَفْتَحُواْ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ [إبراهيم: ١٥]**.

ويشير يزيد في هذه الخطبة إلى ما حدث من الوليد بن يزيد من أنَّه استفتح فألاً في المصحف فخرج له قوله تعالى:" واستفتحوا وخاب كلُّ جبار عنيد". فنصب المصحف غرضاً للنشاب وأقبلَ يرميه حتى مزَّقه، وهو يقول:

أتوعِدُ كلَّ جبَّارٍ عنيـد فهـأنذاك جبَّـارٌ عنيـد

إذا لاقيتَ ربَّكَ يومَ حشرٍ فقلْ يا ربِّ مزقني الوليد[٣٣١]

وهو هنا يخاطب المصحف الشريف الذي مزّقه معلناً تجبّره وتحدّيه لله عزّ وجلّ.

نلاحظ مما سبق أنَّ الخطباء لم يكتفوا بالاستشهاد والتضمين لآيات القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، بل تجاوزوا هذا إلى الاستيحاء، حيث استوحوا أفكارهم وأساليبهم من القرآن الكريم

---

٣٢٩ – مثلي.

٣٣٠ – ابن قتيبة، **عيون الأخبار**، ٢/ ٢٤٨.

٣٣١ – عيون الأخبار **لابن قتيبة**، ٢/ ٢٤٨.

ومن التراث العربي الإسلامي، واستطاعوا أن يوظِّفوا هذا الأسلوب البلاغي كي يجتذبوا سامعيهم ويدللوا على حججهم ويعطوا مصداقية لخطبهم، وكذلك استطاعوا أن يستوحوا أسلوب القرآن الكريم وقصص التراث العربي.

المطلب الثالث: الاستيحاء في الرسائل

لا يختلفُ الاستيحاء في الرسائل كثيراً عن الاستيحاء في الخطابة، فقد استخدمَ كُتَّاب الرسائل أسلوب الاستيحاء، وتعدَّدت أشكال هذا الاستيحاء، فمنهم من استخدمه في مقدِّمة الرسالةِ ومنهم من استخدمه في وسط رسالته، ومنهم من استوحى من القرآن الكريم أو من الأحداث في التاريخ والتراث العربي القديم.

أولاً: الاستيحاء من القرآن الكريم

فقد استلهم الكُتَّاب في رسائلهم كثيراً من معاني القرآن الكريم، للتعبير عمَّا يريدونه، وقد تعدَّدت تلك المعاني واختلفت حسب طبيعة موضوع الرسالة أو الكتاب، ونرى ذلك في كتاب الحسن إلى معاوية بن أبي سفيان في أمر خلافة محمد صلى الله عليه وسلم، يرى أنَّه هو وآله هم قبيلة النبي صلى الله عليه وسلَّم، وأسرته وأولياؤه، ولا يحلُّ لأحدٍ أن ينازعهم سلطانه يقول: " فاليوم فليتعجَّب المتعجِّب من توثُّبك يا معاوية على أمرٍ لست من أهله، ولا بفضلٍ في الدين معروف، ولا أثر في الإسلام محمود، وأنت ابن أعدى قريش لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولكتابه، والله حسيبك، فستردُّ وتعلم لِمَنْ عُقبى الدار، وبالله لتلقينَّ عن قليل ربِّك، ثم ليجزينَّكَ بما قدَّمت يداك، وما الله بظلَّامٍ للعبيد"[٣٣٢]. نلاحظ في قوله تتابع الاستيحاءات لمعاني القرآن الكريم في كلامه عن جزاء معاوية بن أبي سفيان، فقوله:" **فستردُّ وتعلم لِمَنْ عُقبى الدار**" مستوحى من قوله تعالى:﴿**وَقَدۡ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن**

٣٣٢ – ابن أبي حديد، **شرح نهج البلاغة**، ١٢/١.

قَبۡلِهِمۡ فَلِلَّهِ ٱلۡمَكۡرُ جَمِيعٗاۖ يَعۡلَمُ مَا تَكۡسِبُ كُلُّ نَفۡسٖۗ وَسَيَعۡلَمُ ٱلۡكُفَّٰرُ لِمَنۡ عُقۡبَى ٱلدَّارِ [الرعد: ٤٢].

وقوله: "ثم ليجزينَّك بما قدَّمت يداك". مستوحى من قوله تعالى: إِنَّآ أَنذَرۡنَٰكُمۡ عَذَابٗا قَرِيبٗا يَوۡمَ يَنظُرُ ٱلۡمَرۡءُ مَا قَدَّمَتۡ يَدَاهُ وَيَقُولُ ٱلۡكَافِرُ يَٰلَيۡتَنِي كُنتُ تُرَٰبَۢا [النبأ: ٤٠].

وقوله: "وما الله بظلَّامٍ للعبيد". مستوحىً من قوله تبارك وتعالى: مَّنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا فَلِنَفۡسِهِۦۖ وَمَنۡ أَسَآءَ فَعَلَيۡهَاۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ [فصلت: ٤٦].

لقد استوحى الحسن بن علي- رضي الله عنه- معظم رسالته من القرآن الكريم، وكلُّ الاستيحاءات يريد من خلالها أن يثبتَ عدم أحقيَّةِ معاوية في خلافة المسلمين.

وفي كتاب لمعاوية إلى الحسن بن علي -رضى الله عنه- يستهلُّ كلامه بالاستيحاء من القرآن الكريم، وهذا يعطي الكتاب مزيداً من القوة والفخامة في الشكل والمضمون، ويكون عظيم التأثير في النفوس، يقول: " أمَّا بعدُ، فإنَّ الله يفعلُ في عباده ما يشاء لا مُعَقِّبَ لحكمه، وهو سريع الحسابِ"[٣٣٣].فقوله:" فإنَّ الله يفعلُ في عباده ما يشاء". مستوحى من قوله تعالى: إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يُرِيدُ [الحج: ١٤].

كما يستهل عبد الله بن عباس كتابه إلى مُجْبِرةِ[٣٣٤] الشام بالاستيحاء من القرآن الكريم، إذ يقول: " أمَّا بعدُ، أتأمرون الناس بالتقوى وبكم ضَلَّ المتَّقون، وتنهون الناس عن المعاصي وبكم ظهر العاصون؟ يا أبناء سلف المقاتلين، وأعوان الظالمين... هل منكم إلا على من تاب، وقبل من أناب"[٣٣٥].

فبداية كلامه مستوحاةٌ من قوله تعالى: أَتَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبِرِّ وَتَنسَوۡنَ أَنفُسَكُمۡ وَأَنتُمۡ تَتۡلُونَ

---

٣٣٣ - ابن أبي حديد، **شرح نهج البلاغة**، ١٣/٤.

٣٣٤ - مجبرة أو الجبرية: فرقة تقول إنَّ الإنسان لا يقدر على شيء، ولا يوصف بالاستطاعة، وإنما مجبور في أفعاله.

٣٣٥ - أحمد بن يحيى المرتضي، **المنية والأمل في شرح الملل والنحل**، ص٩.

ٱلۡكِتَٰبَۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ [البقرة: ٤٤].

ويختم كتابه أيضاً باستيحاء من معنى التوبة في القرآن الكريم، وذلك في قوله تعالى: وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ [النور: ٣١].

ولما تولَّى زياد بن أبيه البصرة استعمل الحكم بن عمرو الغفاري على خراسان وكتب إليه أنَّ أهل جبل الأشَلِّ[٣٣٦] سلاحهم اللُّبود[٣٣٧]، وآنيتهم الذهب، فغزاهم وغَنِمَ منهم غنيمة عظيمةً، وورد الخبر بما غنم على زياد، فكتب إليه: " إنَّ أمير المؤمنين كتب إليَّ أن اصطفيَ له كلَّ صفراء[٣٣٨] وبيضاء[٣٣٩] والروائع[٣٤٠]، فلا تحركنَّ شيئاً حتى تُخرِجَ ذلك"[٣٤١]، فردَّ الحكم عليه قائلاً: " أمَّا بعدُ: فإن كتابك ورد، وتذكُرُ أنَّ أمير المؤمنين كتب إليَّ أن أصطفي له كلَّ صفراء وبيضاء والروائع، ولا تحركنَّ شيئاً، وإني وجدتُ كتابَ الله عزَّ وجلَّ قبل كتاب أمير المؤمنين، وإنَّه والله لو كانت السماوات والأرض رَتقاً[٣٤٢] على عبدٍ اتَّقى الله عزَّ وجلَّ جعَلَ اللهُ سبحانه وتعالى له منها مَخْرَجاً"[٣٤٣].

ففي قولِ الحكم " وجدت كتاب الله عزَ وجلَّ قبل كتاب أمير المؤمنين". إشارة إلى الآية الكريمة: وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ إِن كُنتُمۡ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ [الأنفال: ٤١].

وقال الحكم للناس: " اغدوا على غنائمكم، فغدا الناس". وقد عزل الخُمس فقسَّم بينهم

---

٣٣٦ – جبل في خُراسان.

٣٣٧ – جمع لبد وهو الصوف.

٣٣٨ – الذهب.

٣٣٩ – الفضة.

٣٤٠ – النفائس من المجوهرات.

٣٤١ – الطبري، **تاريخ الطبري**، ٦/ ١٤١.

٣٤٢ – الرتق: ضد الفتق.

٣٤٣ – الطبري، **تاريخ الطبري**، ٦/ ١٤١.

الغنائم.

وفي ختام قوله: على عبدٍ اتَّقى الله عزَّ وجلَّ جعَلَ اللهُ سبحانه وتعالى له منها مَخْرَجاً استيحاء من الآية الكريمة ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلشَّهَٰدَةَ لِلَّهِ ذَٰلِكُمۡ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا﴾ [الطلاق: ٢].

وفي كتاب محمد بن الحنفية إلى الشيعة بالكوفة اعتمادٌ كبيرٌ على الاستيحاء من آيات الذكر الحكيم، ففي قوله:" فإن خشيتم على أنفسكم فاحذروا على دينكم الكذّابين، وأكثروا الصلاة والصيام والدُّعاء، فإنه ليس أحدٌ من الخلق يملكُ لأحدٍ ضرَّاً ولا نفعاً إلا ما شاء الله... فاعملوا صالحاً وقدِّموا لأنفسكم حسناً، ولا تكونوا من الغافلين"[٣٤٤]. فقوله: " ليس لأحدٍ من الخلق يملك لأحدٍ ضرّاً ولا نفعاً". مستوحى من قوله عزَّ وجلَّ ﴿وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةٗ لَّا يَخۡلُقُونَ شَيۡـٔٗا وَهُمۡ يُخۡلَقُونَ وَلَا يَمۡلِكُونَ لِأَنفُسِهِمۡ ضَرّٗا وَلَا نَفۡعٗا وَلَا يَمۡلِكُونَ مَوۡتٗا وَلَا حَيَوٰةٗ وَلَا نُشُورٗا﴾ [الفرقان: ٣].

وفي قوله: " فاعملوا صالحاً وقدموا لأنفسكم". مستوحى من قوله تعالى ﴿مَن كَفَرَ فَعَلَيۡهِ كُفۡرُهُۥۖ وَمَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا فَلِأَنفُسِهِمۡ يَمۡهَدُونَ﴾ [الروم: ٤٤].

أو من قوله تعالى ﴿وَأَمَّا مَنۡ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلۡحُسۡنَىٰۖ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنۡ أَمۡرِنَا يُسۡرٗا﴾ [الكهف: ٨٨].

وكتب عمر بن عبد العزيز إلى أبي عبد الرحمن طاوس[٣٤٥]، يسأله عن بعض ما هو فيه فأجابه: "إن الله عزَّ وجلَّ أنزل كتاباً، وأحلَّ فيه حلالاً، وحرَّمَ فيه حراماً، وضربَ فيه أمثالاً، وجعل بعضهُ محكماً، وبعضه متشابهاً، فأحِلَّ حلال الله، وحرِّمْ حرام الله، وتفكَّرْ في أمثال الله، واعملْ بمُحكمه، وآمنْ

٣٤٤ – الطبري، **تاريخ الطبري**، ٧/ ١٥٣.

٣٤٥ – عبد الرحمن طاوس بن كيسان الهمذاني، من أبناء الفرس، أحد أعلام التابعين، كان فقيهاً جليلاً.

بمتشابهه، والسلام عليك"[٣٤٦]. فقوله ": ضرب فيه أمثالاً ". مستوحى من قوله تعالى: لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ [الحشر: ٢١].

أو من قوله تعالى: وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ [إبراهيم: ٢٥].

وقوله: " جعل بعضه محكماً". مستوحى من قوله تعالى: هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ [آل عمران: ٧].

ويقول عبد الحميد الكاتب في رسالته عن مروان إلى ابنه عبد الله: "فإذا أفضيت نحو عدوّك، واعتزمت على لقائهم، وأخذت أُهَبَة قتالهم، فاجعل دِعَامَتَكَ التي تلجأ إليها تقوى الله عزَّ وجلَّ، مُسْتَشْعِراً لها بمراقبته، والاعتصام بطاعته... والله المستعان عليهم، والمستنصر على جماعتهم، عليه يتوكل أمير المؤمنين، وإيَّاه يستصرخ عليهم، وإليه يفوِّضُ أمره، وكفى بالله وليَّاً وناصراً ومعيناً، وهو القوي العزيز"[٣٤٧].

ففي البداية يوصيه بتقوى الله، وهذا مستوحى من قوله تعالى: وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ [البقرة: ١٩٧].

وقوله: " إليه يفوِّض أمره". مستوحى من قوله تعالى: فَسَتَذْكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمْ ۚ وَأُفَوِّضُ أَمْرِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ [غافر: ٤٤]. وقوله:" وكفى بالله ولياً وناصراً وكفى بالله نصيرا". مستوحى من قوله تعالى: وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَآئِكُمْ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ نَصِيرًا [النساء: ٤٥].

وفي كتاب آخر له إلى أهله. يقول:" نسألُ اللهَ الذي يُعزُّ من يشاء، ويُذِلُّ من يشاء، أن

---

٣٤٦ – ابن الجوزي، **مناقب عمر بن عبد العزيز**، ١٢٦.

٣٤٧ – القلقشندي، **صبح الأعشى**، ١٩٥/١.

يهب لنا ولكم أُلفةً جامعةً، في دارٍ آمنةٍ تجمع سلامة الأبدان والأديان، فإنه ربُّ العالمين، وأرحم الراحمين".[٣٤٨] ففي قوله استيحاء من الآية الكريمة: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلۡمُلۡكِ تُؤۡتِي ٱلۡمُلۡكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلۡمُلۡكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُۖ بِيَدِكَ ٱلۡخَيۡرُۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ [آل عمران: ٢٦].

وفي كتابه في فتنة بعض العمّال يختم رسالته بقوله: "وكذلك يفعل الله بالظالمين، ويستدرجهم من حيث لا يعلمون"[٣٤٩]. وهذا مستوحى من قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعۡمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمۡ لِيَوۡمٖ تَشۡخَصُ فِيهِ ٱلۡأَبۡصَٰرُ﴾ [إبراهيم: ٤٢].

ونجد في الرسائل بعض المعاني التي تكررت على ألسنة الكُتَّاب من مثل معاني الحضِّ على تقوى الله، والشكر لله تعالى، كما في كتاب عمر بن عبد العزيز إلى بعض عمَّاله: "وإني أوصيك بتقوى الله عزَ وجلَّ، وأحثك على الشكر فيما اصطنع عندك من نِعمهِ، وأتاك من كرامته، فإنَّ نعمه يمُدُّها شكره، ويقطعها كُفره"[٣٥٠]. ففي الحضِّ على تقوى الله استيحاء من قوله **تعالى**: ﴿وَإِذۡ تَأَذَّنَ رَبُّكُمۡ لَئِن شَكَرۡتُمۡ لَأَزِيدَنَّكُمۡۖ وَلَئِن كَفَرۡتُمۡ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٞ﴾ [إبراهيم: ٧].

ومن المعاني المكررة أيضاً الحديث عن رحمة الله الواسعة، ومن ذلك قول الحجاج في مطلع رسالته إلى عبد الملك بن مروان: "السلام عليك ورحمة الله التي اتَّسعت فوسِعَتْ، وكان بها التقوى إلى أهلها قائداً، فإني أحمدُ إليك اللهَ الذي لا إله إلا هو، راجياً لعطفك بعطفه"[٣٥١]. فقوله: "ورحمة الله التي اتَّسعت فوسِعت". استيحاء من قوله تعالى: ﴿وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖۚ فَسَأَكۡتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤۡمِنُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٦].

---

٣٤٨ – أحمد زكي صفوت، **جمهرة رسائل العرب في عصور العربية الزاهرة، العصر الأموي**، ٤٨٧.

٣٤٩ – أحمد زكي صفوت، **جمهرة رسائل العرب في عصور العربية الزاهرة، العصر الأموي**، ٤٧٣.

٣٥٠ – ابن الجوزي، **مناقب عمر بن عبد العزيز**، ٢١٨.

٣٥١ – ابن عبد ربه، **العقد الفريد**، ١/ ٧٧.

ويدخل في ذلك أيضاً معنى الحض على الجهاد. يقول مطرف بن المغيرة بن شعبة في كتابه إلى سويد بن سرحان الثقفي: " أمَّا بعد، فإنا ندعوكم إلى كتاب الله وسنة نبيه وإلى جهاد مَنْ عَنَدَ[٣٥٢] عن الحق.. إن الله كتب القتال على المسلمين وسمَاه كُرهاً، ولن يُنالَ رضوان الله إلا بالصبرِ على أمر الله وجهاد أعداء الله "[٣٥٣].

فقوله هذا مستوحى من قوله تعالى: كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِتَالُ وَهُوَ كُرۡهٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ [البقرة: ٢١٦].

ثانياً: استيحاء قصص الأنبياء والسابقين

وقد استوحى معاوية بن أبي سفيان من الوقائع التاريخية قصة النبي زكريا من خلال ردّه على الحسن – رضي الله عنه– يبدأ بحمد الله والثناء عليه، وأنَّ محمَّداً –صلى الله عليه وسلم– أحقُّ بالفضل كله، قديمه وحديثه، وصغيره وكبيره، وأنه قد:" نَصحَ وهَدى، حتى أنقذ الله به من الهلكة، وأنار به من العَمَى، وهدى به الجهالة والضلالة، فجزاه الله أفضل ما جزى نبيّاً عن أمته، وصلوات الله عليه يومَ وُلِدَ ويومَ بُعِثَ، ويومَ قُبِضَ، ويومَ يُبْعَثُ حيًّا..."[٣٥٤]. ففي هذا الاستهلال الذي يذكر فيه معاوية فضل الرسول صلى الله عليه وسلم، استيحاء من قوله تعالى: يَٰيَحۡيَىٰ خُذِ ٱلۡكِتَٰبَ بِقُوَّةٖۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡحُكۡمَ صَبِيّٗا ١٢ وَحَنَانٗا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَوٰةٗۖ وَكَانَ تَقِيّٗا ١٣ وَبَرّٗا بِوَٰلِدَيۡهِ وَلَمۡ يَكُن جَبَّارًا عَصِيّٗا ١٤ وَسَلَٰمٌ عَلَيۡهِ يَوۡمَ وُلِدَ وَيَوۡمَ يَمُوتُ وَيَوۡمَ يُبۡعَثُ حَيّٗا [مريم: ١٢-١٥].

وقد استوحى معاوية نهاية رسالته قصة النبي زكريا، وأراد بذلك أن يقولَ أنَّ الرسول صلى الله عليه وسلَّمَ قد أدَّى الأمانةَ وأتمَّ الرسالةَ والسلام عليه يوم ولدَ ويومَ يموتُ ويومَ يُبْعَثُ حيًّا، ويريد معاوية

---

٣٥٢ – مَالَ عن الحق.

٣٥٣ – الطبري، **تاريخ الطبري**، ٧/ ٢٤٦.

٣٥٤ – ابن أبي حديد، **شرح نهج البلاغة**، ١٣/٤.

من هذا الكلام أن يقول للحسن بأن الرسالة السماوية اكتملت على يديّ رسول الله والباقي هو خلافة لمن هو أولى بها.

ومن استيحاء الحوادث، ما كان في ردِّ الحسين بن علي رضي الله عنه عندما عاب عليه معاوية زواجه من جاريته، فردَّ عليه الحسين:" فليس فوق رسول الله- صلى الله عليه وسلم- منتهىً في شرف، ولا غايةً في نسب، وإنَّما كانت ملكَ عيني، خرجت عن يدي بأمرٍ التمستُ فيه ثواب الله تعالى"[٣٥٥]. فقوله ليس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم شرف إشارة إلى زواج الرسول من صفية بنت حيي بعد أن أصدقها عتقها.

نرى مما سبق أن الاستيحاء هو استحضار لقصة حصلت أو شخصية تراثية أو حادثة حصلت في الماضي أو أسلوب من الأساليب ودمج هذه الأشياء في عمل فني جديد كالخطبة أو الرسالة. وقد استوحى الخطباء في خطبهم تلك الحوادث التاريخية أو تلك الأحداث كي يجعلون هذه الأحداث شاهدا على صدقهم، كما استوحى الخطباء معاني القرآن الكريم لما لهذه المعاني من قدسية عند المسلمين، وكذلك استوحوا أسلوب القرآن الكريم كما في مطلع السور كسورة القارعة، وكذلك فعل كتَّاب الرسائل الفنّيّة. وقد جاءت الاستيحاءات التي اعتمد عليها الخطباء والكتَّاب متناسبةً مع أغراضهم في إثبات ما يريدون قوله، وهذه الطريقة يَعْتَمدُ عليها الخطباء والكُتَّاب لإثبات مهارتهم وقدرتهم على الإقناع والاحتجاج واستحضار الدليل في الوقت الذي يريدون.

[٣٥٥] – القيرواني، **زهرة الآداب**، ٧٢/١.

ثالثاً: الاستيحاء من الحديث الشريف

وقد ذكرنا فيما سبق أنَ توظيف القرآن الكريم كان كبيراً وعظيمَ الأثر في الخطب والرسائل، بينما كان توظيف الحديث الشريف محدوداً وقليلاً، وكذلك استيحاء معانيه.

وقد تردَّد استيحاء معنى الحديث الشريف: «لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق[٣٥٦]». في خطب عمر بن عبد العزيز. يقول في خطبة له:" أيها الناس، إنه ليس بعد نبيكم صلى الله عليه وسلم نبيٌّ، وليس بعد الكتاب الذي نزل عليه كتاب.. أَلا إني لستُ بقاضٍ، ولكني منفِّذ لله، ولست بمبتدعٍ، ولكني متَبع، ألا إنه ليس لأحد أن يُطاع في معصية الله عزَ وجلَّ"[٣٥٧].

وتقول السيدة أم كلثوم بنت علي في أهل الكوفة بعد مقتل الحسين عليه السلام:" يا أهل الكوفة، يا أهل الخَتْر.. وهل أنتم إلا كَمَرْعى على دِمنة[٣٥٨]، وكفضةٍ على ملحودة[٣٥٩]، ألا ساء ما قدَّمت أنفسكم "[٣٦٠].

لا يخفى علينا استيحاء معنى الحديث الشريف الذي يشير إلى المرأة الحسناء في منبت السوء. يقول صلى الله عليه وسلم:« إياكم وخضراءَ الدِّمَن، قالوا يا رسول الله: وما خضراء الدِّمَن؟ قال: المرأة الحسناء في المنبت السوء»

المطلب الرابع: الاستيحاء في المناظرات

– [٣٥٦] – أخرجه أبو عبدالله أحمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، تح: شعيب الأرناؤوط، عادل مرشد، (بيروت، مؤسسة الرسالة، ط١، ٢٠٠١م)،٣٣٣/٢، رقم الحديث ١٠٩٥.

٣٥٧ – ابن قتيبة، **الإمامة والسياسة**، ٢/ ٢٦.

٣٥٨ – الدِمنة: روث البهائم.

٣٥٩ – ملحودة: مدفونة في لحدها.

٣٦٠ – الطبري، تاريخ الطبري،٧: ١٥٣.

ورد الاستيحاء في المناظرات من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف.

أولاً: الاستيحاء من القرآن الكريم

جاء الاستيحاء من القرآن الكريم في المعنى من خلال المناظرة التي جرت بين صعصعة بن صوجان ومعاوية بن أبي سفيان، والتي كان الهدف منها التفاضل بين العرب ومدنهم، فعندما ذمَّ ابن صوجان أهل الشام، ردَّ عليه معاوية:" والله يا ابن صوجان إنك لحاملُ مديتك منذ أزمان، إلا أن حلم ابن أبي سفيان يردُّ عنك. فردَّ صعصعة: بل أمر الله وقدرته، إنَّ أمر الله كان قدراً مقدورا"[٣٦١].

فقد استوحى ابن صوجان المعنى من القرآن الكريم في الآية الكريمة﴿مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ مِنۡ حَرَجٖ فِيمَا فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُۥۖ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِي ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلُۚ وَكَانَ أَمۡرُ ٱللَّهِ قَدَرٗا مَّقۡدُورٗا﴾ [الأحزاب: ٣٨].

ومن الاستيحاء ما جاء في مناظرة ابن الزبير والخوارج على قضية الجمل التي حصلت بين عائشة والزبير بن العوام وطلحة بن عبيد الله رضي الله عنهم، وعلي بن أبي طالب رضي الله عنه، فقال الخارجي:" وقد بايعا علياً، وهو إمامٌ عادلٌ مرضيٌّ لم يظهر منه كفرٌ، ثم نكثا بعرضٍ من أعراض الدنيا، وأخرجا عائشة تقاتل، وقد أمرها الله وصواحبها أن يقرنَ في بيوتهن"[٣٦٢].

هذا استيحاء من معنى القرآن الكريم في قوله تعالى﴿وَقَرۡنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجۡنَ تَبَرُّجَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ ٱلۡأُولَىٰۖ وَأَقِمۡنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعۡنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ وَيُطَهِّرَكُمۡ تَطۡهِيرٗا﴾ [الأحزاب: ٣٣].

ثانياً: الاستيحاء من الحديث النبوي الشريف

---

[٣٦١] – المسعودي، **مروج الذهب**، ٧٨/٢.

[٣٦٢] – الطبري، تاريخ الطبري، ٥٥/٧.

لم يقتصر المتناظرون على الاستيحاء من القرآن الكريم، بل وجدناهم يستوحون من الحديث النبوي الشريف، ومن ذلك ما جاء على لسان ابن عباس في مناظرة عبدالله بن الزبير، حين قال له:" قضى لنا رسول الله بالفضل في قوله: "ما افترقت فرقتان إلا وكنت في خيرها"[٣٦٣]. فهذه الحجة مستوحاة من حديث الرسول صلى الله عليه وسلم:« خير العرب مضر، وخير مضر بنو عبد مناف، وخير بني عبد مناف بنو هاشم، وخير بني هاشم بنو عبد المطلب، ووالله ما افترقت فرقتان منذ خلق الله آدم إلا كنت في خيرها».

وفي مناظرة عبد الله بن الزبير للخوارج حين نهاهم عن شتم الأحياء والأموات، وذكر لهم أمر رسول الله- صلى الله عليه وسلم- بعدم فعل هذا الفعل، "لا تؤذوا الأحياء بسب الموتى". فهذا الكلام مستوحى من حديث الرسول صلى الله عليه وسلم:« لا تسبُّوا الأموات فتؤذوا الأحياء»[٣٦٤].

وفي نفس المناظرة هناء استيحاءٌ آخرٌ للحديث النبوي في قول عبدالله بن الزبير، عندما أراد من الخوارج أن يحلفوا صادقين، وذكر لهم قوله صلى الله عليه وسلم:" من حلف بالله فليصدق، ومن حُلِفَ له بالله فليرضَ".. فهذا القول مستوحى من الحديث النبوي:" لا تحلفوا بآبائكم، من حلف بالله فليصدق، ومن حُلِفَ له بالله فليرضَ، ومن لم يرضَ فليس من الله".

نلاحظ ممّا سبق أنّ الخطباء والكتّاب والمتناظرون استوحوا أفكارهم ومعانيهم من القرآن الكريم والحديث الشريف والتراث العربيّ، وكان هدفهم من هذا الاستيحاء دعم أقوالهم وحججهم بقصص القرآن الكريم أو التراث العربيّ، إضافة إلى جذب سامعيهم وتقوية حججهم.

---

[٣٦٣] – ابن أبي حديد، شرح نهج البلاغة، ١٠٥/٢.

[٣٦٤] – الطبري، **تاريخ الطبري**، ٥٥/٧.

المبحث الرابع: الاستهلال

المطلب الأول: تعريف الاستهلال

يأتي أصل الاستهلال من الفعل (هلَّ) الذي يدلّ على البداية والابتداء. يقال: هلَّ الشهر، أي ظهر هلاله، والهِلُّ (بكسر الهاء) تعني استهلال القمر، يقال: أتيته في هِلِّ الشهر أي استهلاله، وهلَّ السحاب المطر، وانهلَّ المطر انهلالاً، واستهلَّ الصبي بالبكاء إذا ارتفع صوته[٣٦٥].وفي الصرف استهلال من باب استفعال، وصيغة استفعال تدلُّ على التغيير والطلب والتحويل[٣٦٦].

أمَّا الاستهلال في الاصطلاح فقد عرَّفه النقاد القدامى بقولهم: " هو أن يبتدئ الشاعر أول شعره، والكاتب أول رسالته بلفظ بديع مصنوع، ومعنى لطيف مسموع، ويحترز من كلماتٍ يُتطيرُ بها أو يكون فيها ركاكة، فإن المطلع أول ما يقرع السمع، وربما تفاءل به الممدوح أو بعض الحاضرين"[٣٦٧].

وقد اهتم النُّقاد العرب به ونبَّهوا على أهميته في مطالع القصائد والخطب والرسائل، فهذا ابن الأثير يقول في افتتاح الخطبة:" خُصَّ الافتتاح بالاختيار، لأنه أولُ ما يطرق السمع من الكلام، ويجب أن يُراعى فيه سهولة اللفظ، وحجة السبك، ووضوح المعنى، وتجنب الحشو، ويجب أن يكون الافتتاح مرتبطاً مع الخطبة ببراعة

٣٦٥- ابن منظور، **لسان العرب**، مادة هلل.

٣٦٦- هاشم طه شلاش، **أوزان الفعل ومعانيها**، (مطبعة الآداب، النجف، ١٩٧١م)، ١٠٦.

٣٦٧ - أبو عبد الله محمد بن بكر الرازي، **روضة الفصاحة**، (تحقيق: خالد الجبر، دار وائل للنشر، ط١، ٢٠٠٥م) ١٥٤.

الاستهلال"[٣٦٨]

أمَّا ابن المقفَّع فيوصي أن يكون في الاستهلال إشارةٌ إلى مراد المتكلِّم: "وليكن في صدر كلامك دليل على حاجتك، كما أنَّ خير أبيات الشِّعر البيت الذي إذا سمعت صدره عرفت قافيته"[٣٦٩].

أما أحمد الهاشمي فيرى أنَّ " حسن الابتداء[٣٧٠] أو براعة المطلع[٣٧١] هو أن يجعل أول الكلام رقيقا وسهلاً، واضح المعاني، مستقلاً عمَّا بعده، مناسباً للمقام، بحيث يجذب السامع إلى الإصغاء بكليته، لأنه أول ما يقرع السمع وبه يُعرفُ ما عنده "[٣٧٢].

وقد ربط النقاد بين الاستهلال وبراعته ورأوا أن من براعة الاستهلال أن يكون بداية الكلام دالاً على مضمونه: " أن براعة الاستهلال هي أن يأتي الناظم أو الناثر في ابتداء كلامه بما يدل على مقصده منه، بالإشارة لا بالتصريح"[٣٧٣].

وقد وضع النقاد والباحثون العرب الأوائل، شروطاً موضوعيةً وجمالية لبراعة الاستهلال، أفاضوا في ذكرها، منها أن تكون ملائمة للذوق والعرف الاجتماعيين، فهذا أسامة بن منقذ يقول في باب المبادئ والمطالع: " قال بعضُ الكتَّاب: أحسنوا الابتداءات فإنها دلائل البيان، وقالوا ينبغي للشاعر أن يتحرر في ابتدائه مما يتطير منه، ويستحضر من الكلام خاصة في المدائح والتهاني"[٣٧٤].

---

٣٦٨ – ابن الأثير، **المثل السائر**، (تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ١٣٥٨هـ/ ١٩٣٩م). ١/ ٣٠٤.

٣٦٩– فان جيلدرن، **بدايات النظر في القصيدة**، (ترجمة عصام بهي، مجلة فصول، تراثنا النقدي)، ١٥.

٣٧٠ – حسن الابتداء أن يكون مطلع الابتداء أنيقاً بديعا لأنه أول ما يقرع السمع.

٣٧١ – المطلع هو بداية كل شيء من شعر ونثر وغيره.

٣٧٢ – أحمد الهاشمي، **جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب**، (أشرفت على تحقيقه وتصحيحه: لجنة من الجامعيين، مؤسسة المعارف، بيروت، د.ت) ٤٢٠.

٣٧٣ – ابن رشيق، **العمدة في محاسن الشِّعر وأدبه ونقده**، ٢/ ٢١٧.

٣٧٤ – أسامة ابن منقذ، **البديع في نقد الشِّعر**، (تح: محمد حمد الهاشمي، ط١٢– ١٩٦٠م)، ٢١٩.

وكذلك ما أشار إليه القرطاجنّي في شروط الجمل الاستهلالية من سهولة، وحسن مادةٍ، واستواء نسيج، ولطف انتقال:" لا يخلو الإبداع في المبادئ من أن يكوم راجعاً إلى ما يقع في الألفاظ من حسن مادةٍ، واستواء نسيجٍ، ولطف انتقالٍ، وتشاكل اقترانٍ، وإيجازِ عبارةٍ"[٣٧٥].

ومن المحدثين الذين أشاروا إلى جمالية الاستهلال ياسين نصير الذي يرى أن جمالية الاستهلال تكمن في الفاعلية الغامضة، التي تجعل المتلقّي متشوّقاً لما سيسمعه: "وإنّ أفضل البنى الاستهلالية على الإطلاق تلك التي تبتدئ بفاعلية غامضة، مع شيء من الإحساس بثقل الزمن، فمثل هذه البدايات تضع النص أمام امتحان ذاتي عسير"[٣٧٦].

وإذا ما نظرنا في كتب النقد العربي نلاحظ تعدّد أسماء الاستهلال، فمنهم من سماه الافتتاح[٣٧٧]، ومنهم من سماه المطلع[٣٧٨]. ومنهم من سماه الاستهلال.

وقد عدَّه النقاد القدامى من باب البلاغة العربية ومن أبواب المحسنات البديعية، إذ يرى ابن حجة الحموي أن علماء البديع اتفقوا على براعة المطلع، وذلك بقوله: "اعلم أنَّه اتفق علماء البديع على أنَّ براعة المطلع عبارة عن طلوعِ أهلَّةِ المعاني واضحةً في استهلالها"[٣٧٩].

كما أفرد ابن المعتز في كتابه "البديع" بابا تحت مسمى "حسن الابتداءات" وعدَّ الاستهلال من البديع[٣٨٠]. أما معجم البلاغة العربية فقد اعتبر الاستهلال من باب البلاغة العربية، وقد وضعه

---

٣٧٥ –القرطاجني، **منهج البلغاء**، ٣١٠.

٣٧٦ – ياسين نصي، **الاستهلال فن البدايات في النص الأدبي**، (دار نينوى – دمشق –٢٠٠٩ م)، ٣١.

٣٧٧ – ابن الأثير، **المثل السائر**، ٣٠٤.

٣٧٨ – الرازي، **روضة الفصاحة**، ١٥٤.

٣٧٩ – تقي الدين ابن حجة الحموي، خزانة **الأدب وغاية الأرب**، (دار القاموس الجديد، ط١، د.ت)، ٣.

٣٨٠ – عبد الله، البديع ابن المعتز، (تح: إغناطيوس كراتشفوكي، دار المسيرة، ط١، ١٩٨٢م) ٧٠.

تحت عنوان " براعة الاستهلال في النظم والنَّثر"[٣٨١].

نلاحظ ممّا سبق أنّ العرب اهتمّوا بالاستهلال سواء في الشِّعر أو في النَّثر، وربطوا بين الاستهلال وبراعته، ورأوا أنّ براعة الاستهلال يدلّ على مضمون القصيدة أو الخطبة في أغلب الأحيان. كما وضعوا شروطاً للجملة الاستهلاليّة كأن تكون ملائمة للذوق والعُرف الاجتماعيّين.

المطلب الثاني: وظيفة الاستهلال:

تتعدَّد وظائف الاستهلال حسب المناسبة التي يريدها الخطيب أو المرسل أو الشاعر ويرى ياسين نصير أنَّ للاستهلال وظيفتين[٣٨٢]: الأولى جذب انتباه القارئ أو السامع أو المشاهد وشدِّه إلى الموضوع: "الغرض من الإهابة بالسامع هو أن نجعله أحسن استعدادا نحونا، أو أن نثير حفيظته، وأحيانا لجذب انتباهه أو لصرفه"[٣٨٣]. وجذب انتباه السامعين يتم بمثيرات غير متداولة في الكلام العادي، إنما يجب أن تُقدَّم للمستمع بطريقة فنية مختلفة.

كما ينبغي للبدايات أن تكون سهلة واضحة، مناسبة للمقام الذي تُعرض من خلاله.

أما الوظيفة الثانية للاستهلال فهي: "إعطاء إشارات سهلة عما يريد المتكلم عرضه على جمهوره بطريقة سهلة وفيها غموض يستوجب التفسير بعد عرض الموضوع، وهذه الوظيفة تجعل المتلقي في حيرة وشوق لما سيتم عرضه عليه والحلول التي سيقدمها له المتكلم، وتستوجب هذه الوظيفة دقة من المتكلم وبراعة في ربط الأحداث، كما تستوجب أن يكون بارعاً في ربط فقرات الأحداث كي يجعل

---

٣٨١ – بدوي طبانة، **معجم البلاغة العربية**، (دار العلوم للطباعة والنشر، الرياض، ١٩٨٢ م)، ٨٥.

٣٨٢- ياسين نصير، **الاستهلال فن البدايات في النص الأدبي** ٣٣.

٣٨٣- ياسين نصير، **الاستهلال فن البدايات في النص الأدبي** ٣٣.

المتلقي مشدودا له"[٣٨٤].

وعلى الاستهلال أن يبين الغاية والوظيفة من البداية التي يبتدئ بها المتكلم والتي في النتيجة ستوصله إلى ما يريد طرحه من موضوع.

وعلى المتكلم أن يختار كلماته بعناية ودقة بحيث تنسجم مع بقية الكلام، فلا ينتقل من موضوع إلى آخر من دون الربط بين هذين الموضوعين بكلمات متوافقة معهما. يقول الجرجاني: " إن حسن التخلص هو الخروج مما ابتُدئ به الكلام إلى الغرض المقصود برابطة تجعل المعاني آخذة بعضُها برقاب بعض، بحيث لا يشعر السامع بالانتقال من نسيب إلى مدح، أو غيره، لشدة الالتئام والانسجام "[٣٨٥].

المطلب الثالث: أشكال الاستهلال

أولاً: الاستهلال في الخطابة:

من الأمور التي لازمت افتتاحيات الخطب البسملة والحمدلة والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، إلى أن نصل إلى عبارة أمَّا بعد التي غالباً ما تكون الفيصل بين الاستهلال وعرض الخطبة.

وقد خلت خطبة واحدة من هذه العبارات وسميت الخطبة البتراء، وهي خطبة زياد ابن أبيه المشهورة.

وإذا ما نظرنا إلى كتب الاختيارات التي وصلتنا نجد أنَّ أغلب الخطب قد جاءت مبتورة من استهلالاتها، ويُعتقد أن هذا بفعل النُّساخ أو الرواة؛ حيث اعتادوا على كتابة عبارة: حمدَ اللهَ وأثنى

---

٣٨٤ – ياسين نصير، **الاستهلال فن البدايات في النص الأدبي**، ص. ٣٥.

٣٨٥ – أحمد الهاشمي، جواهر **الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب**، (أشرفت على تحقيقه وتصحيحه: لجنة من الجامعيين، مؤسسة المعارف، بيروت)، ٤٢٠ ٣٨٥

عليه.

أمَّا الخطب التي جاءت غير منقوصة الاستهلال فقد تنوعَّت فيها الاستهلالات تبعاً لموضوع الخطبة من جهة، وللخطيب من جهة أخرى، فمنهم من استهلَّ خطبته بحمد الله والثناء عليه والصلاة على النبي الكريم، ومنهم من استهلَّ خطبته بالقرآن الكريم، ومنهم من استهلَّ خطبته بالشعر، أو بحديث نبوي، أو بمثلٍ إلى ما هنالك من استهلالات، ومنهم من ضمَّن استهلاله من القرآن الكريم.

١-الاستهلال بالحمدلة

وقد جاءت هذه الصيغة كثيرا في الخطب، بل تكاد لا تخلو خطبة منها، ويُعتقد أن جميع الخطب كانت مبدوءةً بهذه الصيغة، وسقوطها جاء بفعل النُّساخ كما أسلفنا، واللافت أن ما بعد هذه الصيغة يعطي أحياناً إشارة إلى مضمون الخطبة، وهذا ما يسمى ببراعة الاستهلال، حيث يقوم الخطيب بتضمين استهلاله عباراتٌ تدل على مضمون خطبته، من هذا ما جاء في خطبة عبد الملك بن مروان:" الحمد لله، ألا إنَّ الدنيا دار غرورٍ، ومنزل باطلٍ، تُضحكُ باكياً، وتبكي ضاحكاً"[٣٨٦].

فقد أتبعَ مروان جملة الحمد بمواعظ عن غدر الدنيا، وعدم استقرارها على وضع واحدٍ، ومن يقرأ خطبته يلاحظ أنها في الوعظ وذم الدنيا.

ومنهم من اقتبس من القرآن الكريم في استهلاله، كما فعل عبدالله بن جعفر:" الحمد لله أهل الحمد ومنتهاه، نحمده على إلهامنا حمده، ونرغب إليه في تأدية حقه، وأشهد أن لا إله إلا الله واحدا صمدا، لم يتخذ صاحبةً ولا ولداً، وأن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم، أما

٣٨٦ - الجاحظ، **البيان والتبيين**، ١٦٦/١.

بعد:" [٣٨٧]. فقد اقتبس في استهلاله من الآية الكريمة: وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا [الجن: ٣].

وأحيانا نرى أن الخطيب يبدأ بعبارة أما بعد، ثم يأتي التحميد بعدها، كما جاء في قول معاوية:" أمَّا بعد، فالحمد لله ولي النعم، ومنزل النقم، وأشهد أن لا إله إلا الله المتعالي عمَّا يقول الملحدون علوًّا كبيراً، وأنَّ محمداً عبده المختصُّ المبعوث إلى الجنّ والإنس كافة، لينذرهم بقرآنٍ: لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ تَنزِيلٞ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٖ [فصلت: ٤٢] "[٣٨٨].فقد بدا معاوية بعبارة أمَّا بعد، ثم تلاها بالحمدلة والثناء والصلاة على النبي، ثم اقتبس من القرآن الكريم.

٢-الاستهلال بالقرآن الكريم:

ومنهم من استهل خطبته بالقرآن الكريم، كما جاء في استهلال خطبة الحجاج بن يوسف حين خطب بأهل البصرة، فقد بدأ مباشرة بـ قال تعالى: فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ [التغابن: ١٦]، فهذه لله، وفيها مثوبة، وقال: وَٱسۡمَعُواْ وَأَطِيعُواْ [التغابن: ١٦]، وهذه لعبد الله، وخليفة الله، وحبيب الله"[٣٨٩]. نرى أن الحجاج قد وضع كلامه بين كلمات الآية، وأراد بذلك أن يقول للمستمعين أنَّ طاعة أمير المؤمنين والسمع له من تقوى الله.

٣-الاستهلال بحديث نبوي شريف:

كما استهلَّ بعض الخطباء خطبهم بالحديث النبوي الشريف، أو بمضمونه، ومن الاستهلالات

---

٣٨٧ - ابن قتيبة،عيون الأخبار، ٢/٢١٠.

٣٨٨ - الجاحظ، **البيان والتبيين**، ١/١٦٤.

٣٨٩ - ابن عبد ربه، **العقد الفريد**، ٢/١٥٢.

بالحديث النبوي استهلال الحسين بن علي رضي الله عنه خطبة له بقوله: "أيها الناس، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "مَن رأى سلطاناً جائراً مُسْتَحِلاً لحُرِم الله، ناكثاً لعهد الله، مخالفاً لسنة رسول الله، يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان، فلم يغيِّر عليه بفعل أو قول، كان حقاً على الله أن يدخله مُدْخلَه "، ألا إن هؤلاء قد لزموا طاعة الشيطان، وتركوا طاعة الرحمن، وأظهروا الفساد، وعَطَّلوا الحدود"[٣٩٠]. وفي هذا إشارة إلى يزيد بن معاوية الذي تولى الخلافة بعد موت أبيه، وقد أراد الحسين الحديث المذكور أعلاه أن يبين عدم أحقية يزيد في خلافة المسلمين، وأنه ينطبق عليه ما ذكره الرسول صلى الله وسلَّم في حديثه من استباحة لحرمة المسلمين، مخالفاً لسنة الرسول صلى الله عليه وسلم في ولاية الأمر.

كما استهلَّ بعض الخطباء خطبهم بمعنى الحديث، كما ورد عن عبد الله بن يزيد في خطبته التي يقول فيها: "إن المسلم أخو المسلم، لا يخونه ولا يغشه، وأنتم إخواننا"[٣٩١].

٤-الاستهلال ببيت شعر:

ومن أشكال هذه الاستهلالات افتتاح الخطبة ببيت من الشِّعر، ومن أشهر الخطب التي استُهلّت ببيت من الشِّعر ما فعله الكميت بن زيد الأسدي عندما جاء ليتصالح مع هشام بن عبد الملك بن مروان الذي أهدر دمه، وقبل أن يذهب إلى هشام بن عبد الملك ذهب إلى أخيه مسلمة بن عبد الملك ليساعده في الصلح، فدخل على مسلمة وقال له السلام عليك ورحمة الله وبركاته وبعد:

قف بالدِّيار وقوف زائر وتأنَّ إنَّك غير صاغر

يا مسلم بن أبي الوليد لميِّتٌ إن شئت ناشر[٣٩٢]

---

٣٩٠ – الطبري، تاريخ الطبري، ١٠٣/٥.

٣٩١ – ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٣/ ٢٦٣

٣٩٢ – ابن عبد ربه، العقد **الفريد**، ١٥٤/١.

ثم أكمل خطبته بين يدي مسلمة، وقد أراد بهذا الشعر أن يقول لمسلمة إني قادمٌ إليك ولو كانت النتيجة موتي بين يديك.

٥-الاستهلال بمثل:

كما استهلَّ الخطباء خطبهم بالأمثال، كما فعل معاوية بن أبي سفيان عندما ولَّى المغيرة بن شعبة الكوفة، فخطب قائلاً: " فإنَّ لذي الحلم قبل اليومِ ما تُقرعُ العصا "[٣٩٣]، وهذا مثلٌ مأخوذ من بيت للمتلمس الضبعي يقول فيه:

لذي الحلم قبل اليوم ما تُقرعُ العصا وما عُلِّمَ الإنسانُ إلا ليَعلما [٣٩٤]

ويضرب هذا المثل لمن إذا نُبّه إلى أمر بطريقة غير مباشرة انتبه، وذلك كما يُراد حينما تُقرع العصا على الأرض لتنبيه متكلّم ما بطريقة غير مباشرة إلى أنّ في حديثه خطأ ما فينتبه إليه ويعدّله.

وقد استهلَّ معاوية بن أبي سفيان آخر خطبة له بمثلٍ، حيث يقول: " أيها الناس، إني من زَرْعٍ قد استُحْصِدَ، وقد طالت عليكم ولايتي، حتى مللتكم ومللتموني"[٣٩٥].

ومنهم من استهل خطبته بحكمة، كما جاء في خطبة الأحنف بن قيس:" إنَّ الكرمَ يمنع الحُرم، ما أقرب النقمة من أهل البغي، لا خير في لذَّةٍ تُعْقِبُ ندماً، لن يهلِكَ من قصد، ولن يفتقرَ من زَهُدَ"[٣٩٦].

مما سبق نجد أن استهلالات الخطباء جاءت متشابهة في كثير من الأحيان بالبسملة والحمدلة والثناء والصلاة على النبي، وقد برع بعضهم في استهلاله من خلال توظيف عبارات تدلُّ على مضمون

---

٣٩٣ – المصدر السابق نفسه، ج٦: ١٤١.

٣٩٤ – أحمد بن محمّد بن أحمد بن إبراهيم الميدانيّ أبو الفضل، **مجمع الأمثال**، (تح: محمّد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة عيسى البابي الحلبيّ وشركاه، القاهرة، د.ت)، ١/ ٦٥ .

٣٩٥ – ابن الأثير، **الكامل في التاريخ**، ١٩/٣.

٣٩٦ – أبو علي القالي، **الأمالي**، ٢٢/٢.

خطبته أما التنوع في الاستهلال فقد جاء حسب ثقافة الخطيب وطريقة لفت انتباه سامعيه، وقد استخدموا في ذلك استهلالات متنوعة رصدنا منها الاستهلال بالقرآن أو الحديث أو الشعر، ونضيف إلى ذلك ضياع الكثير من الاستهلالات.

ثانيا: الاستهلال في الرسائل:

لقد تنوَّع الاستهلال في الرسائل الأدبية والديوانية والسياسية في العصر الأموي تبعاً لكلٍّ من موضوع الرسالة، والمرسل، والمرسَل إليه، ونستطيع أن نضيف إلى هذه العناصر الثلاثة أيضا الموضوع الذي تحتويه الرسالة، لكنَّ المتفق عليه في أغلب الرسائل هو البداية المعروفة في الرسائل الأدبية والسياسية والديوانية وهو البسملة، ثم حمد الله، ثم الثناء على رسول الله والصلاة والسلام عليه، وتعدّ هذه المقدمة من الأجزاء الأساسية في الرسائل. يلحق هذه العبارات عبارة (أمّا بعد)، وهذا الغالب، أو بـ(أمّا بعد فإنّي)، أو بـ(أمّا بعدُ فقد).

وقد وصلت إلينا بعض الرسائل مفتتحة بكلمة (وبعدُ) واقترن الجواب أيضا بالفاء، وقليل من الرسائل جاء مفتتحا بغير (أمَّا بعد) و(وبعد)، فنرى الكُتَّاب قد افتتحوا رسائلهم مباشرة بما يريدون. ولا يمكن أن نعتبر مثل هذه الرسائل كاملةً، وكلُّ الظنِّ أنها مقطوعة الاستهلال، وكذلك فقد ضاع منها الكثير مثل التاريخ في أعلى الرسالة، وربما اسم المرسل، والمرسَل إليه، وبعض الإضافات، وكلُّ هذا قد حصل بعمل الرواة والنُّساخ. ومن أشكال الاستهلالات التي وجدناها الآتي:

١-الاستهلال ببيان المرسِل والمرسَل إليه

قدد يستهل المرسل رسالته ببيانه من اسم وغيره، يضيف إليه الشخص المرسل إليه، ثم يضيف

على ذلك السلام والحمدلة، ثم تأتي عبارة أمَّا بعد وعرض الرسالة، كما في رسالة خالد بن عبد الله بن أسيد إلى الرافضين من الجند بعد سماعهم بموت بشر بن مروان واستلام خالد بن عبدالله بعده قيادة الجيش لحرب الخوارج: " من خالد بن عبدالله إلى من بلغه كتابي هذا من المؤمنين والمسلمين، سلامٌ عليكم، فإني أحمد الله الذي لا إله إلا هو، أمَا بعدُ: فإن الله كتب على عباده الجهاد"[٣٩٧].

نرى أن المرسل قدم عبارات غير ذكر الله وحمده، وهي ذكر نفسه والذين سيستلمون كتابه من المسلمين والمؤمنين.

كذلك فعل سليمان ابن صرد حيث استهلَّ رسالته بالبسملة وبيانه وبيان المرسل إليه: "بسم الله الرحمن الرحيم، من سليمان بن صُرد إلى سعد بن حذيفة بن اليمان ومن قبله من المؤمنين، السلام عليكم، أمَّا بعد"[٣٩٨].

ومن الشواهد على هذا النوع من الاستهلالات رسالة زياد ابن أبيه إلى الحسن ابن علي رضي الله عنه التي يقول فيها: "من زياد بن أبي سفيان إلى الحسن بن فاطمة، فقد أتاني كتابك تبدأ فيه بنفسك وأنت طالب حاجة، وأنا سلطان، وأنت سَوقةٌ، (رعيَّةٌ) "[٣٩٩]، فقد نسب زياد نفسه إلى أبي سفيان مفتخرا بنسبه الأبوي، ونسب الحسين إلى أمِّه فاطمة مقللاً من شأنه، وقد عدَّ هذه إهانة للحسن، كما طالبه بأن يضع اسمه (زياد) قبل اسم الحسن، وبرَّر ذلك بأنه السلطان والحسن صاحب الحاجة كما استخدم لفظة (سوقة) وهي لفظة مهينة بحق الحسن.

هذه الألفاظ ساقها زياد ليقلِّل من شأن الحسن، وليعرِّفهُ أنه ينسب لأمه شهرة ومعرفة وذلك لأنها ابنة الرسول صلى الله عليه وسلَّم.

---

٣٩٧ – الطبري، **تاريخ الطبري**،٧/ ٢٠٨.

٣٩٨ – الطبري، **تاريخ الطبري**، ٤٩/٧.

٣٩٩ – ابن عبد ربه، **العقد الفريد**، ٣/ ٥.

وقد ردَّ عليه الحسن رضي الله عنه ردّاً مختصرا مقتضبا حمل فيه إجابات كافية لزياد ولأمه ولأبيه، وذلك بقوله: "من الحسن بن فاطمة إلى زياد بن سميَّة، أمّا بعدُ: فإنَّ الرسولَ صلَّى الله عليه وسلَّم قالَ: « الولدُ للفراشِ، وللعاهر الحَجَرُ والسلام»"[٤٠٠].

فقد استهلَّ الحسن رسالته بتذكير زياد بأنه ينسبُ لسميةَ وليس لأبي سفيان، ودلَّلَ على ذلك بحديث الرسول صلى الله عليه وسلم بأن ابن الزنى لا ينسب لأبيه ولا حقَّ له في النسب، وأثبت الحسن في رسالته أنه ابن فاطمة إشارة إلى صفاء نسبه وعودته للرسول صلى الله عليه وسلَّم.

٢–الاستهلال بتقديم اسم المُرسَل إليه على المُرسِل

وقد ورد هذا النوع من الاستهلال في رسالة زياد ابن أبيه إلى معاوية، وقد قدَّم اسم معاوية (المرسَل إليه) على زياد(المرسِل) وقد وضع له أوصافاً مثل عبد الله وأمير المؤمنين:" بسم الله الرحمن الرحيم: لعبد الله معاوية أمير المؤمنين، من زياد بن أبي سفيان: أمَّا بعد"[٤٠١].

وكذلك في رسالة سليمان بن صرد إلى الحسين بن علي رضي الله عنه:" بسم الله الرحمن الرحيم: لحسين بن علي من سليمان بن صرد، والمسيب بن نجبة، ورفاعة ابن شداد، وحبيب بن مظاهر، وشيعته من المسلمين من أهل الكوفة، سلام عليك، فإنا نحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو، أمَّا بعد"[٤٠٢].نجد في هذه الرسالة أن المرسلين مجموعة من أهل الكوفة، وقد رد الحسين رضي الله عنه من الحسين بن علي إلى الملأ من المؤمنين والمسلمين، وقد ورد هذه الشكل من الاستهلال في رسائل الحسين وأهل الكوفة بشكل كبير.

٣–الاستهلال ببيان المرسَل إليه دون بيان المرسِل

---

٤٠٠ – ابن عبد ربه، **العقد الفريد**، ٣/ ٥.

٤٠١ – الطبري، **تاريخ الطبري**، ١٥٠/٦.

٤٠٢ – ابن الأثير، **الكامل في التاريخ**، ٨/٤.

البسملة وعبارة إلى فلان دون ذكر اسمه (اسم المرسل)، كما في ردِّ سعد بن حذيفة على سليمان بن صرد، " بسم الله الرحمن الرحيم، إلى سليمان بن صرد، ومن قبله المؤمنين، سلام عليكم"[٤٠٣].

٤-الاستهلال بالبسملة دون بيان المرسِل والمرسَل إليه

نرى ذلك من خلال رسالة المهلَّب بن أبي صفرة إلى الحارث بن عبد الله،" بسم الله الرحمن الرحيم، أمَّا بعد: فإنَّا لقينا الأزارقة المارقة...."[٤٠٤]. فقد بدأ رسالته بعبارة (أمَّا بعد)، بعد البسملة مباشرة.

٥-الاستهلال بالبسملة ثم الشعر

البسملة ثم الابتداء بأبيات من الشعر كما ورد في رسالة نصر بن سيَّار إلى يزيد بن عمر بن هبيرة يحذِّره من تعاظم شأن أبي مسلم الخراساني حيث قال:

أبلِغْ يزيدَ وخيرُ القولِ أصْدقُهُ وقد تبيَّنتُ أن لا خيرَ في الكذبِ

بأنَّ أرض خراسانَ رأيتُ بها بَيْضَاً لو أُفْرِخَ قد حُدِّثْتَ بالعجبِ [٤٠٥]

٦-الاستهلال بالبسملة ثم استشهاد بآية من القرآن الكريم

كما جاء في رسالة عمر بن عبد العزيز إلى يحيى بن يحيى: فإنِّي ذكرتُ آيةً من كتاب الله: "لا تعتدوا إنَّ الله لا يحبُّ المعتدين "[٤٠٦]، فقد استشهد بجزء من قوله تعالى: وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ [البقرة: ١٩٠]

---

[٤٠٣] – الطبري، **تاريخ الطبري**، ٥١/٧.

[٤٠٤] – المبرِّد، **الكامل في الأدب**، ١٩٥/٢.

[٤٠٥] – الطبري، **تاريخ الطبري**، ٩٢/٩.

[٤٠٦] – ابن الجوزي، **سيرة عمر بن عبد العزيز**، ٧٨.

٧–الاستهلال بالبسملة ثم الدعاء للمرَسَلِ إليه

كما ورد في رسالة الحجَّاج إلى عبد الملك بن مروان: بسم الله الرحمن الرحيم، أصلح الله الأمير وأبقاه، وسهَّل حظَّهُ وحاطه ..."[٤٠٧].

٨–الاستهلال بالبسملة واقتباس من القرآن الكريم

كما ورد في رسالة نافع بن الأزرق إلى أهل البصرة:" بسم الله الرحمن الرحيم، فإنَّ الله اصطفى لكم الدِّينَ فلا تموتنَّ إلا وأنتم مسلمون ووالله إنكم لتعلمون أنَّ الشريعة واحدة"[٤٠٨]. فقد اقتبس بداية رسالته من قوله تعالى: ﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبۡرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعۡقُوبُ يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٢]

تعتبر هذه أشهر نماذج الاستهلال، إضافة إلى نماذج كثيرة لا يمكن حصرها تحت عناوين محددة، ويمكن القول إنَّ السببَ في تنوُّع الافتتاح في الرسائل، وعدم ورودها على شكل واحد يعود إلى طبيعة المرسل أو المرْسل إليه.

مظاهر الاستهلال في الرسائل

ويتجلَّى استهلال الرسائل في العصر الأموي في مظهرين:

أولهما هادئ يوحي بمضمونٍ هادئٍ للرسالة، والثاني انفعاليٌّ يوحي بأمرٍ عظيم يأتي في الرسالة بعده.

أ- الاستهلال الهادىء

نجده في الرسائل الوعظية التي كان يرسلها العلماء إلى الخلفاء أو قواد الجيش أو الأمراء كرسالة

---

[٤٠٧] – ابن عبد ربه، **العقد الفريد**، ١٤/٣.

[٤٠٨] – المبرد، **الكامل في الأدب**، ١٧٩/٢.

الحسن البصري إلى عمر بن عبد العزيز التي يقول فيها: "أما بعد- يا أمير المؤمنين- فإن الدنيا دار ظعن وانتقال، وليست بدار إقامة على حال، وإنما أُنزلَ إليها آدمُ عقوبةً"[٤٠٩]، فقد فصل بين عبارة (أما بعد) وعرض الرسالة بعبارة " يا أمير المؤمنين "، وهي عبارة تدل على الودِّ بينهم والتوسل له، وأردف عليها بالحكمة من الحياة الدنيا وأنها دار امتحان وليست بدار بقاء، وقد كان وقعها على قلب عمر كبيراً حين ردَّ عليه بأنه فهم مواعظه وأدركها "وصلت مواعظك النافعة فاشتفيت بها "[٤١٠].

كما نرى مثل هذا الاستهلال في كتب عمر بن عبد العزيز إلى عماله، يعظهم وينصحهم ويذكرهم بيوم القيامة في مثل كتابه إلى عبد الرحمن بن نعيم عامله على خراسان: " أما بعد، فكنْ عبدا ناصحا لله في عباده، ولا تأخذك في الله لومة لائم، فإنَّ الله أولى بك من الناس، وحقه عليك أعظم".[٤١١]

وكذلك كتابه إلى أحد ولاته الذين جاءته شكاية عليه: "يا أخي أذكِّرك طول سهر أهل النار مع خلود الأبد، وإياك أن ينصرف بك من عند الله، فيكون آخر العهد وانقطاع الرجاء "[٤١٢]، فقد استهل رسالته بالتلطُّفِ والهدوء وذلك بقوله "يا أخي" ثمَّ بذكر خلود أهل النار فيها، ونهيه عمَّا يقوم به، وخشي عليه الانتقال إلى الدار الآخرة وهو فيما هو عليه من ظلم، فيُقذف في النار ويُخَلَّد فيها.

ومن الملاحظ أنَّ هذا النوع من الرسائل قد ازدهر في عهد الخليفة عمر بن عبد العزيز لما كان يتَّصف به من تقوى وإيمان وزهد في الدنيا، وكذلك في طريقة حكمه الذي اعتمد على التقشف والرجوع إلى الله في كل أمور الدنيا، مما شجع الكتاب والوعاظ، كالحسن البصري وغيره، على الكتابة له.

---

٤٠٩ - بن الجوزي، **مناقب عمر بن عبد العزيز**، ٦٨.

٤١٠ - ابن الجوزي، آداب **الحسن البصري ومواعظه**، ٥٥.

٤١١ - الطبري، **تاريخ الطبري**، ٨/ ١٣٥.

٤١٢- ابن الجوزي، **مناقب عمر بن عبد العزيز**، ١٩٠.

ب– الاستهلال الانفعالي: فغالباً ما يكون في الموضوعات الحماسيّة كالتحريض على الحروب ووأد الفتن وما أشبهها من موضوعات، ونراه بين الخليفة وقواد جيشه من جهة أو بين أمراء المناطق وقواد الجيش من جهة أخرى.

وعادة ما تتسم هذه الرسائل مع استهلالاتها بالقوة والعنف والتقريع والحض على القتال وتجهيز الجيوش، وقد ورد مثل هذه الاستهلالات بين الحجاج وقطري بن الفجاءة، حيث نرى أن العداء والعنف ظاهرٌ من الكلمات الأولى للرسالة، من ذلك قول الحجاج:" من الحجاج بن يوسف إلى قطري بن الفجاءة، سلامٌ عليك، المَوَحَّدُ اللهُ، والمصلَّى عليه محمد عليه السلام، أما بعد فإنك كنت أعرابياً بدويا تستطعم الكسرة"[٤١٣].

وكان ردُّ قطري بنفس الطريقة، فقد حملَ استهلاله سخريةً من الحجاج:" من قطري بن الفجاءة إلى الحجاج بن يوسف، سلامٌ على من اتَّبع الهدى، ذكرت في كتابك أني بدويٌّ أستطعم الكسرة، وبالله لقد قلت زوراً"[٤١٤].

ويتغير الاستهلال بتغيُّرِ موضوع الرسالة، وكذلك العلاقة بين المرسِل والمرسَلِ إليه، ففي رسائل الودِّ والوعظ والمناصحة نجد استهلالات رقيقة تدل على الإخلاص والوفاء والمدح والاستعطاف، وعادة تكون هذه الرسائل بين الأصدقاء أو من الجنود إلى القادة، فهذا كتاب أرسله نجدة بن عامر[٤١٥] إلى قائده نافع بن الأزرق[٤١٦] يقول فيه:" فإنَّ عهدي بك وأنت لليتيم كالأب الرحيم، وللضعيف كالأخ

---

٤١٣ – المبرد، **الكامل في الأدب**، ١/١٨٠.

٤١٤ – نفس المصدر والصفحة.

٤١٥ – نجدة بن عامر قائد عسكري من الخوارج، حكم أرض اليمامة وقتل سنة ٧٣هـ.
ينظر: **الكامل في التاريخ**، ٣/ ٢٧٠.

٤١٦ – هو نافع بن الأزرق بن قيس الحنفي، رأس الأزارقة، من الخوارج، كان أمير قومه وفقيههم، صحب عبدالله بن عباس في أول أمره وروى عنه، قُتل في حربه مع المهلب بن أبي صفرة يوم دولاب قرب الأحواز سنة ٦٤ هـ، ينظر: **تاريخ الطبري**، ٥/٩٤.

البرّ، ولا تأخذك في الله لومة لائم"[٤١٧]. هنا نجد الهدوء والسكينة والكلمات الرقيقة التي تشبه المواعظ والحكم إضافة إلى الثناء على القائد ومدحه.

وكذلك في كتاب المختار بن أبي عبيدة الثقفي[٤١٨] إلى عبد الله بن الزبير، الذي يقول فيه: " فقد عرفتَ مناصحتي إياك، وجهدي على أهل عداوتك، وما كنت أعطيتني- إذ أنا فعلت ذلك- من نفسك[٤١٩]"، ونلاحظ أيضاً السكينة والطمأنينة والألفاظ التي تدل على الودِّ بين طرفي الرسالة.

وإذا بحثنا عن أسلوب مغاير لكل ما تقدَّم من الرسائل والاستهلالات فسنجده في رسائل عبد الحميد الكاتب إذ يُجمع النقاد على أن الرسائل الفنيّة بدأت تتبلور بشكلها الفني بظهور عبد الحميد الكاتب الذي كان يستخدم الألفاظ على حسب ما تقتضيه رِتبُ الخطاب والمخاطبين، وتوجيه الأحوال المتغايرة، والأوقات المختلفة، ليكون كلامه مشاكلا لكل منهما.

وقد كان أسلوبه يتَّسم بالألفاظ المتينة الجزلة، ويرى بعضهم: " أن ذلك يعود إلى خبرته في فنون النَّثر اليوناني والفارسي، فهو في رسائله يعتمد بشدة على الحال، وهو ما يكثر دورانه في النَّثر الفني اليوناني، مستعينا أيضا بجزالة النَّثر الفارسي الذي استقاه من ابن المقفع"[٤٢٠].

وقد اختلف الاستهلال عند عبد الحميد الكاتب عن سابقيه من كتَّاب الدواوين والعسكر والخلفاء والأمراء، ونرى الاستهلال عنده يتَّسم بالهدوء والصنعة والحكمة والموعظة، وقد كان يكتب رسائله باسم الخليفة، ويزينها بفنون البلاغة:" أطال الله بقاء أمير المؤمنين مؤيَّداً بالعزِّ، مخصوماً بالكرامةِ،

---

٤١٧ – المبرد، الكامل في التاريخ، ١٧٧/٢.

٤١٨ –المختار بن عبيدة الثقفي ولد في الطائف سنة ١ للهجرة، استعمله عمر بن الخطاب في جيش العراق، كان فصيحا وبليغا، طالبَ بدم الحسين بن علي رضي الله عنه، وقتل الكثير من الذين كانوا في المعركة، قُتل في الكوفة سنة ٦٧ للهجرة.
يُنظر: الذهبي، **محمد بن أحمد، سير أعلام النبلاء**، (طبعة بيت الأفكار)، ٥٤٠.

٤٢٠ – علي حب الله، **المقدمة في النَّثر العربي**، (دار الهادي، ٢٠٠١م)، ٨٩-٨٨

ممتَّعاً بالنعمة"[٤٢١].

فإذا تتبعنا هذا الاستهلال نلاحظ التوازن في الجمل والمفردات، والدِّقة في اختيار المفردة، والتناسق بين الجملِ. كما نلاحظ غزارة الألفاظ وحسن الصنعة، وبديع القول.

ثالثاً: الاستهلال في المناظرة

من خلال المناظرات التي اطلعنا عليها من العصر الأموي فإننا لم نجد صيغةً محددة استخدمها المتناظرون في بداية مناظراتهم، وربما يعود السبب في ذلك إلى طبيعة المناظرة التي تعتمد على معطيات غير معطيات الرسالة والخطابة، فقد تكون المناظرة فجأة من غير موعد ولا تحضير، وقد تكون حذفت منها الاستهلالات بفعل الرواة.

وإن وجدنا بعض هذه الاستهلالات فإنها لا تختلف كثيرا عن الاستهلال في الخطابة والرسائل، فقد كان المتناظرون يبدؤون كلامهم بالبسملة والحمدلة والثناء والصلاة على النبي الكريم، من ذلك ماورد في المناظرة بين الحسن بن علي وبعض جماعة معاوية: " حمد الله وأثنى عليه، وصلى على الرسول، ثم قال: أما بعد يا معاوية".

وأحيانا نجد الاستهلال في المناظرة يكون على شكل سؤالٍ كما جاء في المناظرة بين معاوية وابن عباس، حيث قال معاوية:" إني أريد أن أسألك عن مسائل، فردَّ ابن عباس: سل عمَّا بدا لك"[٤٢٢].

وعليه نستطيع أن نقول: إن الاستهلال في المناظرة لم يكن عنصراً بارزا.

---

٤٢١ – ابن طيفور، **اختيار المنظوم والمنثور**، ٢٢٤/١٢.

٤٢٢ – المسعودي، **مروج الذهب**، ١٠٢/٢.

ورأينا من خلال الدراسة أنّ الاستهلال في كلّ من الخطابة والرسائل يتشابه أحياناً ويختلف أحياناً أخرى. ففي الخطابة يكون الخطيب مواجهاً لجمهوره ممّا يجعله أكثر تفاعلاً معهم، أمّا في الرسائل فيكون المرسل بعيداً عن القارئ ولديه الوقت الكافي ليزيّن استهلاله.

أمّا من حيث أشكال الاستهلال فتكاد تكون متطابقة في كلّ من الرسائل والخطابة من بسملة وحمدلة وثناء ودعاء وصلاة على النبي.

أمَّا الاستهلال في المناظرة فلم يكن واضحا، ولم نجد له صيغةً محددة، والذي وجدناه يتطابق مع استهلال الخطابة والرسائل.

المبحث الخامس: السَّجْع

يُعتبرُ السجع من المحسنات البديعية التي اعتمد عليها الخطباء في خطبهم وكُتاب الرسائل في رسائلهم، والسجع يساعد في الجانب الموسيقي عند الخطيب، ويرى زكي مبارك أن: " السجع من مميزات البلاغة الفطرية، فهو في أكثر اللغات يجري باطِّراد في الحكم والأمثال والنثر بشكل عام"[٤٢٣]. وقد اعتمد العرب من العصر الجاهلي على السجع في خطبهم كخطبة قس بن ساعدة[٤٢٤]. وفي هذه الفقرة سنبين أهمية السجع في النثر الفني في العصر الأموي مع أمثلة من الخطب والرسائل.

أ- تعريف السجع:

٤٢٣ -مبارك، زكي، **النثر الفني في القرن الرابع**، ٧٦.

٤٢٤ -القلقشندى، **صبح الأعشى**، ٢٢٤/١.

جاء في لسان العرب: سَجَعَ يسْجَعُ سَجْعاً، استوى واستقام، وأشبه بعضه بعضا، والسجع الكلام المقفى، والجمع أسجاع وأساجيع.

وسَجَّعَ تسجيعاً: تكلَّمَ بكلام له فواصل كفواصل الشِّعر[٤٢٥].

أما السجع في الاصطلاح فهو توافق الفاصلتين في الحرف الأخير من الكلام المنثور. يقول ابن سنان الخفاجي: " كما أن الشِّعر يحْسُن بتساوي قوافيه، كذلك النَّثر يحسن بتماثل الحروف في فصوله "[٤٢٦].

وقد قسَّم العلماء السجع إلى أقسام حسب الطول والقصر من جهة وحسب الروي والوزن من جهة أخرى. ومن جُمل السجع القصيرة قول أعرابي: نزلتَ بوادٍ غير ممطور، وفِناء غير معمور، ورجل غير ميسور، فأقم بندم، وارتحل بعدم. فقد توافقت الجمل الثلاثة بالحرف الأخير وهو الراء، وتوافقت الجملتان الأخيرتان بالحرف الأخير وهو الميم.

أما السجع الطويل نجده في قوله تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَٰهَا مِنْهُ إِنَّهُۥ لَيَـُٔوسٌ كَفُورٌ ٩ وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ نَعْمَآءَ بَعْدَ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ ٱلسَّيِّـَٔاتُ عَنِّىٓ إِنَّهُۥ لَفَرِحٌ فَخُورٌ﴾ [هود: ٩-١٠]. فقد توافقت الفاصلتان على حرف الراء والجملتان طويلتان.

ومن حيث الرَّوي والوزن فهو على ثلاثة أقسام:

السجع المطرَّف: هو ما اختلفت فاصلتاه في الوزن، واتفقتا في الحرف الأخير،[٤٢٧] ". كقوله

---

٤٢٥ – ابن منظور، **لسان العرب** – مادة سجع.

٤٢٦ – ابن سنان الخفاجي: **سر الفصاحة**، (تح: علي فودَه، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط١، ١٩٣٢م). ١٤٦.

٤٢٧ – فخر الدين الرازي، **نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز**، (تح: نصر الله حاجي مفتي أوغلى، دار صادر، بيروت،٢٠٠٤م)، ٦٩.

تعالى: مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ١٣ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا [نوح: ١٣-١٤].

السجع المرصَّع: وهو ما اتفقت فيه ألفاظ القرينتين في الوزن والتقفية[٤٢٨]، كقولهم: إنَّ بعد الكّدَرِ صفواً، وبعد المطر صحواً.

السجع المتوازي: وهو ماانفقت فيه الفاصلتان وزنا وتقفيةً[٤٢٩]، كقوله تعالى: فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ١٣ وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ [الغاشية: ١٣-١٤].

ومن فوائد السجع في الكلام المنثور إضفاء جَرْسٍ موسيقيٍّ بين فواصل الكلام المنثور، وإثارة انتباه المستمع، وتأثيره النفسي في السامعين، حيث يستهوي الألباب.

المطلب الأول: السجع في التراث العربي

يتفق العلماء جميعاً على وجود السجع في التراث النقدي العربي منذ العصر الجاهلي، ويتفق النقاد على وجوده في خطاباتهم وسجع كهَّانهم، ولكن الاختلاف على وجوده في القرآن الكريم، ومن العلماء الذين رفضوا القول بوقوع السجع في القرآن الباقلاني حيث يقول: "والذي يقدرونه أنه سجع فهو وهم، لأنه قد يكون الكلام على مثال السجع، وإن لم يكن سجعا، لأن ما يكون به الكلام سجعا يختص ببعض الوجوه دون بعض، لأن السجع من الكلام يتبع المعنى فيه اللفظ الذي يؤدي السجع، وليس كذلك ما اتفق مما هو في تقدير السجع من القرآن لأن اللفظ يقع فيه تابعا للمعنى"[٤٣٠].

---

٤٢٨ – المصدر السابق، ٦٩.

٤٢٩ – المصدر السابق، ٦٩.

٤٣٠ – الباقلاني، محمد بن الطيب: **إعجاز القرآن**، (تح: السيد أحمد صقر، دار المعارف، مصر، ١٩٦٣،) ٨٤.

وقد دافع الخفاجي في كتابه سر الفصاحة عن السجع وردَّ على الذين يقولون بأن القرآن لم يكن فيه سجع بل ما فيه عبارة عن فواصل قرآنية، يقول: " أظن أن الذي دعا أصحابنا إلى تسمية كل ما في القرآن فواصل ولم يسموا ما تماثلت حروفه سجعاً رغبتهم في تنزيه القرآن عن الوصف اللاحق بغيره من الكلام المروي عن الكهنة وغيرهم. فأما الحقيقة أنه لا فرق بين مشاركة القرآن لغيره من الكلام في كونه مسجوعاً وبين مشاركة جميعه في كونه عرضاً وصوتاً وحروفاً وكلاماً عربياً، ولا فرق بين الفواصل التي تتماثل حروفها في المقاطع وبين السجع. فإن قال قائل: إذا كان عندكم أن السجع محمودٌ فهلَّا ورد القرآن كله مسجوعاً؟ وما الوجه في ورود بعضه مسجوعاً وبعضه غير مسجوعٍ؟ وقيل إن القرآن أُنزل بلغة العرب وعلى عرفهم وعاداتهم وكان الفصيح من كلامهم لا يكون كله مسجوعاً لما في ذلك من أمارات التكلف والاستكراه والتصنع سيما فيما يطول من الكلام فلم يرد مسجوعا جرياً به على عرفهم في الطبقة العالية من كلامهم"[٤٣١].

ويقول ابن الأثير في المثل السائر: " وقد ذمَّهُ بعضُ أصحابنا من أرباب هذه الصناعة، ولا أرى ذلك وجهاً سوى عجزهم أن يأتوا به وإلا فلو كان مذموماً لما ورد في القرآن الكريم، فإنه قد أتى منه بالكثير، وحتى إنه ليؤتى بالسورة جميعها مسجوعة، كسورة الرحمن، وسورة القمر، وغيرهما، وبالجملة فلم تخلُ منه سورة من السور "[٤٣٢].

وقد عقد الجاحظ فصلاً كاملاً للأسجاع في كتابه البيان والتبيين، وقد دافع عنها وناقش من كرهوها، ثم قال: "وقد كان الخطباء تتكلم عند الخلفاء الراشدين فتكون في تلك الخطب أسجاع كثيرة، فلم ينهوا منهم أحدا"[٤٣٣].

---

٤٣١ – ابن سنان الخفاجي: **سر الفصاحة**، ٩٤.

٤٣٢ – ابن الأثير، **المثل السائر**، ١٩٢.

٤٣٣ – الجاحظ، **البيان والتبين**، ج١، ص. ١٥٩.

ومن العلماء المعاصرين الذين تتبعوا السجع عبر التراث النَّثري العربي الدكتور زكي مبارك الذي يرى: "أن السجع من مميزات البلاغة الفطرية، ويمكن الحكم بأن أمثال العامة تقع غالبا مسجوعة"[٤٣٤].

وقد حاول زكي مبارك الرد على كلام بعض النقاد والمستشرقين الذين قالوا بأن السجع "لم يتبلور إلا من خلال نثر القرن الرابع الهجري، ومن هؤلاء المستشرق المسيو مرسيه، وكذلك طه حسين الذي كان يوافق مسيو مرسيه على هذه المقولة "[٤٣٥]. وقد نبَّه زكي مبارك على وجود السجع في النَّثر العربي منذ الجاهلية كما في خطبة قس بن ساعدة الإيادي وذلك بقوله: "كما جاء السجع في القرآن الكريم، كما يرى أن الأحاديث النبوية زاخرة بالسجع كما في حديث الرسول صلى الله عليه وسلم: « أفشوا السلام، وأطعموا الطعام، وصلوا الأرحام، وصلُّوا في الليل والناس نيام، تدخلوا الجنة بسلام »[٤٣٦].

وكذلك في الاستعاذات المأثورة عن النبي[٤٣٧]: " اللهم إني أعوذ بك من طمع يهدي إلى طَبع، ومن طمع في غير مطمع، ومن طمع حيث لا مطمع...."[٤٣٨]. ويستشهد زكي مبارك بخطبٍ للخلفاء الراشدين، إلى أن يصل إلى العصر الأموي.

المطلب الثاني: السَّجع في النَّثر الأموي

كان السجع منتَّراً بين الخطب والرسائل الأموية وكذلك في المناظرات. وقد وقع السجع كثيرا في الخطب القصيرة التي كانت تُلقى بين يدي الخلفاء، وكذلك في الرسائل التي اعتمدت على الصَّنعة،

---

٤٣٤ – زكي مبارك، **النَّثر الفني في القرن** ٧٥.

٤٣٥ – زكي مبارك، **النَّثر الفني في القرن الرابع**، ٧٥.

٤٣٦ – زكي مبارك، **النَّثر الفني في القرن الرابع**، ص. ٧٩.

٤٣٧ – محمد بن عبد الله بن حمدون النيسابوري، **المستدرك على الصحيحين**، (تح مقبل بن هادي الوادعي، دار الحرمين، ١٤١٧هـ)، رقم الحديث١٩١١.

٤٣٨ – زكي مبارك، **النَّثر الفني في القرن الرابع**، ٧٩.

أمَّا في المناظرات فقد وجدناه قليلا، وربما يعود السَّبب في ذلك إلى طبيعة المناظرة التي تعتمد على المواجهة، وتقلُّ فيها الصنعة.

أولاً: السَّجع في الخطب

من خلال تتبُّع السجع في الخطب وجدنا أن أكثر السَّجع يتركَّز في الخطب القصيرة، امَّا في الخطب الطويلة فلا نرى السجع ظاهراً، وقد لا تتعدى عبارات السجع في هذه الخطبة عبارتين اثنتين.

"ومن أشهر الخطب التي نرى فيها السجع خطب المختار الثقفي الذي كان متهما بالكهانة والاطلاع على الغيب، وقد كان يتعمد محاكاة سجع الكهان والمتنبئين ليحيط شخصه وكلامه بهالةٍ من القداسة الدينية "[٤٣٩].

ومن سجعه قوله عندما شكَّ الناس في أنه مبعوث محمد بن الحنفية بن علي بن أبي طالب: "إنَّ نفيرا منكم ارتابوا، وتحيَّروا وخابوا، فإن هم أصابوا، أقبلوا وأنابوا "[٤٤٠]

كذلك ما نراه في خطبة هشام بن عبد الملك: " إنا لنعرف الحق إذا نزل، ونكره الإسراف والبخل، وما نعطي تبذيرا، وما نمنع تقتيرا، وما نحن إلا خزان الله في بلاده، وأمناؤه على عباده، فإن أذن لنا أعطينا، وإذا منع أبينا، ولو كان كل قائل يصدق، وكل سائل يستحق، ما جبهنا قائلا، ولا رددنا سائلا "[٤٤١] .

وكذلك من بديع الصنعة المسجَّعة ما جاء على لسان سليمان بن عبد الملك بن مروان في وصف الدنيا: "...تضحك باكياً، وتبكي ضاحكاً، وتخيف آمناً، وتؤمن خائفاً، وتفقر مثرياً، وتثري مقتراً".

---

٤٣٩ – إحسان النص، **الخطابة السياسية في عصر بني أمية**، (دار الشرق، دمشق، د.ت)، ص. ١٣٥.

٤٤٠ – الطبري، **تاريخ الطبري**، ٦٤/٧.

٤٤١ – القلقشندي، **صبح الأعشى**، ٢٦٥/١.

فقد استخدم سليمان بن عبد الملك السجع وزيَّنه بالتضاد كما في تضحك وتبكي، وتخيف وتؤمن، وتفقر وتثري.

كذلك استخدم الحجَّاج السجع في بداية خطبته في أهل العراق، حيث يقول:" يا أهل العراق، يا أهل الشقاق والنفاق، ومساوئ الأخلاق"[٤٤٢].

وحين يسأله عن شرِّ النساءِ يردُّ عليه: " شرُّهنَّ الصغيرة النُّقْبَة، الحديدة الرُّكبة، السريعة الوثبة"[٤٤٣].

وهنا نرى الغضبان يستخدم السجع في قصار الجمل، لأن مقام الوصف لا يحتمل الإطناب والتطويل في الكلام.

أمَّا بالنسبة لاستخدامهم لأقسام السجع من حيث الرويِّ والوزن، نراهم قد استخدموا عدة أنواعٍ في الخطبة الواحدة، من ذلك: ففي خطبة ابن الأشعث حين أراد أهل العراق التصالح مع الحجَّاج:" فاقبلوا ما عرضوا عليكم وأنتم أعزاء أقوياء، والقوم لكم هائبون، وأنتم لهم منتقصون، فلا والله لا زلتم عليهم أجرِئاء، ولا زلتم عندهم أعزَّاء[٤٤٤]". فقد استخدم ابن الأشعث السجع المتوازي في قوله:" والقوم لكم هائبون، وأنتم لهم منتقصون "، واستخدم السجع المطرَّف في قوله:" فلا والله لا زلتم عليهم أجرِئاء، ولا زلتم عندهم أعزَّاء".

ونجد ذلك أيضاً في خطبة الحجاج في أهل الكوفةِ:" يا أهل الكوفةِ: إنَّ الفتنة تُلقَح بالنجوى، وتنتج بالشَّكوى، أما والله إن أبغضتموني لا تضروني، وإن أحببتموني لا تنفعوني، وما أنا بالمستوحش

---

٤٤٢ – ابن عبد ربه، **العقد الفريد**، ٢/ ١٥٢.

٤٤٣ – المسعودي، **مروج الذهب ومعادن الجوهر**، ٢/ ١٤٧.

٤٤٤ – الطبري، **تاريخ الطبري**، ١٥/٨.

لعداوتكم، ولا المستريح إلى مودَّتكم"[٤٤٥].

استخدم الحجاج السَّجع المطرَّف في قوله:" إنَّ الفتنة تُلقَح بالنجوى، وتنتج بالشَّكوى ".

والسَّجع المرصَّع في قوله:" أما والله إن أبغضتموني لا تضروني، وإن أحببتموني لا تنفعوني ".

وكذلك في قوله:" وما أنا بالمستوحش لعداوتكم، ولا المستريح إلى مودَّتكم ".

ثانياً: السَّجع في الرسائل

نرى السَّجعَ عنصرًا بارزًا في أغلب الرسائل، وربما يعود السَّبب في ذلك إلى طبيعة صناعة الرسالة، حيث يوجد المزيد من الوقت لتفحُّصها وتمحيصها وتدقيقها.

ومن الاستخدام المبَسَّط للسجع ما جاء في رسالة الحسن البصري للخليفة عمر بن عبد العزيز التي يقول فيها: " واذكر يا أمير المؤمنين الموت وما بعده، وقلة أشياعك عنده، وأنصارك عليه، فتزوَّد له لما بعده من الفزع الأكبر، واعلم يا أمير المؤمنين أن لك منزلا في قعره فريداً وحيداً، فتزود له ما يصحبك، يوم يفرُّ المرء من أخيه، وأمه وأبيه، وصاحبته وبنيه، وفصيلته التي تؤويه "[٤٤٦].

فقد استخدم الحسن البصري السجعَ في بداية كلامه في جملتين، ثم بعد ذلك استخدم تضمين القرآن الكريم في وعظه للخليفة بجمل مسجوعةٍ.

ومن استخدامات أنواع السجع عند الكتَّاب ما وجدناه في رسالة عبدالله بن معاوية إلى أبي مسلم الخراساني، والتي رصَّعها بأنواع السَّجع:" آتاك الله حفظ الوصيَّة، ومنحك نصيحة الرعيَّة، وألهمك عدل القضية، فإنك مستودع الودائع، ومولى الصَّنائع، فاعرف لنا لين شكر المودَّة، واغتفار مسِّ الشِّدة، والرضا بما رضيت، والقناعة بما هويت، فإنَّ علينا من سمك الحديد وثقله أذىً شديدا، مع معالجة

٤٤٥ – ابن أبي الحديد، **شرح نهج البلاغة**، ١/١١٥.

٤٤٦ – ابن الجوزي، **مناقب عمر بن عبد العزيز**، ١٢١.

الأغلال، وقلة رحمة العمال...بعد الخير والسَّعة، والخفضِ والدَّعة، والله المستعان، وعليه التَّكلان، مريح الأخيار، منجي الأبرار... الناس في دولتنا في رخاء، ونحن منها في بلاء، حين أمِنَ الخائفون، ورجع الهاربون"[٤٤٧].

فقد استخدم السَّجع المتوازي في قوله:" آتاك الله حفظ الوصيَّة، ومنحك نصيحة الرعيَّة، وألهمك عدل القضية، فإنك مستودع الودائع، ومولى الصَّنائع ".

وكذلك في قوله:" فاعرف لنا لين شكر المودَّة، واغتفار مسِّ الشِّدة، والرضا بما رضيت، والقناعة بما هويت ".

كما استخدم السَّجع المرصَّع في قوله:" بعد الخير والسَّعة، والخفضِ والدَّعة ".

وكذلك في قوله:" مريح الأخيار، منجي الأبرار ".

أمَّا السَّجع المتوازي فجاء في قوله:" الناس في دولتنا في رخاء، ونحن منها في بلاء، حين أمِنَ الخائفون، ورجع الهاربون ".

ثالثاً: السجع في التوقيعات

السجع هو "تواطؤ الفواصل في الكلام المنثور على حرف واحد"[٤٤٨].

ولعلّ من أهم الخصائص الفنية التي نلفيها في توقيعات الخلفاء والأمراء في العصر الأموي السجع، ومن أمثلة ذلك توقيع معاوية في كتاب عبد الله بن عامر عندما سأله أن يُقطعه مالاً بالطائف: "عشْ رَجَباً، تَرَ عَجَباً"[٤٤٩]، وهو من أمثال العرب الذي ذكرها الميداني في مجمع الأمثال، وقد اقتبسه معاوية

---

٤٤٧ – الجاحظ، **البيان والتبيين**، ٤٢/٢.

٤٤٨ – ابن الأثير، **السائر في أدب الكاتب والشاعر**، ٢١٠/١.

٤٤٩– ابن عبد ربه، **العقد الفريد**، ٢٩٠/٤.

من الأمثال لأنه أراد إيصال فكرة مفادها أن الخليفة إذا عاش سنة بعد سنة فإنه سيرى العجب من طلبات أمرائه.

وكذلك من توقيعات معاوية: "نحن الزمانُ: مَنْ رفعناه ارتفع، ومن وضعناه اتّضع"[٤٥٠]، والحقّ أنّ هذا التوقيع فيه أكثر من فنّ بلاغي، فنجد التشبيه البليغ، والسجع بين لفظتي (ارتفع، واتضع)، ونجد المقابلة بين (رفعناه ارتفع، ووضعناه اتضع)، ونجد حسن التقسيم أيضاً. وهذا يدلّ على أنّ معاوية كان حريصاً على تضمين توقيعاته فنوناً من البلاغة.

ولعلّ ابنه يزيد قد سار على نهجه فمن توقيعات يزيد ما كتبه لعبد الله بن جعفر ليقضي عنه ذمام نفر من بطانته وخاصته، فوقع له في كتابه: "احكم لهم بآمالهم إلى منتهى آجالهم"[٤٥١]، فنجد السجع بين (آمالهم، وآجالهم)، وكذلك قوله في كتاب لمسلم بن زياد عامله على خراسان: "قليل العقاب يُحكم سرائر الأسباب، وكثيره يقطع أواخي الانتساب"[٤٥٢]، فنلحظ السجع بين (الأسباب، والانتساب)، ونجد المقابلة بين (قليل وكثير، ويُحكم ويقطع)، وكأنه ينتهج نهج أبيه في تضمين توقيعاته السجع والمقابلة وغيرهما.

ومن توقيعات عبد الملك بن مروان المسجَّعة توقيعه: "أبقِ لهم لُحوماً، يَعقِدوا بها شحوماً"[٤٥٣]، ونجد السجع والمقابلة أيضاً في توقيعه: "إن كنتَ صادقاً أثبتناك، وإن كنت كاذباً عاقبناك، وإنْ شئتَ أقلناك"[٤٥٤].

---

٤٥٠ – عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي، **خاص الخاص**، (شرح مأمون الجنابي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٤م)، ١٣٣.

٤٥١ – ابن عبد ربه، **العقد الفريد**، ٢٩٠/٤.

٤٥٢ – ابن عبد ربه، **العقد الفريد**، ٢٩٣/٤.

٤٥٣ – الثعالبي، **خاص الخاص**، ١٢٨.

٤٥٤ – ابن عبد ربه، **العقد الفريد**، ٢٩٠/٤.

ونجد السجع أيضاً في توقيع الوليد بن عبد الملك في قوله: "قد رأب الله بك الداء، وأوذم بك السِّقاء"[٤٥٥].

ومما سجّعه عمر بن عبد العزيز توقيعه: "لا تطلب طاعة مَن خذل عليّاً، وكان إماماً مرضيّاً"[٤٥٦].

ومن تسجيعات هشام بن عبد الملك توقيعه لعامله على العراق في أمر الخوارج: "ضع سيفك في كلاب النار، وتقرّب إلى الله بقتل الكفّار"[٤٥٧].

ونلحظ السجع في توقيع عبد الله بن علي لمروان الذي أوصاه بالحُرَم، فوقّع له: "الحقّ لنا في دمِكَ، وعلينا في حُرَمِكَ"[٤٥٨].

هذه معظم التوقيعات التي احتوت فنّ السجع، أما بقية التوقيعات فظهر فيها أنواع أخرى من فنون البلاغة من مثل: الاقتباس، وسنمثّل له لاحقاً.

رابعاً: السَّجع في المناظرة

ومن السجع ما نراه في المناظرة التي دارت بين عبيد الله بن زياد ومعاوية بن أبي سفيان في حقِّ الثأر لمقتل زياد بن أبيه، يقول عبيد: " أحمدُ الله على الآلاء، وأستعينه على اللأواء، وأستهديه من عمى مجهد، وأستعينه على عدوٍّ مرصد، وأشهد أن لا إله إلا الله المنقذ بالأمين من شفا جرفٍ هار، ومن بُدِّ غارٍ"[٤٥٩].

فقد استخدم السجع المطرَّف بين الجملتين: أحمدُ الله على الآلاء، وأستعينه على اللأواء،

---

٤٥٥ – المرجع السابق: ٤٩٣/٢.

٤٥٦ – قز أوغلي، مرآة الزمان في تواريخ الأعيان، ١٠/ ٢٩٣.

٤٥٧ – قز أوغلي، مرآة الزمان في تواريخ الأعيان، ١١/ ٢١٦.

٤٥٨ – ابن عبد ربه، **العقد الفريد**، ٢٨٩/٤.

٤٥٩ – المسعودي، **مروج الذهب ومعادن الجوهر**، ٢/ ١٠٥.

وكذلك في الجملتين: وأستهديه من عمى مجهد، وأستعينه على عدوٍّ مرصد، وفي الجملتين: شفا جرفٍ هار، ومن بُدِّ غارٍ.

ونجد السَّجع كذلك في المحاورة التي جرت بين الحجَّاج والغضبان بن القبعثري الشيباني يسأل الحجاجُ الغضبان عن النساء، فحين يسأله عن النجيبة، يرد:" أمَّا النجيبةُ من النساء: فالتي عظُمتْ هامتها، وطالَ عنقهُا، وبعُدَ ما بين منكبيها وثدييها، واتسمت راحتها، وثخُنت ركبتها"[٤٦٠].

فقد استخدم السجع المطرَّف في الجمل: فالتي عظُمتْ هامتها، وطالَ عنقهُا، وبعُدَ ما بين منكبيها وثدييها، واتسمت راحتها، وثخُنت ركبتها.

ممّا سبق نجد أنّ الخطباء والكتّاب والمتناظرون قد اعتمدوا في نثرهم على السجع كثيراً، بخلاف الخطباء في عصر صدر الإسلام، حيث كانوا يجتنبونه لشبهه بسجع الكهّان، وكان السبب في اعتمادهم على السجع تزيين خطبهم وجذب انتباه المتلقّين لما للسجع من جرس موسيقيّ مؤثّر في السامعين والقرّاء.

المبحث السادس: التقديم والتأخير

يعتني النحاة بالرتب المحفوظة الثابتة للجملة العربية من فعل وفاعل ومفعول في الجملة الفعلية، والمبتدأ والخبر في الجملة الاسمية، والرتب المتغيرة في الجملة أي: تقديم المفعول على الفاعل، وتقديم الخبر على المبتدأ، وما يجوز أن يتقدم على غيره وما لا يجوز.

أمَّا البلاغيون فغايتهم الكشف عن قيمة التقديم والتأخير الدلالية والفنية في العمل الأدبي،

٤٦٠ – المسعودي، **مروج الذهب ومعادن الجوهر**، ٢/ ١٤٧.

انطلاقاً من مبدأ أساسي، وهو: أنه لا يحدث تقديم أو تأخير إلا لغرض بلاغي مقصود.

ومن الأغراض البلاغية للتقديم والتأخير العناية بالمتقدِّم أو كراهية المتأخر.

وقد أشار السَّكاكي إلى علاقة التقديم والتأخير بالحالة النفسية، "فقد عرض لحالتين نفسيتين متباينتين: الفرح والفزع، في سياق تعليله للعناية والاهتمام بالمتقدم، ففي حالة الفرح تقدم المفعول به (وجه) في قولنا:(وجهَ الحبيبِ أتمنى)، لأننا نتمنى رؤية وجه الحبيب، فالوجه هو أول ما نشتاق إلى رؤيته، وفي حالة الفزع إذا قال أحدٌ: (عرفتُ شركاءَ اللهِ) يقف شعرك فزعاً وتقول: (أللهِ شركاء؟) وعليه تقدمت شبه الجملة (لله) في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ﴾ [الأنعام: ١٠٠] "[٤٦١]

المطلب الأول: التقديم والتأخير في الخطب

استخدم العرب التقديم والتأخير كثيراً في خطبهم ورسائلهم ومناظراتهم ومن تلك الاستخدامات، تقديم المفعول به على الفاعل، أو تقديم شبه الجملة على المبتدأ، أو تقديم الخبر على المبتدأ.

"وفي هذا الشأن قد يتطلَّبُ الأمرُ أحياناً من الخطيب أو كاتب الرسالة استنباط القيم الدلالية في التركيب واختيار الألفاظ وكيفية تركيبها لخلقِ نسيجٍ نحويّ وبلاغيّ قادرٍ على كشْفِ الأبعادِ الفكريةِ والوجدانيةِ للمبدعِ من جهةٍ، وإيصال الرسالة بأكبرِ طاقةٍ تأثيريةٍ من جهةٍ ثانيةٍ"[٤٦٢].

ومن أشكال التقديم، تقديم المفعول به الضمير المتصل، كما في قول صُخير بن حذيفة بن هلال: " آتاك الله رشدك، ولقَّاك حجتك، أيها الناس إنما أخرجتنا التوبةُ من ذنبنا، والطلب بدم ابن

---

٤٦١ – يوسف بن محمد بن علي السكاكي، **مفتاح العلوم**، (تح: عبد الحميد هنداوي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٠م)، ٣٤٢ –٣٤٣.

٤٦٢ – عمر عبد الهادي عتيق، **علم البلاغة بين الأصالة والمعاصرة**، (دار أسامة، عمان، ٢٠١٢)، ص١٦١.

ابنة نبينا صلى الله عليه وسلم"[٤٦٣]. وقد أراد بقوله (ابن ابنة نبيّنا) الحسين بن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنهما.

فقد قدَّم المفعول به الأول (الكاف) في جملة آتاك الله، نظرا لأهميته في سياق الحديث، وذلك لأنه المقصود بالحديث، كما قدَّم المفعول به ضمير المفعولين (نا) في الجملة أخرجتنا التوبةُ، وربما أراد بذلك المحافظة على الوزن.

وكذلك ما جاء في خطبة سُليمان بن صُرَد: " من كان أخرجته إرادةُ وجه الله وثواب الآخرة فذلك منا ونحن منه "[٤٦٤]. فقد قدَّم المفعول به الضمير (الهاء) في جملة (أخرجته إرادةُ وجه الله) للاهتمام بالضمير المقصود في الجملة.

ومن التقديم للأهمية تقديم المفعول به الاسم (حقَّكم) على الفاعل مغبون في خطبة عبد الرحمن بن شريح: " فإنكم أهل البيت خصَّكم اللهُ بالفضيلة، وشرَّفكم بالنبوة وعظَّمَ حقكم على هذه الأمة، فلا يجهلُ حقَّكم إلا مغبون الرأي "[٤٦٥].

فقد قدَّم المفعول به الضمير (الكاف) في الفعلين (خصّكم، شرَّفكم)، ليناسب سياق التعظيم والتفخيم لآل البيت، كما قدَّم المفعول به (حقَّكم) على الفاعل (مغبون) تأكيدا على حقِّ آل البيت في الإمامة، والدليل على ذلك بأنه جاء بأداة الحصر إلا.

ومن أشكال التقديم والتأخير أيضاً تقديم الخبر على المبتدأ ومن شأن هذا التقديم أن يمنح المبدع طاقة تعبيرية لتنظيم انفعالاته وترتيب رغباته، فيقدِّم ما يطفو على سطح وجدانه وفكره، ويؤخر ما يترسَّبُ في أعماقه، وعليه فالتقديم مرآة تنعكس عليها الأولويات الوجدانية والفكرية للمبدع، وهو

---

٤٦٣ – أحمد زكي صفوت، **جمهرة خطب العرب، العصر الأموي**، ٦٠.

٤٦٤ – أحمد زكي صفوت، **جمهرة خطب العرب، العصر الأموي**، ٦٠.

٤٦٥ – الطبري، **تاريخ الطبري**، ٩٦/٧.

في الوقت ذاته وسيلة للمتلقي لقراءة النص، " وترى الأسلوبية أن الكاتب لا يتسنى له الإفصاح عن حسه ولا عن تصوره للوجود إلا انطلاقاً من تركيب الأدوات اللغوية تركيبا يفضي إلى إفراز الصورة المنشودة والانفعال المقصود"[٤٦٦]

المطلب الثاني: التقديم والتأخير في الرسائل

وفي الرسائل أيضا اعتمد الكتَّاب على التقديم والتأخير، ومن الأمثلة على تقديم المفعول به ما نجده في رسالة عبد الحميد الكاتب عن مروان بن محمد إلى ابنه عبدالله بعد أن نصحهُ نصائح كثيرة من أجل تحمُّلِ مسؤولياته في الأمور التي عهد بها إليه يقول: " وأناتَكَ فَوَقِّها الملالَ وفوتَ العمل، ومضاءَتك فدرِّعها رويَّة النظر، وخلواتِكَ فاحرسها من الغفلة، واعتماد الراحة، وصمتَك فانفِ عنه عِيِّ اللفظ، واستماعَك فأرعِه حُسن التَّفهُّم، وعطاءَكَ فامهد له بيوتات الشرف، وحياءَك فامنعه من الخجل، وحلمَكَ فزَعهُ عن التهاون، وعقوبَتكَ فقصِّر بها عن الإفراط، وعفوك فلا تدخله تعطيل الحقوق"[٤٦٧]. فهذا التقديم يدل على أهمية مرتبة المفعول به فهو الشغل الشاغل فيه الحال.

وكذلك الأمرُ في رسالة عبد الحميد الكاتب التي يقول فيها:" واللهَ يسأل لك أميرُ المؤمنين حسنَ الإرشاد، وتتابع المزيد، وبلوغ الأمل"[٤٦٨]. فقد قدَّم المفعول به لفظ الجلالة الله على الفعل والفاعل لأهميته ومرتبته الجليلة، أو كما يقول البلاغيون: للمسارعة في التبرُّك به[٤٦٩].

المطلب الثالث: التقديم والتأخير في المناظرة

---

٤٦٦ – نور الدين السّد، **الأسلوبية وتحليل الخطاب– دراسة في النقد العربي الحديث**، (دار هوم، الجزائر،٢٠١٠م)، ص. ١٤١.

٤٦٧ – القلقشندي، **صبح الأعشى**، ١٩٥/١٠

٤٦٨ – المصدر السابق نفسه، ١٩٥/١٠

٤٦٩ – عيسى علي العاكوب، **المفصل في علوم البلاغة العربية (المعاني والبيان والبديع)**، (طبعة جديدة منقحة ومزيدة)، جامعة حلب، ٢٠١٨م)، ٢٢٠.

وفي المناظرات اعتمد المتناظرون على التقديم والتأخير، ومن أشكال تقديم شبه الجملة على الخبر ما نجده في مناظرة ابن عباس ومعاوية عندما سأل معاويةُ ابنَ عباس عن أبي بكر وعثمان وعلي فقال معاوية لابن عباس: إني أريد أن أسألك عن مسائل. قال ابن عباس: سلْ عما بدا لك. قال: ما تقول في أبي بكر؟ قال: رحم الله أبا بكرٍ، كان والله للقرآن تالياً، وعن المنكر ناهياً، وبذنبه عارفاً، ومن الله خائفاً، وعن الشبهات زاجراً، وبالمعروف آمراً، وبالليل قائما، وبالنهار صائماً"[٤٧٠].

فقد قدَّم الجار والمجرور على الخبر في الجمل السابقة جميعها للدلالة على علوِّ منزلة أبي بكر رضي الله عنه. مثل: (للقرآن تاليا- من الله خائفا- عن المنكر ناهيا- بذنبه عارفا- عن الشبهات زاجرا).

وملخص القول: إنَّ للتقديم والتأخير غايات بلاغيَّة وجمالية من أبرزها التركيز على أهميَّة المتقدِّم، مما يسهم في تقوية المعنى وتعزيز المراد.

الفصل الثالث: دراسة أسلوبية لنماذج نثرية

مدخل: تعريف الأسلوبية

"تشكِّل علاقة الأدب بمتلقيه قضية هامة لدى المتعاملين مع النصوص الأدبية"[٤٧١].. ومن هذه العلاقة بين الأدب ومتلقيه الدراسة الأسلوبية التي يمكن أن نعرفها بمجموعة الأساليب التي اختارها

٤٧٠ – المسعودي، **مروج الذهب ومعادن الجوهر**، ٢/ ٨٤.

٤٧١ – هناء محمد حرامي(hanaa haramı)، (التجربة الجمالية عند العرب، تلقي أدب الجاحظ حتى نهاية القرن الخامس الهجري نموذجا، SONÇAG AKADAMI ،) ٢٠١٩م، ص١١٥.

الكاتب لنصه، وهي دراسة تحليلية تقوم على مجموعة من العناصر والمبادئ التي تشكِّل ما يُعرف بالمنهج الأسلوبي، ويعرفها ريفاتير بأنها علم يُوضح الخصائص البارزة التي تتوفر لدي المرسل ويؤثر بها في حرية التقبُّل لدى المتلقي، بل إنه يفرض على هذا المتلقي لوناً معيناً من الفهم والإدراك"[٤٧٢].

وتعرَّف أيضا بأنها: "درسٌ موضوعه دراسة الأساليب وميزات التعبيرات اللغوية"[٤٧٣].

وبما أنّ الأسلوبية فرع من اللسانيات فإنّ التحليل الأسلوبي يكون وَفق المستويات اللسانية الأربعة، وهي المستوى الصوتي، والصرفي، والنحوي أو التركيبي، والدّلالي المعجمي.

ونجد ملامح أسلوبية في تراثنا العربي وذلك في علم البلاغة، ولذلك عُرّفت الأسلوبية بأنها الوريث الشرعي للبلاغة[٤٧٤]، حيث إنّ الدراسة البلاغية للنصوص الأدبية هي دراسة أسلوبية بالضرورة، وفي هذا الفصل من الدراسةِ سنقوم بدراسةٍ فنّيةٍ جماليةٍ لنماذجَ من النَّثر الفنِّي متمثِّلةً في الخطبة والمناظرة والرسالة، مبيّنين أهم النواحي الفنية والذوقية والأسلوبية، مبرزين القيم الجمالية على المستوى الدِّلالي والتركيبي، والصوتي والصرفي.

وقد تم اختيار خطبة الكميت بن زيد الأسدي التي جاءت في سياق الصلح بينه وبين هشام بن عبد الملك بن مروان بعد ما كان الكميت أشهر الدعاة للدولة الهاشمية ومعارضا لدولة بني أمية، وهذا الخطيب اشتهر أيضا بالشعر في دعوته لبني هاشم وله أشعار سُمِّيت بالهاشميات، أما في الرسائل الفنيَّة فقد اخترنا رسالة عبد الحميد الكاتب وذلك لأن عبد الحميد يُعتبر أول مترسِّل من الناحية الفنية إضافة إلى أنه يُعتبر من السَّاسة الذين تقلدوا ديوان الكتابة في عصر الخليفة الأموي مروان بن محمد

---

٤٧٢ – محمد عبد المطلب، **البلاغة والأسلوبية**، (الشركة المصرية للنشر، القاهرة، ١٩٩٤م)، ٢١٢.

٤٧٣– سعيد علوش، **معجم مصطلحات النقد الأدبي المعاصر**، (مراجعة: كيان أحمد حازم يحيى، وحسن الطالب، دار الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت، ط١، ٢٠١٩م)، ٥٩٥.

٤٧٤ – ديكرو أوزوالد، وجان ماري سشايفر، **القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان**، (ترجمة: منذر عياشي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء– المغرب، ط٢، ٢٠٠٧م)، ١٦٦.

وقد دفع حياته ثمناً لهذا المنصب، أمَّا في المناظرة فقد اخترنا مناظرة جرت بين الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز والخوارج حيث أراد الخوارج من هذه المناظرة إقرارا من عمر بن عبد العزيز بعدم أحقية بني أمية في الخلافة كما أرادوا منه إقرارا بعدم أحقيته نفسه بالخلافة.

المبحث الأول: ملامح أسلوبية في خطبةٍ للكميت بن زيد الأسدي

سندرس في هذا البحث خطبة للكميت الأسدي شاعر الهاشميين في العصر الأموي، والمدافع عنهم، دراسة أسلوبية بلاغية نتتبَّع الملامح الأسلوبية فيها من حيث المستويات الأربعة.

المطلب الأول: التعريف بحياة الشاعر والخطيب الكميت بن زيد

"الكُمَيْت الأَسَدي (٦٠ - ١٢٦ هـ = ٦٨٠ - ٧٤٤ م): هو الكميت بن زيد بن خنس الأسدي، أبو المستهلّ: شاعر الهاشميين. من أهل الكوفة. اشتهر في العصر الأموي. وكان عالما بآداب العرب ولغاتها وأخبارها وأنسابها، ثقة في علمه، منحازا إلى بني هاشم، كثير المدح لهم، متعصبا للمضرية على القحطانية. وهو من أصحاب الملحميات.

أشهر شعره "الهاشميات- وهي عدة قصائد في مدح الهاشميين، ترجمت إلى الألمانية.

ويقال: إن شعره أكثر من خمسة آلاف بيت، قال أبو عبيدة: لو لم يكن لبني أسد منقبة غير الكميت، لكفاهم. وقال أبو عكرمة الضبي: لولا شعر الكميت لم يكن للغة ترجمان. اجتمعت فيه خصال لم تجتمع في شاعر: كان خطيب بني أسد، وفقيه الشيعة، وكان فارسا شجاعا، سخيا، راميا لم

يكن في قومه أرمى منه. وقال الميداني: الكميت ثلاثة: الكميت ابن ثعلبة، ثم الكميت بن معروف، ثم الكميت بن زيد، وكلهم من بني أسد. "[٤٧٥].

أولاً: السياق المحيط بالخطبة

"كان سبب غضب هشام بن عبد الملك على الكميت: أن حكيم بن عباس الكلبي كان ولعاً بهجاء مضر والكميت مضري؛ فكانت شعراء مضر تهجوه ويجيبهم، وكان الكميت يقول: هو والله أشعر منكم، قالوا: فأجب الرجل، قال: إن خالد بن عبد الله القسري- والي العراق وهو يمني- محسن إليّ؛ فلا أقدر أن أرد عليه، قالوا: فاسمع بأذنك ما يقول في بنات عمك وبنات خالك من الهجاء، وأنشدوه ذلك فحمي الكميت لعشيرته؛ فقال قصيدته المذهبة؛ وبلغ ذلك خالد! فقال: والله لأقتلنَّه، ثم اشترى ثلاثين جارية بأغلى ثمن؛ وتخيرهن نهاية في حسن الوجوه والكمال والأدب؛ فرواهن الهاشميات -وهي قصائد قالها الكميت في مدح بني هاشم، وكان معروفاً بالتشيع لهم مشهوراً بذلك، وتعد هذه القصائد من جيد شعره ومختاره وهي مطبوعة مشهورة- ودسهن مع نخاس إلى هشام بن عبد الملك؛ فاشتراهن جميعاً، فلما أنس بهن استنطقهنَّ، فرأى فصاحة وأدباً، فاستقرأهنَّ القرآن فقرأن واستنشدهن الشعر، فأنشدنه قصائد الكميت الهاشميات؛ فقال: ويلكن! من قائل هذا الشعر؟ قلن: الكميت بني زيد الأسدي، قال: وفي أي بلد هو؟ قلن: في العراق ثم في الكوفة؛ فكتب إلى خالد عامله بالعراق: ابعث إلي برأس الكميت، فبعث إليه خالد في الليل؛ فأخذه وأودعه السجن، وعزم لينفذن أمر الخليفة فيه، وأعمل الكميت الحيلة في الفرار؛ فبعث إلى زوجه حُبَّى "بضم ففتح الباء المشددة"؛ فلما دخلت عليه لبس ثيابها، وتنقب نقابها، وأقامها مكانه، وخرج متنكراً، وظل متوارياً مدة، حتى إذا أيقن أن الطلب قد خف عنه، خرج ليلاً في جماعة من بني أسد، وما زال يسير حتى بلغ الشام؛

٤٧٥- خير الدين الزركلي، **الأعلام**، ٢٣٣/٥.

واستجار بمسلمة بن عبد الملك؛ فأجاره، واحتال له في عفو الخليفة عنه، فقال له: إن معاوية بن هشام مات قريباً؛ وقد جزع عليه جزعاً شديداً، فإذا كان الليل فاضرب رواقك على قبره، وأنا أبعث إليك بنيه يكونون معك في الرواق، فإذا دعا بك تقدمت إليهم أن يربطوا ثيابهم بثيابك، ويقولوا: هذا استجار بقبر أبينا، ونحن أحقُّ من أجاره؛ فأصبح هشام على عادته متطلعاً من قصره إلى القبر، فقال: من هذا؟ قالوا: لعله مستجير بالقبر؛ فقال: يجار من كان إلا الكميت فإنه لا جوار له، فقيل: فإنه الكميت، قال: يحضر أعنف إحضار؛ فلما دعي به ربط الصبيان ثيابهم بثيابه، فلما نظر هشام إليهم اغرورقت عيناه واستعبر، وهم يقولون: يا أمير المؤمنين استجار بقبر أبينا، وقد مات ومات حظُّه من الدنيا، فاجعله هبة له ولنا؛ ولا تفضحنا فيمن استجار به، فبكى هشام حتى انتحب؛ ثم أقبل على الكميت؛ فقال له: يا كميت: أنت القائل كذا وكذا -مما أورده في هاشمياته؟- فقال: لا والله؛ ولا أتان من أتن الحجاز وحشية؛ ثم خطب بين يديه يستعطفه، فعفا عنه وأجازه، وتوفي الكميت سنة ١٢٦هـ"[٤٧٦].

ثانياً: خطبة الكميت بن زيد الأسدي أمام هشام بن عبد الملك

جاء في "خطبة الكميت بن زيد بين يدي هشام يستعطفه: حيث روى صاحب العقد قال:

كان الكميت بن زيد الأسدي يمدح بني هاشم ويعرض ببني أمية؛ فطلبه هشام، فهرب منه عشرين سنة[٤٧٧]، لا يستقر به القرار، من خوف هشام، وكان مسلمة بن عبد الملك له على هشام حاجة في كل يوم يقضيها له، ولا يرده فيها؛ فلما خرج مسلمة يوماً إلى بعض صيوده، أتى الناس يسلمون عليه، وأتاه الكميت بن زيد فيمن أتى، فقال:

السلام عليك ورحمة الله وبركاته، أما بعد:

---

٤٧٦ -أحمد زكي صفوت: **جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة**، ٤٣٠/٢.

٤٧٧ - يلاحظ أن مدة خلافة هشام كانت عشرين سنة من سنة ١٠٥-إلى سنة ١٢٥هـ.

قف بالديار وقوف زائر وتأن إنك غير صاغر[٤٧٨]

حتى انتهى إلى قوله:

يا مَسْلَمَ بن أبي الوليد لميتٍ إن شئت ناشر[٤٧٩]

علقت حبالي من حبا لك ذمة الجار المجاور

فالآن صرت إلى أمية، والأمور إلى المصاير

والآن كنت به المصيب كمهتد، بالأمس حائر

فقال مسلمة: سبحان الله! من هذا الهندكي[٤٨٠] الجلحاب[٤٨١]، الذي أقبل من أخريات الناس، فبدأ بالسلام، ثم أما بعد، ثم الشعر؟ قيل له: هذا الكميت بن زيد، فأعجب به لفصاحته وبلاغته، فسأله مسلمة عن خبره، وما كان فيه طول غيبته، فذكر له سخط أمير المؤمنين عليه، فضمن له مسلمة أمانه، وتوجه به حتى أدخله على هشام –وهشام لا يعرفه– فقال الكميت: السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته، الحمد لله، قال هشام: نعم. الحمد لله، ما هذا؟ قال الكميت: مبتدئ الحمد ومبتدعه، الذي خص بالحمد نفسه، وأمر به ملائكته، جعله فاتحة كتابه، ومنتهى شكره، وكلام أهل جنته، أحمده حمد من علم يقيناً، وأبصر مستبيناً، وأشهد له بما شهد به لنفسه "قائماً بالقسط[٤٨٢]" وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبدُه العربي، ورسولُه الأميّ، أرسله والناس في هفوات حيرة،

٤٧٨– صاغر: ذليل.

٤٧٩ – نشره وأنشره: أحياه.

٤٨٠ – رجل هندكي: من أهل الهند، "وهو هنا على التشبيه".

٤٨١ – الجلحاب: الشيخ الكبير.

٤٨٢ – العدل.

ومدلهمات ظلمة، عند استمرار أبهة[٤٨٣] الضلال؛ فبلغ عن الله ما أمر به، ونصح لأمته، وجاهد في سبيله، وعَبَدَ ربَّه، حتى أتاه اليقين، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ثم إني يا أمير المؤمنين، تهت في حيرة، وحرت في سكرة، ادلأم[٤٨٤] بي خطرها، وأهاب[٤٨٥] بي داعيها، وأجابني غاويها، فاقطوطيت[٤٨٦] إلى الضلالة، وتسكعت[٤٨٧] في الظلمة والجهالة، جائراً عن الحق، قائلاً بغير صدق؛ فهذا مقام العائذ[٤٨٨]، ومنطق التائب، ومبصر الهدى بعد طول العمى، يا أمير المؤمنين كم من عاثر أقَلْتم عثرته، ومجترم[٤٨٩] عفوتم عن جرمه".

فقال له هشام –وأيقن أنه الكميت– ويحك! من سن لك الغواية، وأهاب بك في العماية[٤٩٠]؟ قال: الذي أخرج أبي آدم من الجنة: فنسي ولم يجد له عزماً، وأمير المؤمنين كريح رحمة أثارت سحاباً متفرقاً، فلفقت[٤٩١] بعضه إلى بعض، حتى التحم فاستحكم هدرُ[٤٩٢] رعده، وتلألؤ برقه، فنزل الأرض فرويت، واخضلت[٤٩٣] واخضرت، وأسقيت، فروي ظمآنها، وامتلأ عطشانها؛ فكذلك نعدك أنت يا أمير المؤمنين، أضاء الله بك الظلمة الداجية[٤٩٤] بعد العموس[٤٩٥] فيها، وحقن بك دماء قوم أشعر

---

٤٨٣ – الأبهة: العظمة والبهجة والكبر.

٤٨٤ – ادلأم الليل: ادلهم أي اسود وأظلم، وفي الأصل "اذلأم" وهو تصحيف.

٤٨٥ – أي دعاني؛ وفي الأصل "وأهب" وهو تحريف، "ويقال أيضا هببت به أي دعوته لينزو".

٤٨٦ – اقطوطى: قارب في مشيه إسراعاً.

٤٨٧ – تسكع: مشى مشياً متعسفاً لا يدري أين يأخذ من بلاد الله، وتحير.

٤٨٨ – اللاجئ: المستجير.

٤٨٩ – جرم فلان وأجرم واجترم: أذنب.

٤٩٠ – العماية: الغواية.

٤٩١ – من لفق الثوب كضرب: ضم شقة إلى أخرى فخاطها.

٤٩٢ – من هدر البعير كضرب هدراً وهديراً: صوت؛ وفي الأصل "هدار" وهو تحريف.

٤٩٣ – ابتلت.

٤٩٤ – المظلمة.

٤٩٥ – في الأصل: "الغموس" بالغين؛ وهو تحريف، والصواب "العموس" من عمس ككرم وفرح عماسة وعموساً: اشتد واسود وأظلم.

خوفك قلوبهم[٤٩٦]، فهم يبكون لما يعلمون من حزمك وبصيرتك، وقد علموا أنك الحرب وابن الحرب إذا احمرت الحدق، وعضت المغافير[٤٩٧] بالهام، عز بأسك، واستربط جأشك[٤٩٨]، مسعار هتان، وكاف[٤٩٩] بصير بالأعداء، مغري الخيل بالنكراء[٥٠٠]، مستغن برأيه عن رأي ذوي الألباب، برأي أريب، وحلم مصيب؛ فأطال الله لأمير المؤمنين البقاء، وتمم عليه النعماء، ودفع به الأعداء"، فرضي عنه هشام وأمر له بجائزة"[٥٠١].

المطلب الثاني: الملامح الأسلوبية في الخطبة

نقصد بالملامح الأسلوبية الميزات التعبيرية البلاغية التي سندرسها وفق المستويات الأربعة الآتية، والتي سنميز تحتها عدداً من أشكال البلاغة.

المطلب الثالث: المستوى الصوتي:

المستوى الصوتي هو أول قطاعات الدرس اللساني الذي يهتم بوصف الأصوات وقواعد تشكلها[٥٠٢].

وندرس فيه: السجع، والجناس، وردّ العَجُز على الصدر، والموازنة.

أ- السجع:

السجع في الاصطلاح هو توافق الفاصلتين في الحرف الأخير من الكلام المنثور. يقول ابن سنان الخفاجي: " كما أن الشِّعر يحْسُن بتساوي قوافيه، كذلك النَّثر يحسن بتماثل الحروف في فصوله

٤٩٦ – أشعر الخوف والهم قلبي: لزق به، وكل ما ألزقته بشيء: أشعرته به.

٤٩٧ – المغفر كمنبر، وبهاء؛ وككتابة: زرد من الدرع يلبس تحت القلنسوة؛ أو حلق يتقنع بها المتسلح.

٤٩٨ – أي صار رابطاً من ربط جأشه رباطة "بالكسر" اشتد قلبه.

٤٩٩ – فلان مسعر حرب ومسعار: أي موقد نار الحرب، ومطر هتان: هطال، ووكاف كذلك، وهما كناية عن الجود.

٥٠٠ – النكراء: الأمر الشديد.

٥٠١ – أحمد زكي صفوت: **جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة**، ٤٢٨/٢-٤٣٢.

٥٠٢ – أحمد محمد قدور: **مبادئ اللسانيات العامة**، (منشورات جامعة حلب، ٢٠٠٦م)، ٢٧.

.[٥٠٣]

ونجد السجع في قول الكميت:

١- أحمده حمد مَن علم يقينا، وأبصرَ مُستبينا: فقد استعمل السجع بين كلمة (يقيناً)، وكلمة (مستبيناً).

٢- وفي قوله: عبده العربيّ، ورسوله الأميّ: وهنا استعمل السجع بين (العربيّ)، و(الأميّ)، في جملتين قصيرتين.

٣- وفي قوله: أهاب بي داعيها، وأجابني غاويها: استعمل السجع بين كلمتي (داعيها)، و(غاويها)، وهو بين جملتين قصيرتين أيضاً.

٤- وفي قوله: فأطال الله لأمير المؤمنين البقاء، وتمم عليه النعماء، ودفع به الأعداء: وهنا استعمل السجع في ثلاث جمل متتالية ختم بها الخطبة.

ونلاحظ أنّ السجع جاء مُعتدلاً في الخطبة، ليس كثيراً ولا قليلاً، والعرب كانت تُفضّل أن يكون السّجع معتدلاً، لأنّ كثرته تقترب من الشعر، والخطبة كلام نثري يختلف عن الشعر، لأنها تخاطب العقل أكثر من القلب والمشاعر.

وتكمن جمالية هذا السجع في ترصيع الخطبة بنغم موسيقي عذب مناسب للاستعطاف، لأنّ الملاحظ أنّ السجع جاء لأحرف المدّ، وأحرف المدّ فيها استطالة للنَّفَس، فهو يُناسب كسب عطف الخليفة.

ب- الجناس:

٥٠٣ - ابن سنان الخفاجي: **سر الفصاحة**، ١٤٦.

الجناس هو اجتماع كلمتين أُلِّفتا من حروف متجانسة"[٥٠٤]، وهو على قسمين، الأول يسمى تام، والثاني يُسمّى غير التام أو الناقص وهو أن يختلف اللفظان في عدد الحروف أو نوعها أو شكلها أو ترتيبها أو نقطها، وهو الأكثر استعمالاً في النثر.

والجناس التام، كقولنا: دارِهم ما دمت في دارِهم، وأرضِهم ما دمت في رضهم، ولكنّ هذا الجناس لم يرد في الخطبة، لأنه من النوع التزييني، والخطبة غايتها الاستعطاف وليس تزيين الكلام والتنمق فيه إلى حدّ كبير.

وقد ورد الجناس في الخطبة فيما يأتي:

١- (مبتدئ- مبتدع): وهنا الجناس ناقص في نوع الحروف.

٢- (اخضلت- اخضرت): وهنا الجناس ناقص في نوع الحروف أيضاً.

وما يُفسّر قلّة الجناس أيضاً قصر الخطبة، وعدم اهتمام الشاعر بالمحسنات اللفظية.

ج- ردّ العجز على الصدر:

وهو أن يكون هناك لفظان مكرران في الجملة، أحدهما في أول الجملة والآخر في آخرها، وهذا التكرار قد لا يكون تكراراً حرفياً، وإنما من الاشتقاق نفسه[٥٠٥].

وورد منه مثال واحد من النوع الثالث وهو قوله: **كم من عاثر أقلتم عثرته، ومجترم عفوتم عن جرمه**، وذلك لقصر طول الخطبة، حيث نلاحظ أن كلمة (عثرته) جاءت في آخر الجملة، وقبلها

٥٠٤ - الجرجاني، **دلائل الإعجاز**، ٤٠٢.

٥٠٥ - ابن أبي الأصبع المصري، **تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعاز القرآن**، ٢٣١.

كلمة (عاثر) وكأنّ الكلمة الثانية ارتدّت على الأولى، وكذلك كلمة (جرمه) ارتدّت على أول كلمة من الجملة وهي (مجترم)، والكلمتان تحتويان على الحروف ذاتها، ولكن أحدهما في أول الجملة والأخرى في آخر الجملة.

المطلب الرابع: المستوى الصّرفي

المستوى الصرفي هو القطاع الثاني من قطاعات الدرس اللساني، وهو يبحث في بنية الكلمات وطريقة تشكلها[٥٠٦].

وندرس فيه دلالات الأفعال، والمشتقات.

فقد غلبت على الخطبة الأفعال الماضية لأنّ الشاعر الكميت يذكر أنّ ماضيه الذي عاشه كان في غواية وعماية لأنه كان بعيداً عن هذا الخليفة الذي هو الآن أمامه، فراح يؤكد له أنّه الشيطان هو الذي حرمه من اللقاء بالخليفة والاجتماع معه، وليس الكره أو البغضاء، بل نسب الشاعر إلى نفسه الغواية والعماية عن طريق الهدى لأنه لم يكن قريباً من الخليفة.

هذه الأفعال هي: خص، أمر، جعل: وهي أفعال ماضية فاعلها الحق سبحانه يثني فيها الخطيب على الله سبحانه لأنه افتتح الخطبة بما استوحاه من عادة الخطباء الذين يفتتحون الخطب بالثناء والحمد على الحق سبحانه.

ثم ينتقل إلى الأفعال المضارعة التي تدل عليه وهي: أحمده، أشهد، ليُخبر الخليفة أنه يشارك في هذا الحمد ويشهد بالرسول، ولذلك فكلّ ما سيتحدث به سيكون صادقاً لا كذب فيه، لأنه ملتزم بتعاليم الدين.

---

٥٠٦ – أحمد محمد قدور، **مبادئ اللسانيات العامة**، ٢٧.

ويعود فيؤكد حدوث أفعال محققة في الزمن الماضي وهي: علم، أبصر، شهد، أرسل، بلّغ، نصح، جاهد، عَبَدَ، أتاه، صلّى، حرتُ، تهتُ، ادلأمّ، أهاب، اقطوطيت، تسكعت، أقلتم، عفوتم، لفقت، التحم، نزل، رُويت، اخضلت، اخضرّت، أُسقيت، روي، امتلأ، أشعر، علموا، احمرت، عضت، عزّ، استربط.

أما في نهاية الخطبة فنلحظ الأفعال: أضاء، وحقن، وأطال، وتمّم، ودفع، وقد خرجت إلى معنى الدعاء في نهاية الخطبة، لأنّ الخطيب أراد اختتام خطبته بالدعاء للخليفة.

أمّا المشتقات فهي كثيرة في الخطبة، نذكرها:

– مُبتدِئ، مُبتدِع: اسما فاعل يعودان إلى الحق سبحانه لأنه هو من قام بفعل الابتداء والابتداع.

– فاتحة: وهي اسم فاعل عائد إلى جملة الحمد التي قامت بالافتتاح.

– مُنتهى: وهو اسم مكان يدل على مكان الانتهاء.

– مُستبين: وهو اسم فاعل يدلّ على من يقوم بفعل الاستبانة وهو الخطيب والمتلقون أيضاً.

– داعيها، غاويها، العائذ، التائب، مُبصر، عاثر، مُجترِم، مُتفرق: وهذه أسماء فاعل تدلّ على من يقوم بهذه الأفعال سواء كانت من الخطيب نفسه أم من المتلقين.

– ظمآن، عطشان: وهما صفة مشبهة باسم الفاعل تدل على ثبوت هذه الصفة في المتلقين المتعطشين دائماً لكرم الخليفة وعفوه.

– مِسعار، هتّان، وكّاف، بصير: وهي مبالغات اسم فاعل تعود إلى الخليفة التي يتميز بالإكثار من هذه الصفات الحميدة.

– مُغري، مُستغنٍ: وهما اسما فاعل يدلان على الخليفة الذي يغري الخيل بالحرب ويستغني عن رأي العقلاء لأنه أعقل منهم.

- أريب: وهي صفة مشبهة تدلُّ على ثبات صفة التعقل بالخليفة.

- مُصيب: وهي اسم فاعل يدل على أن الفعل الذي يقوم به الخليفة صائب دائماً.

ونلاحظ أن المشتقات منها ما يخص الشاعر المستعطف فيذكر صيغ اسم الفاعل، ومنها ما يخص الممدوح فيصفه بمبالغة اسم الفاعل، والصفات المشبهة باسم الفاعل، ودلالة ذلك أنه في مقام الاستعطاف يبيّن ذاته التي جاءت تستدرّ العطف، ويبيّن عظمة الخليفة القادر على العفو، لأن العفو عند المقدرة.

المطلب الخامس: المستوى التركيبي

وهو ثالث قطاعات الدرس اللساني، ويعني دراسة التركيب النحوي، وكل ما يتصل بتركيب الجملة[٥٠٧].

وندرس فيه الاستعارات والتشابيه والكنايات.

أ- الاستعارة:

هي " استعمال اللفظ في غير ما وضع له لعلاقة المشابهة بين المعنيين وقرينة مانعة من إرادة المعنى الأصلي "[٥٠٨].

وردت الاستعارة في أربعة مواضع من هذه الخطبة، وهي قوله:

١- تسكعت في الظلمة: فقد شبه المكان الذي تسكَّع فيه بالظلمة، فحذف المشبه، وصرَّح بالمشبه به، على سبيل الاستعارة التصريحية.

---

٥٠٧ - أحمد محمد قدور، **مبادئ اللسانيات العامة**، ٢٧.

٥٠٨ - أبو هلال العسكري: **كتاب الصناعتين، الكتابة والشعر**، (تح: علي محمد البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه، مصر، ط١، ١٩٥٢م)، ٢٦٨.

٢- ومغري الخيل: فقد شبه هنا الخيل بإنسان يُغرى بالحرب، لأنّ الخليفة فارس مغوار، فالخيل تُغرى بفروسيته وشجاعته، وكأنها إنسان، فحذف المشبه به وهو الإنسان، وأبقى شيئاً من لوازمه وهو فعل الإغراء، وذلك ليُظهر الخليفة على أنه فارس مغوار.

٣- وعضّت المغافير بالهام: وقد شبه هنا المغافير وهي الدروع بأنها وحش يعضّ رأس المحارب فيتعلق به تعلقاً شديداً، فحذف المشبه به وهو الوحش وأبقى شيئاً من لوازمه وهو العضّ، وهذه الاستعارة المكنية فيها مبالغة وتهويل وتعظيم للحرب المستعرة.

ب- التشبيه:

" التشبيه هو الدّلالة على اشتراك شيئين في وصف هو من أوصاف الشيء الواحد كالطيب في المسك والضياء في الشمس والنور في القمر "[٥٠٩].

وقد ورد نوعان من التشبيهات في هذه الخطبة، وهو التشبيه البليغ، والتشبيه تام الأركان، فأما البليغ فهو قوله:

١- أنك الحرب: فالمشبه هو الخليفة والمشبه به الحرب.

٢- مسعارٌ: فالمشبه هو الخليفة والمشبه به الشخص الذي يُشعل الحرب.

٣- هتّان: فالمشبه هو الخليفة والمشبه به المطر الهتّان بالخير على الناس.

٤- وكّاف: فالمشبه هو الخليفة والمشبه به المطر الوكّاف بالخير على الناس.

٥٠٩ - الخطيب القزويني، **التلخيص في وجوه البلاغة**،(شرحه عبد الرحمن البرقوقي، دار الفكر العربي، ١٩٠٤م)، ٢٣٨.

وكل هذه التشابيه بليغة غايتها رفع قدر الخليفة واستدرار عطفه بالمدح وإعلاء القيمة، لأن الخليفة بعد هذا المدح لا يمكن له إلا أن يعفو ويصفح عنه.

وأما التشبيه التمثيلي فهو قوله:

– وأمير المؤمنين كريح رحمة أثارت سحاباً متفرقاً، فلفقت بعضه إلى بعض، حتى التحم فاستحكم هدرُ رعده، وتلألؤ برقه، فنزل الأرض فرويت، واخضلت واخضرت، وأسقيت، فروي ظمآنها، وامتلأ عطشانها: فقد شبه الشاعر الخليفة بأنه ريح رحمة أثارت سحاباً متفرقاً وأخذت تلفق بعضه إلى بعض، وهذا هو حال الخليفة مع الناس الذين يمرون ببابه كما يمر السحاب في السماء، فالآلاف من الناس يأتون إليه ليستجدون رحمته وهو صاحب رحمة بالناس لأنه وليّ أمرهم، فما أجمل هذا التشبيه الذي يجعل من الخليفة يرقّ ويعفو عن الكميت، وهذا ما حدث فعلاً.

فالمشبه هنا هو أمير المؤمنين، والمشبه به هو الريح والأداة هي الكاف ووجه الشبه منتزع من متعدد؛ الجود والكرم، وهذا تشبيه تمثيلي.

ج– الكناية:

وهي "أن يُريد المتكلمُ إثباتَ معنًى من المعاني، فلا يذكُرُه باللّفظِ الموضوعِ له في اللُّغة، ولكنْ يَجيءُ إلى معنى هو تاليهِ ورِدْفُه في الوجود[1]، فيومئ به إليه، ويجعلهُ دليلاً عليه، مثال ذلك قولُهم: "هو طَويلُ النَّجاد"، يريدونَ طويلَ القامة، "وكثيرُ رمادِ القِدْر" يَعْنون كثيرَ القِرى، وفي المرأة: "نَؤومُ الضُّحى"، والمرادُ أنها مُتْرفةٌ مخْدومة، لها مَنْ يَكفيها أمْرَها[2]، فقد أرادوا في هذا كُله، كما تَرى، معنًى، ثمَّ لم يَذْكُروه بلفظِه الخاصِّ به، ولكنّهُم تَوصَّلوا إليه بِذِكْر معنًى آخر مِنْ شأنِه أن يَرْدُفَه في الوجود، وأنْ يكونَ إذا كانَ"[510].

---

٥١٠ – الجرجاني، **دلائل الإعجاز**، ٦٦/١.

وقد وردت الكناية في قول الكميت:

١- الذي أخرج أبي آدم من الجنة: وقوله (أخرج أبي آدم) كناية عن موصوف وهو إبليس.

٢- وفي قوله: احمرّت الحدق: فاحمرار العيون كناية عن صفة استعار الحرب.

٣- وعَضَّت المغافير بالهام: كناية عن اشتداد الحرب.

٤- وقوله: مغري الخيل بالنكراء، والنكراء كناية عن موصوف هو المعركة.

وتبرز جمالية هذه الكنايات بأن الكميت لا يريد أن يُصرح بالمعنى البعيد الذي يريده، وإنما يريد أن يلمّح إليه تلميحاً، فيتحرّك خيال المتلقي لمعرفته، فتكون الكناية مُثيراً لخيال المتلقي.

المطلب السادس: المستوى الدلالي

وهو رابع قطاع من قطاعات الدرس اللساني، ويتعلق بمعاني الكلمات معجمياً، وما يلحق به من مجالات علمية وتطبيقية، كالمصطلح والمعجم[٥١١].

وندرس فيه حسن الابتداء، وحسن الختام، وحسن التعليل، والمطابقة، والتكرار.

أ- حسن الابتداء:

"ذكر البلاغيون أنّ الأديب ينبغي أن يتأنّق في ثلاثة مواضع من كلامه حتى يكون أعذب لفظاً، وأحسن سبكاً، وأصحّ معنى. وهذه المواضع هي: الابتداء، والتخلص، والانتهاء.

والابتداء أن يكون مطلع الكلام شعراً أو نثراً، أنيقاً بديعاً، لأنّه أول ما يقرع السمع فيقبل السامع على الكلام ويعيه، وإن كان بخلاف ذلك أعرض عنه ورفضه وإن كان في غاية الحسن"[٥١٢].

---

٥١١ - أحمد محمد قدور، **مبادئ اللسانيات العامة**، ٢٧.

٥١٢ - أحمد مطلوب، **معجم المصطلحات البلاغية وتطورها**، ١/٣٠-٣١.

وقد بدأ الكميت خطبته بالسلام، ثم أمّا بعد ثم بالشعر، ويبدو لنا من حديث مسلمة أنّ هذا الابتداء مُستحسن ومستوحى من عادات الخطباء، حيث قال راوي الخبر: فأُعجب لفصاحته وبلاغته، لأنّ العرب عادة كانت تبدأ الخطب بجملة (أمّا بعد)، وإذا أتبعتها بالشعر اختزلت به مضمون الخطبة، والشعر الذي قاله الكميت يوحي لنا أنه جاء ليعتذر إلى الخليفة ويستعطفه ليصفح عنه، وأنه استجار بمسلمة، ومن العار أن يخفر المجير مَن أجاره، ثم راح يمدح بني أمية ويقول: إنني صرت الآن إليهم لأنني كنت أعمى البصيرة ولكنني الآن أصبحت في الهداية بعد الضلالة والعماية.

فاختزل الشاعر مضمون الخطبة بالشعر الذي ألقاه على مسامع الخليفة، فرضي الخليفة عنه بسبب هذه الفصاحة والبلاغة في حسن الابتداء بالخطبة.

وحسن الابتداء يمكن أن يُعد من مواطن الاستيحاء، أو توارد المعاني، لأنّ الخطباء عادة ما يبدؤون الخطبة بالسلام، والحمد، وجملة (أما بعد).

ب– حسن الختام:

"قال ابن رشيق: «وأمّا الانتهاء فهو قاعدة القصيدة وآخر ما يبقى منها في الأسماع وسبيله أن يكون محكماً لا تمكن الزيادة عليه ولا يأتي بعده أحسن منه، وإذا كان أول الشعر مفتاحاً له وجب أن يكون الآخر قفلاً عليه...

وقال ابن رشيق بعد ذلك: «ومن العرب من يختم القصيدة فيقطعها والنفس بها متعلقة، وفيها راغبة مشتهية ويبقى الكلام مبتوراً كأنه لم يتعمد جعله خاتمة، كل ذلك رغبة في أخذ العفو وإسقاط الكلفة. ألا ترى معلقة امرئ القيس كيف ختمها بقوله يصف السيل من شدة المطر:

كأنّ السباع فيه غرقى غديّة بأرجائه القصوى أنابيش عنصل

فلم يجعل لها قاعدة كما فعل غيره من أصحاب المعلقات وهي أفضلها"[٥١٣].

كأنّ ابن رشيق في قوله هذا يشير إلى ما يُعرف في النقد الحديث بالنص المفتوح والنص المغلق، ويرى أن النص المفتوح الذي لا تُعرف نهايته أجمل لأن النّفس تتشوّق لمعرفة بقية ما يريده المتكلم، ولكنّ هذا الأمر في الشعر وليس في الخطبة، فالمعروف في الخطبة أنها غالباً ما تنتهي بحكمة أو دعاء، وهذا ما فعله الكميت، فقد أنهى الخطبة بالدعاء للخليفة بطول البقاء وتمام النعماء والنصر على الأعداء، فناسب بذلك غرض الخطبة وهو طلب العفو.

وحسن الختام أيضاً يعد من مواطن الاستيحاء، حيث يستوحي الخطيب عادات الخطباء في إنهاء الخطب بالدعاء أو الحمد أو الحكمة.

ج- حسن التعليل:

هو أن يَدَّعى لوصفٍ علةٌ مناسبةٌ له باعتبارٍ لطيف غير حقيقي"[٥١٤].

قال الكميت: تهت في حيرة، وحرت في سكرة، ادلأم بي خطرها، وأهاب بي داعيها، وأجابني غاويها، فاقطوطيت إلى الضلالة، وتسكعت في الظلمة والجهالة، جائراً عن الحق.

ونلحظ أن الكميت لجأ إلى تعليل ابتعاده عن الخليفة من خلال الشعر، حيث بيّن للخليفة أنه كان أعمى البصيرة وتائهاً في الحيرة.

ولكنه وجد أن اللجوء إلى بني أمية هو الهداية، فقال: أضاء الله بك الظلمة الداجية بعد العموس فيها، وحقن بك دماء قوم أشعر خوفك قلوبهم.

---

٥١٣ - أحمد مطلوب، **معجم المصطلحات البلاغية وتطورها**، ٣٢٦/٢.

٥١٤ - الخطيب القزويني، **التلخيص في وجوه البلاغة**، ٣٧٥.

وقد علّل أنّ الخليفة قادر على العفو وذلك عندما وصفه بالريح التي تلفق بين السحاب، وأنه أقال العثرات، وعفا عن المجرمين. فقال: وأمير المؤمنين كريح رحمة أثارت سحاباً متفرقاً، فلفقت بعضه إلى بعض، حتى التحم فاستحكم هدرُ رعده، وتلألؤ برقه...

كما علل أنه حازم بصير شجاع وابن حرب لأنّ مَن اتصف بهذه الأوصاف كان صاحب حكمة عظيمة وعفو كبير، وهذا الأمر ساعد الكميت في العفو عنه من قِبل الخليفة الذي أعجبه حسن التعليل من هذا الشاعر الخطيب.

د- المطابقة:

"التضاد هو التطبيق والتكافؤ والطباق والمطابقة والمقاسمة، وقد سمّاه ابن المعتز «المطابقة» وهو الفن الثالث من بديعه، قال: «قال الخليل ـ رحمه الله ـ: يقال طابقت بين الشيئين إذا جمعتهما على حذو واحد، وكذلك قال أبو سعيد: فالقائل لصاحبه: أتيناك لتسلك بنا سبيل التوسع فأدخلتنا في ضيق الضمان. قد طابق بين السعة والضيق في هذا الخطاب»"[٥١٥].

وقد ورد طباق الإيجاب في الخطبة في قول الشاعر:

١- (فاتحة، ومنتهى): طباق إيجاب.

٢- و(الهدى، والعمى): طباق إيجاب.

٣- و(عاثر، وأقلتم): طباق إيجاب.

٤- و(مجترم، وعفوتم): طباق إيجاب.

٥١٥ - أحمد مطلوب، **معجم المصطلحات البلاغية وتطورها**، ٢٥٢/٢.

وجمالية هذا الطباق إثارة خيال المتلقي في إعمال ذهنه في الفرق الشاسع بين هذه المتناقضات والبحث عن غاياتها، وأهمها معرفة الفرق بين العمى الذي كان به الشاعر والهدى الذي اهتدى إليه بعد أن صار إلى بني أمية.

هـ- التكرار:

"الإطناب بالتكرار؛ وهو من الأساليب الشائعة في اللغة العربية؛ وقد تعرّض له معظم النحاة والنقاد والبلاغيين فقال الفراء: «والكلمة قد تكررها العرب على التغليظ والتخويف». وسماه أبو عبيدة «مجاز المكرر»"[٥١٦].

لجأ الكميت إلى التكرار ليؤكد للمتلقي الفكرة التي يلح عليها، فكان يكرر تراكيب متشابهة المعنى، مثل:

١- [علم يقيناً - أبصر مستبيناً]: معنى الجملة الأولى مُكرر في معنى الجملة الثانية.

٢- [وحده - لا شريك له]: معنى الجملة الأولى مُكرر في معنى الجملة الثانية.

٣- [هفوات حيرة - مدلهمات ظلمة]: معنى الجملة الأولى مُكرر في معنى الجملة الثانية.

٤- [تهت في حيرة – حرت في سكرة]: معنى الجملة الأولى مُكرر في معنى الجملة الثانية.

٥- [أقلتم عثرته – عفوتم عن جرمه]: معنى الجملة الأولى مُكرر في معنى الجملة الثانية.

فهذه التراكيب متكررة المعنى، وهذا التكرار هو تكرار للمعاني لأن الخطيب يريد تأكيدها للخليفة، وتثبيتها في ذهنه ليحصل على عفوه، وكان له ذلك العفو.

ونستخلص من دراستنا للخطبة الآتي:

---

٥١٦ - المرجع السابق: ٢٣٦/١.

– نحن أمام خطبة لشاعر عُرف بمدحه للهاشميين، ولكنه في نهاية المطاف مدح بني أمية لدرء الفتن، وحصوصاً أنه كان في سنّ متقدّمة مكّنته من الحكمة.

– أحسن الخطيب ابتداء الخطبة وختامها والتعليل فيها، وهذه من الآليات الأسلوبية المهمة في الخطبة، لأنها من معالم بلاغتها، وشديد تأثير.

– غاية الخطبة هي طلب العفو، وطلب العفو كان لا بُدّ له من بلاغة وفصاحة جاءت من خلال مستويات اللغة الأربعة الصوتية والصرفية والتركيبية والدلالية التي نوّع بينها الشاعر ليصل إلى غايته المنشودة، وقد وصل إليها فعلاً مما يؤكد نجاعة هذه الآليات التي اعتمد عليها.

– على الرغم من قصر الخطبة لكن الشاعر بلغ مراده وحقق أمله بالعفو، من خلال بعض التشابيه والكنايات والاستعارات، والمشتقات التي تصبّ في مدح الخليفة، والتراكيب التي تُبيّن خضوع الشاعر وضلاله القديم، والجرس الموسيقي العذب الذي تناسب مع جوّ الاعتذار، والمعاني المتكررة التي تُظهر حيرة الشاعر قبل وصوله إلى بني أمية، ولكنّ وصوله إليهم أزال هذه الحيرة وأصبح ضمن دائرة الهدى.

المبحث الثاني: وصية عبد الحميد بن يحيى الكاتب للكتَّاب

أ– نصُّ الوصيَّة:

"كتب عبد الحميد بن يحيى الكاتب رسالة إلى الكُتّاب يوصيهم فيها، قال:

أما بعدُ حفظكم الله يا أهل صناعة الكتابة، وحاطكم ووفّقكم وأرشدكم، فإن الله عز وجل

جعل الناس بعد الأنبياء والمرسَلِين، صلوات الله عليهم أجمعين. ومن بعد الملوك المكرَّمين أصنافاً، وإن كانوا في الحقيقة سواءً، وصرّفهم في صنوف الصناعات، وضروب المحاولات، إلى أسباب معايشهم، وأبواب أرزاقهم، فجعلكم معشرَ الكُتّاب في أشرف الجهات، أهلَ الأدب والمروءة والعلم والرّواية، بكمْ تنتظم للخلافة محاسنُها، وتستقيم أمورُها، وبنصائحكم يُصْلِح الله للخلق سلطانَهم، وتعمُر بلادهم. لا يستغني الملكُ عنكم، ولا يوجَد كافٍ إلا منكم، فموقعكم من الملوك موقعُ أسماعهم التي بها يسمعون، وأبصارهم التي بها يبصرون، وألسنتهم التي بها ينطقون، وأيديهم التي بها يبطشون، فأمتعكم الله بما خصَّكم من فضل صناعتكم ولا نزع عنكم ما أضْفاه من النّعمة عليكم.

وليس أحدٌ أحوجَ إلى اجتماع خِلال الخير المحمودة، وخصال الفضل المذكورة المعدودة، منكم أيّها الكُتّاب، إذا كنتم على ما يأتي في هذا الكتاب من صفتكم فإن الكاتب يحتاج من نفسه، ويحتاج منه صاحبُه الذي يثِقُ به في مُهمّات أموره، أن يكون حليماً في موضع الحِلم، فهيماً في موضع الحكم، مقداماً في موضع الإقدام، ومِحْجَاماً في موضع الإحجام، مُؤْثِراً للعفاف، والعدل والإنصاف، كتوماً للأسرار، وَفِيّاً عند الشدائد، عالماً بما يأتي من النوازل، ويضع الأمور مواضِعَها، والطَّوارقَ أماكنَها، قد نظر في كل فنّ من فنون العلوم فأحكَمَه، فإنْ لم يحكمه أخذ منه بمقدار يكتفي به، يعرف بغريزة عقله، وحسن أدبه، وفضل تجربته، ما يرد عليه قبل وروده، وعاقبة ما يصدر عنه قبل صدوره؛ فيعدّ لكل أمر عُدَّته وعَتَاده، ويهيئ لكل وجه هيئته وعادته، فتنافَسُوا يا معشرَ الكتّاب، في صنوف الآداب، وتفقّهوا في الدّين، وابدؤوا بعلم كتاب الله عزَّ وجلَّ والفرائض، ثم العربيّة، فإنها ثِقاف ألسنتكم، ثم أجيدوا الخطَّ، فإنه حِليةُ كتبكم، وارْوُوا الأشعار، واعرِفوا غريبها ومعانيها، وأيام العرب والعجم، وأحاديثها وسِيَرها، فإن ذلك معين لكم على ما تسموا إليه هممكم، ولا تضيّعوا النظر في الحساب فإنه قِوَام كُتّاب الخَراج، وارغبوا بأنفسكم عن المطامع سَنِيّها وَدَنِيّها، وسَفْسَاف الأمور ومحاقِرها، فإنها مَذلّة للرقاب، مَفْسَدةٌ

للكُتّاب، ونزّهوا صناعتكم عن الدّناءات، واربؤوا بأنفسكم عن السّعاية والنميمة، وما فيه أهل الجَهالات، وإياكم والكِبْرَ والصَّلَفَ والعظمة، فإنها عداوة مجتلبة من غير إحْنَة، وتحابّوا في الله عز وجل في صناعتكم، وتواصَوا عليها بالذي هو أليقُ بأهل الفضل والعدل والنّبل من سلفكم.

وإن نَبَا الزمان برجل منكم فاعطفوا عليه وواسُوه، حتّى يرجعَ إليه حاله، ويؤوب إليه أمرُه، وإن أقعد أحدكم الكِبَرُ عن مكسبه ولقاء إخوانه، فزوروه وعظِّموه وشاوروه، واستظهِروا بفضل تجربته، وقِدَم معرفته، وليكن الرجل منكم على من اصطنعه واستظهر به ليوم حاجته إليه، أحفظَ منه على ولده وأخيه، فإن عَرضَت في الشغل مَحْمَدة فلا يضيفها إلا إلى صاحبه، وإن عرضت مَذَمَّة فليحملها هو من دونه، وليحذر السّقطةَ والزَّلةَ والملل عند تغيّر الحال، فإن العيب إليكم معشر الكتّاب، أسرعُ منه إلى الفِرَاء، وهو لكم أفسد منهُ لها.

فقد علمتم أن الرجل منكم إذا صحبهُ الرجل، يَبْذل له من نفسه ما يجب له عليهِ من حقّه، فواجبٌ عليه أن يعتقد له من وفائه، وشكره، واحتماله، وصبره، ونصيحته، وكتمان سره، وتدبير أمره، ما هو جزاءٌ لحقّه، ويصدِّق ذلك بفعاله عند الحاجة إليه، والاضطرار إلى ما لديه.

فاستشعروا ذلكم –وفقكم الله من أنفسكم– في حالة الرخاء والشدّة، والحِرمان والمواساة والإحسان، والسّرّاء والضّرّاء، فنِعْمتِ الشيمة هذه لمن وُسِمَ بها من أهل هذه الصناعة الشريفة، فإذا وُلِّيَ الرجل منكم، أو صُيِّر إليه من أمر خلق الله وعِياله أمرٌ، فليراقبِ الله عز وجل، وليُؤثرْ طاعته، وليكنْ على الضعيف رفيقاً، وللمظلوم مُنْصِفاً، فإن الخلق عيال الله وأحبهم إليه أرفقهم بعياله، ثم ليكنْ بالعدل حاكماً، وللأشراف مُكْرِماً، وللفيء موفِّراً، وللبلاد عامراً، وللرعية متألِّفاً، وعن إيذائهم متخلِّفاً، وليكنْ في مجلسه متواضعاً حليماً، وفي سِجِلّات خراجه واستقضاء حقوقه رَفيقاً، وإذا صَحِب أحدكم رجلاً فليختبر خلائقَه، فإذا عرف حَسَنها وقبيحها، أعانه على ما يوافقه من الحسن واحتال لصَرْفه عما

يهواه من القبيح ألطف حيلة، وأجمل وسيلة، وقد علمتم أن سائس البهيمة إذا كان بصيراً بسياستها، التمس معرفة أخلاقها، فإن كانت رَمُوحاً لم يَهِجها إذا ركبها، وإنْ كانت شبوباً اتّقاها من قِبَل يديها، وإن خاف منها شُرُوداً توقّاها من ناحية رأسها، وإن كانت حَرُوناً قمع برفق هواها في طريقها، فإن استمرَّت عَطَفها يسيراً فيَسْلَس له قيادُها، وفي هذا الوصف من السياسة دلائلُ لمن ساس الناس وعاملهم، وخدمهم ودَاخَلَهم.

والكاتب بفضل أدبه، وشريف صنعته، ولطيف حيلته، ومعاملته لمن يُحاوره من الناس ويناظره، ويفهم عنه أو يخاف سطوته، أولى بالرفق بصاحبه ومداراته، وتقويم أَوَده من سائس البهيمة التي لا تُخِير جواباً، ولا تعرِف صواباً، ولا تفهم خطاباً، إلا بقدر ما يُصَيِّرها إليهِ صاحبُها الراكب عليها، ألا فأمعنوا رحمكم الله في النظر، وأَعْمِلوا فيهِ ما أمكنكم من الرويَّة والفكر، تأمنوا بإذن الله ممن صحبتموه النَّبْوَة، والاستثقال والجفوة، ويَصِير منكم إلى الموافقة، وتصيروا منه إلى المؤاخاة والشفقة إن شاء الله تعالى.

ولا يجاوزنَّ الرجل منكم -في هيئة مجلِسه ومَلْبَسه، ومَرْكَبه، ومَطْعَمه، ومَشْرَبه وبنائه وخَدَمه وغير ذلك من فنون أمره- قدرَ حقه، فإنكم -مع ما فضّلكم الله به من شرف صنعتكم- خَدَمةٌ لا تُحمَلون في خدمتكم على التقصير، وحَفَظة لا تُحتمل منكم أفعال التضييع والتبذير، واستعينوا على عفافكم بالقَصد في كل ما ذكرته لكم، وقصصته عليكم، واحذَرُوا متالف السَّرَف، وسوء عاقبة التَّرَف، فإنهما يُعْقِبان الفقر ويذلّان الرِّقاب، وَيَفْضحان أهلهما ولا سيّما الكتّاب، وأرباب الآداب، وللأمور أشباهٌ، وبعضُها دليل على بعض، فاستدلّوا على مُؤْتَنَف أعمالكم، بما سبقت إليه تجرِبتكم، ثم اسلكوا من مسالك التدبير أوضحَها مَحَجَّةً، وأصدقها حُجّة، وأحمدها عاقبة.

واعلموا أنّ للتدبير آفةً مُتْلِفة، وهي الوصف الشاغل لصاحبه عن إنفاذ عمله ورؤيته، فليقصِد الرجل منكم في مجلسه قصدَ الكافي من منطِقه، وليوجِز في ابتدائه وجوابه، وليأخذ بمَجَامع حُجَجه،

فإن ذلك مَصْلحة لفعله، ومَدْفعة للتشاغل عن إكثاره، وَلْيَضْرَع إلى الله في صلة توفيقه، وإمداده بتسديده، مخافةَ وقوعه في الغلط المضِرّ ببدنه وعقله وأدبه، فإنه إن ظن منكم ظانّ، أو قال قائل: إن الذي برز من جميل صنعته وقوّة حركته، إنما هو بفضل حيلته، وحسن تدبيره، فقد تعرّض بظنه أو مقالته إلى أن يَكِلَهُ الله عز وجل إلى نفسه، فيصيرَ منها إلى غير كاف، وذلك على من تأمَّله غيرُ خاف.

ولا يقُل أحد منكم إنه أبْصَرُ بالأمور، وأحملُ لعِبْءِ التدبير من مُرافِقِه في صناعته، ومُصَاحِبه في خدمته، فإن أعقل الرجلين عند ذوي الألباب من رَمَى بالعُجب وراء ظهره، ورأى أن صاحبه أعقَل منه، وأحمَد في طريقته، وعلى كل واحد من الفريقين أن يَعْرِف فضلَ نعم الله جلّ ثناؤه من غير اغترار برأيه، ولا تزكية لنفسه، ولا تكاثر على أخيه أو نظيره، وصاحبه وعشيره، وحمدُ الله واجب على الجميع، وذلك بالتواضع لعظمته، والتذلُّل لعزته، والتحدّث بنعمته.

وأنا أقول في كتابي هذا ما سبق به المثَلُ: "مَنْ يَلْزم النَّصيحة يَلْزَمه العمل" وهو جوهر هذا الكتاب وغُرَّة كلامه، بعد الذي فيه من ذِكْرِ الله عز وجل؛ فلذلك جعلته آخراً وتممته به، تولّانا الله وإياكم يا معشر الطَّلَبة والكَتَبة، بما يتولّى به مَن سبق علمُه بإسعاده وإرشاده، فإنّ ذلك إليه وبيده، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته"[٥١٧].

المطلب الأول: الِدراسة الأسلوبية للوصيَّة

بين أيدينا رسالةٌ لأشهر نُثّار القرن الثاني الهجري، ألا وهو "عبد الحميد بن يحيى بن سعد العامري، بالولاء، المعروف بالكاتب: وهو عالم بالأدب، من أئمة الكُتَّاب. كان جده مولى للعلاء بن

٥١٧- القلقشندي، **صبح الأعشى**، ٨٥/١.

وهب العامري، فنسب إلى بني عامر. يُضرب به المثل في البلاغة، وعنه أخذ المترسلون. أصله من قيسارية. سكن الشام، واختص بمروان بن محمد آخر ملوك بني أمية في المشرق، ويقال:" فتحت الرسائل بعبد الحميد وختمت بابن العميد"[٥١٨]، وكان يعقوب بن داود، وزير المهدي، يكتب بين يديه، وعليه تخرّج. له رسائل تقع في نحو ألف ورقة، طبع بعضها. وهو أول من أطال الرسائل واستعمل التحميدات في فصول الكتب. ولما قوي أمر العباسيين وشعر مروان بزوال ملكه، قال لعبد الحميد: قد احتجت أن تصير إلى عدوي، وتظهر الغدر بي، وإن إعجابهم بأدبك وحاجتهم إلى كتابتك ستحوجهم إلى حسن الظن بك. فأبى عبد الحميد مفارقته، وبقي معه إلى أن قتلا معاً، في بوصير (بمصر)"[٥١٩].

وقد رُويت روايات متعددة في وفاته لعلّ أقربها إلى الصّحة ما تقدّم ذكره[٥٢٠].

وقد وقع اختيارنا على رسالته للكُتّاب من بين عدد من رسائله لأنّها "تُعدُّ دستوراً دقيقاً لوظيفة الكاتب وما عليه من حقوق للخلفاء والولاة وحقوق للرعية في سياستها وضبط شؤونها في الخراج وغير الخراج"[٥٢١]، ولأننا وجدنا فيها مادة قابلة للدراسة الأسلوبية.

ولا تخفى براعة عبد الحميد الكاتب الأدبيّة بين أبناء عصره، وكذلك فيمَن جاء بعده، علماً أنّه فارسي الأصل، ولكنْ يبدو أنّه استفاد أيّما استفادة من رسائل الفرس فمزج في أسلوبه بين بلاغة اللغتين، فـ" العجمُ والعربُ في البلاغة سواءٌ فمن تعلم البلاغةَ بلغةٍ من اللغات ثم انتقل إلى لغةٍ أخرى أمكنه فيها من صنعة الكلام ما أمكنه في الأولى، وكان عبد الحميد الكاتب استخرج أمثلة الكتابة التي رسمها من اللسان الفارسي فحولها إلى اللسان العربي، ويدلك على هذا أيضاً أن تراجم خُطب الفرس

---

٥١٨ – الثعالبي، **يتيمة الدهر**، ١٨٣.

٥١٩– الزركلي، **الأعلام**، ٢٨٩/٣–٢٩٠.

٥٢٠– الروايات موجودة في: شوقي ضيف، العصر **الإسلامي**، ٤٧٣.

٥٢١– شوقي ضيف، **العصر الإسلامي**، ٤٧٤–٤٧٥.

ورسائلهم هي على نمط خطب العرب ورسائلها"[٥٢٢].

وتروم هذه الدراسة أن تدرس رسالة عبد الحميد الكاتب إلى الكُتّاب دراسة أسلوبيّة، فأغلب الدّراسات التي تناولت هذه الرسالة تناولتها من جانب المنهج الفنّي الذي لا يغني ولا يُسمن من جوع، إذ اعتمدوا في دراستها على الانطباع الذاتي، والذوق الشخصي، وأحكام القيمة غير المعللة.

"وهي رسالة عامّة ليست موجَّهة إلى شخص معيّن أو كاتب بعينه، وإنما هي موجّهة إلى هذه الطائفة التي أصبح لها كيان واضح في حياة الدولة، وقد وصف فيها عبد الحميد صناعة الكتابة وأهميّة الكتّاب في تدبير الحكم وما ينبغي أن يتحلوا به من آداب ثقافية وأخرى خلقية وسياسية تتصل بالخلفاء والولاة والرعية"[٥٢٣].

ونلحظ في هذه الرسالة ثلاثة مقاطع رئيسة، الأوّل في ذِكر تشريف الله للناس وخصَّ الكاتب من هؤلاء الناس الكُتّابَ، والثاني في ذِكره لأبرز صفات الكاتب وما يجب أنْ يتحلّى به، والثالث في إسداء النّصيحة للكُتّاب عامّة.

المطلب الثاني: المستوى الصَّوتي

لعلّ الناظر في رسائل عبد الحميد الكاتب يقف عند عباراته المسجوعة وقفة المتأني، لأنّه كثيراً ما يشفع رسائله بالسّجع الذي تطرب له الأذن وتسلس معه العبارة.

أ-السجع:

وقد ساهم السجع في الرسالة التي بين أيدينا مساهمة ظاهرة في استرسال العبارة، وإضفاءِ نغمٍ

٥٢٢- أبو هلال العسكري، **ديوان المعاني**، ٨٩/٢.

٥٢٣- شوقي ضيف، العصر **الإسلامي**: ٤٧٤.

موسيقي عذب منساب على الرسالة، إذ شُفع السجع بأحرف المدّ غالباً، ونجد هذا السجع في المقطع الأول من الرسالة بين قوله: (المرسلين، أجمعين)، و(صنوف الصناعات، ضروب المحاولات)، و(أسباب معايشهم، أبواب رزقهم)، و(محاسنها، أمورها)، و(يسمعون، يُبصرون، ينطقون، يبطشون).

ونجده في المقطع الثاني بين قوله: (المحمودة، المعدودة)، و(الحِلم، الحُكم)، و(الإقدام، الإحجام)، و(العفاف، الإنصاف) .... إلخ.

وكذا في بقيّة المقاطع نجد السجع مسيطراً على الرسالة، لأنّ السجع يُسهّل على الكاتب الإطناب في موضع الإطناب، والإيجاز في موضع الإيجاز، فتتسلسل أفكاره، وتتتابع عباراته تتابُعاً مطرداً واضحاً.

واللّافت للنظر في هذه الرسالة أنّ السجع غالباً ما يكون مشفوعاً بأحرف المدّ الألف أو الواو أو الياء، مما يزيده رونقاً صوتياً مميزاً، أو يكون السّجع أحياناً منتهياً بحرف الهاء التي تمتاز بصوتها التنفسي المهتوت (الضعيف)، إذ يوحي هذا الصّوت في سياق هذه الرسالة بأنّه يساهم في نقل النصيحة للكُتّاب بسهولة ورفق، ففي صوت الهاء إيحاءٌ بخَفْض الصوت وضَعْفه أمام المتلقي، وكأنّ الكاتب لا ينصح بعنفٍ، بل يلتمس من المخاطَب أموراً معيّنةً برفقٍ وأناةٍ، وذلك مما ساعد الكاتب على إسداء النصيحة للكُتّاب بأسلوب فيه الكثير من الترفّق وحسن التهذيب، ومن هذا التكرار الملحوظ للهاء قوله: (ويضع الأمور مواضِعَها، والطَّوارقَ أماكنَها، قد نظر في كل فنّ من فنون العلوم فأحكَمَه، فإنْ لم يحكمه أخذ منه بمقدار يكتفي به، يعرف بغريزة عقله، وحسن أدبه، وفضل تجربته، ما يرد عليه قبل وروده، وعاقبة ما يصدر عنه قبل صدوره؛ فيعدّ لكل أمر عُدَّته وعَتَاده، ويهيئ لكل وجه هيئته وعادته)...

وقوله: (وإن نَبَا الزمان برجل منكم فاعطفوا عليه وواسُوه، حتّى يرجعَ إليه حاله، ويؤوب إليه

أمرُه، وإن أقعد أحدكم الكِبَرُ عن مكسبه ولقاء إخوانه، فزوروه وعظِّموه وشاوروه، واستظهِروا بفضل تجربته، وقِدَم معرفته، وليكن الرجل منكم على من اصطنعه واستظهر به ليوم حاجته إليه، أحفظَ منه على ولده وأخيه، فإن عَرضَت في الشغل مَحْمَدة فلا يضيفها إلا إلى صاحبه، وإن عرضت مَذَمَّة فليحملها هو من دونه، وليحذر السّقطةَ والزَّلةَ والملل عند تغيّر الحال، فإن العيب إليكم معشر الكتّاب، أسرعُ منه إلى الفِرَاء، وهو لكم أفسد منهُ لها).

ب–التكرار:

للتكرار فوائد بلاغية وجمالية كثيرة يحددها السياق الذي يرد فيه التكرار، ومن هذه الفوائد تمكين المعنى والتنبيه وجعل المكرر فاصلة في الكلام والتعظيم والتهويل[٥٢٤]

ونلاحظ تكرار ضمائر الخطاب والغيبة التي يتوجه بها الكاتب إلى الكُتّاب، وكذلك تكرار كلمة (الكتّاب)، وهذا التكرار ساهم في منح النصّ ذلك الإيقاع المتتابع منذ بداية الرسالة إلى نهايتها، فالمتكلّم واحد في هذه الرسالة، والمتلقي عبارة عن مجموعة محددة هم الكُتّاب، سواء أكانوا حاضرين أم غائبين، ولكنّهم مُحدَّدون ومُعيّنون بضمير كاف الخطاب الذي تكرر في جميع المقاطع وأحال إليهم إحالات مُباشرة، بغيةَ إيصال مضمون خطاب الرسالة على أكمل وجه.

ولا يخفى أيضاً تكرار ميم الجمع الدّالة على جماعة الذكور العقلاء التي خاطب بها عبد الحميد الكُتّاب، والتي ساهمت بوضوحٍ أيضاً في إضفاء إيقاع موسيقي متكرر في مقاطع الرسالة أجمعها.

فاعتماد عبد الحميد على تكرار السجع، وأحرف المد، وتكرار الهاء والميم تكراراً واضحاً، هو اعتمادٌ مقصودٌ جاء لغايات صوتية وإيقاعية وأسلوبية ظاهرة، وإنّ أنعمنا النظر فيها وحاولنا حساب

٥٢٤– عبد الرحمن حبنكة، **البلاغة العربية**، (دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٦ هـ– ١٩٩٦م) ، ٢/–٧١ ٧٢.

عدد مرّات تكرارها فلن نجد في ذلك الإحصاء أمراً يُثقل كاهل النص في أثناء تحليله، بل هو أمر يزيدنا يقيناً من أنّ الكاتب لا ينتقي عباراته مجاناً، بل يختارها اختياراً واعياً، ويُكرر ما يريد توكيده وإلحاحه عليه، ولا يخفى أنّ الاختيار روح الدراسة الأسلوبية وجسدها في آنٍ واحد.

المطلب الثالث: المستوى الصّرفي

برز في الرسالة اعتماد الكاتب على الأفعال الماضية والأفعال المضارعة وأفعال الأمر بشكل متناوب، وهذا أمر ليس غريباً أو مستبعداً، فلو اعتمد الكاتب على أفعال الأمر بشكل كبير لارتفع إيقاع الخطاب فأخلَّ بالهدف المنشود من الرسالة، فمع أنّ الرسالة في إسداء النصيحة للكُتّاب، وليس من المستغرب إكثار الكاتب من أفعال الأمر المناسبة للنصيحة، إلّا أنّ الكاتب لم يعتمد عليها اعتماداً كاملاً.

أ–دلالة الأفعال الماضية:

الفعل الماضي يدل على وجود الفعل، وكونه مقطوعاً به"[٥٢٥].

فنراه قد بدأ رسالته بالأفعال الماضية التي خرجت للدعاء للكُتاب: (حفظكم، حاطكم، وفّقكم، أرشدكم)، وهذه من حنكة الكاتب وبراعته، فالأفعال الماضية المذكورة التي خرجت إلى الدعاء أعطت دلالة واضحة منذ بداية الرسالة أنّ الغاية من الرسالة النّصيحة بالرفق والحكمة والموعظة الحسنة.

ب–دلالة الأفعال المضارعة:

ثم نلحظ بعد ذلك مجيء الأفعال المضارعة في سياق حديثه عن تشريف الله للنّاس، صيغة

٥٢٥– ابن الأثير: **الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور**، (تح: مصطفى جواد، مطبعة المجمع العلمي، ١٣٧٥هـ)، ١٠٤.

المضارع تدل على الاستمرار التجديد وهو أدل على كثرة الحركات، والتساقط في جهات متعددة، بخلاف الفعل الماضي، فإنه –وإن دل على هذا المعنى– لا تجدد فيه ولا استمرار"[٥٢٦]. وقد حدّد الكاتب أنّ الكُتّاب من هؤلاء الناس، فقال: (بكمْ تنتظم للخلافة محاسنُها، وتستقيم أمورُها، وبنصائحكم يُصْلِح الله للخلق سلطانَهم، وتعمُر بلادهم. لا يستغني الملكُ عنكم، ولا يوجَد كافٍ إلا منكم، فموقعكم من الملوك موقعُ أسماعهم التي بها يسمعون، وأبصارهم التي بها يبصرون، وألسنتهم التي بها ينطقون، وأيديهم التي بها يبطشون).

ج–دلالة أفعال الأمر:

ثم نلحظ أفعال الأمر قد أتت في المقطع الثالث، وقد خرجت أفعال الأمر هذه إلى معنى الالتماس، "الذي يراد به الطلب مع التساوي بين الآمر والمأمور في الرتبة"[٥٢٧]. وذلك لأنّ المخاطِب هو عبد الحميد الكاتب، وهو أحد كَتَبَة ذلك العصر، والمخاطَب هم الكُتّاب في ذلك العصر أيضاً، فالمخاطِب والمخاطَب بمنزلة واحدة، وما دام الأمر كذلك فإنّ أفعال الأمر لا تغدو أمراً بل تصبح التماساً، ولكنْ هذا المعنى، ونقصد الالتماس، لم يصبح جلياً وواضحاً وظاهراً إلّا بعد تدرُّج الكاتب في رسالته في إيراد الأفعال تِباعاً، مبتدئاً بالأفعال الماضية فالمضارعة فالأمرية، ونكاد نجزم أنّ الكاتب لو ابتدأ بأفعال الأمر في رسالته هذه لَمَا فَهِم المخاطَبون منه التماساً، وإنّما ستقع أفعال الأمر على مسامعهم كأوامر إلزامية لا مفرَّ منها، وسيُلغى بذلك هدف الرسالة، وسينفضّون عن صاحبها، ويصمون آذانهم عن سماع نصائحه وإنْ عظُم شأنها، وعلا قدرُها، ولذا كان عبد الحميد منتبهاً إلى هذا الأمر، فبدأ الرسالة بالأفعال الماضية ولم يبدأ بأفعال الأمر.

---

٥٢٦ – حامد عوني، **المنهاج الواضح للبلاغة**، (المكتبة الأزهرية للتراث)، ١٠٣/٣، حاشية رقم (١).

٥٢٧ – الجرجاني، **التعريفات**، ١٢٥.

ثمّ إنّ الكاتب نوّع في صيغة فعل الأمر، فلم يعتمد أفعال الأمر فقط، بل جاء أيضاً بلام الأمر المتبوعة بالفعل المضارع المجزوم، والملاحظ أنّ الصيغة الثانية فيها رفق واضح أمام مَنْ تُسدى إليه النصائح وتُكال له الخِلال ويُذكَّر بالمناقب، فصيغة الفعل المضارع المسبوق بلام الأمر ليست كفعل الأمر المباشر الذي قد يُلهب المتلقي فيظنّ منه معناه الذي وُضع من أجله، وإنّما هي أخفّ وطأةً في اللفظ والمعنى، وخصوصاً إذا كانت هذه الصيغة هي (لِيكُن)، لأنّ معنى الأمر فيها لن يظهر إلّا عند مجيء خبر كان، كقوله: (وليكن الرجل منكم على مَن اصطنعه واستظهر به ليوم حاجته إليه، أحفظَ منه على ولده وأخيه)، فلو قال: احفظوا مَن اصطنعتموه واستظهرتموه ليوم حاجتكم إليه حفظَكم لولدكم وأخيكم، لوجدنا بوناً شاسعاً في المعنى بين هذه الجملة المباشرة، وجملته التي جاءت بأسلوب غير مباشر وفيه إطناب أيضاً فكانت برأينا أخفّ على المتلقي بشكل واضح.

د–دلالة النهي:

النهي هو طلب الكف عن الفعل وله أغراض بلاغية عديدة منها التوبيخ أو الالتماس أو النصح والإرشاد.

ثم جاء بصيغة النهي: (لا يجاوزنَّ، لا يقل أحدٌ منكم)، وهذا التنويع بين صيغ الأمر والنهي غايته عدم شعور المتلقي برتابة الخطاب وتكرار معانيه تكراراً لا فائدة منه.

هـ–دلالة المشتقات:

اللغة العربية لغة اشتقاق، وكلما قلبنا المفردة نحصل على معنى مختلف، وللاشتقاق منفعة في تقليب المعنى وتقريبه"[٥٢٨].

ومن الصيغ الصرفية اللافتة للنظر في هذه الرسالة اعتماده على المصادر، ولاسيّما المصدر

---

٥٢٨ – ابن جني، **الخصائص**، ٣٦٧/١.

الميمي الذي ورد في بعض جمله، ومنها قوله: (وليأخذ بمَجَامع حُجَجه، فإن ذلك **مَصْلحة** لفعله، و**مَدْفعة** للتشاغل عن إكثاره، وَلْيَضْرَع إلى الله في صلة توفيقه، وإمداده بتسديده، **مخافةَ** وقوعه في الغلط المضِرّ ببدنه وعقله وأدبه) ...

والمصدر الميمي فيه المعنى المطلق للمصدرية مع التوكيد، لذلك فإنّ وروده في سياق النصيحة مهم وذو أثر بالغ في المتلقي.

وليس من الغريب استعمال الكاتب لصيغ اسم الفاعل واسم المفعول ومبالغة اسم الفاعل والصفة المشبهة به في سياق حديثه عن صفات الكاتب وإنْ قلّ عددها، وهي قوله: (حليماً، فهيماً، مقداماً، مِحجاماً، مُؤثِراً، كتوماً، وَفيّاً، عالماً).

المطلب الرابع: المستوى التركيبي

وفي هذا المستوى سنتحدث عن أهمّ خصائص التراكيب التي وردت في الرسالة من تعريف وتنكير، وتقديم وتأخير، والتفات و"الانزياح القائم على خروج اللغة من منطقها النحوي العادي إلى منطقها الجمالي القائم على إكساب الدلالة والتركيب المفَنّنِ والمعجم الشعري"[٥٢٩].

أ–التعريف:

الرسالة كما أسلفنا مُوجهة إلى الكُتّاب، أي إلى فئة محددة ومخصصة، ولذا فإنّ التعريف سيظهر جلياً فيها، وهذا التعريف ورد بجميع أنواع المعارف، ولكنّ الطاغي في الرسالة كان التعريف بضمير كاف

٥٢٩ - HAFEL ALYOUNES، **بائيةكعب بن سعد الغنوي دراسةفي فحولتها وبنائها**، Kırıkkale Üniversitesi Sosyal Bilimler Dergisi (KÜSBD) Cilt 10, Sayı 2, Temmuz 2020, Sayfa 705-729 Kırıkkale University Journal of Social Sciences (KUJSS) Volume 10, No 2, July 2020, Pages 705-729 ,

الخطاب الذي يُحالُ إلى الكُتّاب، حيثُ ضجّ به النص من بدايته إلى نهايته، كما كَثُرَ التعريف بالإضافة في أغلب تراكيب النص، فقد غلب التركيب الإضافي بشكل ملحوظ حتى بدا كأنّه منوالٌ يغزل عليه الكاتب مفرداته، فتغزر وتزيد وتتكاثف وتأتي تِباعاً، تتضمن الإضافة تعظيماً لشأن المضاف، أو المضاف إليه، أو غيرهما, كما تتضمن الإضافة تحقيراً لشأن المضاف، أو المضاف إليه، أو غيرهما. [٥٣٠]

وهذا الجدول يُبيّن لك نموذجاً مما لاحظناه:

المضاف	المضاف إليه
صنوف	الصناعات
ضروب	المحاولات
أسباب	معايشهم
أبواب	أرزاقهم
معشر	الكتاب
أشرف	الجهات
أهل	الأدب
موقع	أسماعهم
خلال	الخير
خصال	الفضل
موضع	الحلم
موضع	الحُكم

وهذا نموذج يسير مما ورد في الرسالة، والحقّ أنّ الرسالة ضجّت بمثل هذا التركيب الإضافي، ولا نشكّ في أنّ هذه التراكيب قد أسلست العبارة للكاتب، وسهّلت له انقياد التراكيب الواحد منها تلو الآخر بشكل متتابع مطرد قد لا ينتهي، فضمن الكاتبُ بذلك إطناب رسالته أو إيجازها متى شاء.

٥٣٠ – حامد عوني، **المنهاج الواضح للبلاغة**، ١٢٣/٤.

ب–التنكير:

يفيد التنكير الاشتراك بين الشيء وغيره في نفس الموضع"[٥٣١].

أمّا التنكير فكان حظّه أقل بكثير في هذه الرسالة من التعريف، ولعلّنا قد بيّنا ذلك من خلال ما قلناه من أنّ الرسالة مخصصة للكُتّاب دون سواهم، لذلك التعريف كان أشد صلة بأسلوب الرسالة. وقد جاءت كلمات التنكير غالباً لتدلَّ على العموم مثل؛ ولا يقلْ أحدٌ، وليس أحدٌ، يكون حليماً، مقداماً، محجاماً، مؤثِّراً، رجلاً.

ج–التقديم والتأخير: قد يتقدم المعمول على عامله لأغراض بلاغية يحددها السياق، ومن هذه الأغراض:

١– إفادة التخصيص، أي قصر الفعل على معموله لا يتعداه إلى غيره، كما في قوله سبحانه: (إياك نعبدُ وإياك نستعين).

٢– مجرّد الاهتمام بأمر المقدَّم. كقولك: الحقَّ قلتُ.

٣– المسارعة في التبرك به، أو التلذذ، أو المسرة، أو المساءة، وأمثلة ذلك على الولِاء: اللهَ سألتُ، و: خاتمَ المرسلين أجبتُ، و: طرابلسَ قصدتُ، و: وطني عشقتُ، و: خيراً لقيتُ، و: راحةً وجدتُ، وراحلاً غير آيبٍ ودَّعتُ، و: شراً كُفيتُ.

٤– كونُ المعمول محطّ إنكار. كأن تقول: أ طولَ الدهرِ ترحلُ وتنزلُ؟

٥– مجاراة كلام السامع– كأن تقول: "محمداً قصدت" في إجابة مَن سألك: "مَنْ قصدتَ؟".

---

٥٣١ – علي بن عيسى الرماني، **رسالة الحدود**، (تح: إبراهيم السامرائي، دار الفكر، عمان، ١٩٨٢م)، ص٦٨.

٦- الحفاظ على الوزن في الشِّعر، أو رعاية الفاصلة في النَّثر"[٥٣٢].

أمّا التقديم والتأخير فقد لاحظناه في المقطع الأول من الرسالة إذ قال: (بكمْ تنتظم للخلافة محاسنُها، وتستقيم أمورُها، وبنصائحكم يُصْلِح الله للخلق سلطانَهم، وتعمُر بلادهم).

وكذلك ورد التقديم والتأخير في المقطع الثالث، ومن ذلك قوله: (فواجبٌ عليه أن يعتقد له من وفائه، وشكره، واحتماله، وصبره، ونصيحته، وكتمان سره، وتدبير أمره، ما هو جزاءٌ لحقّه)، وقوله: (ثم ليكنْ بالعدل حاكماً، وللأشراف مُكْرِماً، وللفيء موفِّراً، وللبلاد عامراً، وللرعية متألِّفاً، وعن إيذائهم متخلِّفاً، وليكنْ في مجلسه متواضعاً حليماً، وفي سِجِلّات خراجه واستقضاء حقوقه رَفيقاً)، وقوله: (وعلى كل واحد من الفريقين أن يَعْرِف فضلَ نعم الله جلّ ثناؤه من غير اغترار برأيه).

ولا يخفى ما للتقديم من أهميّة للمُقدّم وتشويق للمؤخّر في سياق ما ذكره عبد الحميد في المواضع السابقة.

د- الالتفات:

كان "العرب يستكثرون منه [أي من فن الالتفات] ويرون الكلام إذا انتقل من أسلوب إلى أسلوب أدخل في القبول عند السامع، وأحسن تطرية لنشاطه "[٥٣٣].

وقد لمحنا الالتفات في قوله: (وصرّفهم في صنوف الصناعات، وضروب المحاولات، إلى أسباب معايشهم، وأبواب أرزاقهم، فجعلكم معشرَ الكُتّاب في أشرف الجهات).

فقد التفت الكاتب إلى الكُتّاب من خلال ضمير الخطاب بعد أن كان يتحدث بضمير

٥٣٢ - العاكوب، **المفصل في علوم البلاغة العربية (المعاني والبيان والبديع)**، ٢٣٦-٢٣٥.

٥٣٣ - أبو يعقوب السكاكي، **مفتاح العلوم**، ١٩٩.

الغائب، ولا تخفى جمالية هذا الأسلوب في لفت انتباه المتلقي وشدّه إلى ما يُقال.

هـ–الإطناب:

"الإطناب زيادة اللفظ على المعنى لفائدة "[٥٣٤].

كما لاحظنا الإطناب بوضوح في رسالته، وقد عُرف عن عبد الحميد الكاتب أنّه يُكثر من الإطناب في رسائله، ولعلّ غايته من ذلك إيصال فكرته على أكمل وجه في معظم هذه الرسائل، ومن هذا الإطناب كثرة الاعتراض في رسالته، ومنه قوله: (ولا يجاوزنَّ الرجل منكم –في هيئة مجلِسه ومَلْبَسه، ومَرْكَبه، ومَطْعَمه، ومَشْرَبه، وبنائه وخَدَمه وغير ذلك من فنون أمره– قدرَ حقه، فإنكم –مع ما فضّلكم الله به من شرف صنعتكم– خَدَمةٌ لا تُحمَلون في خدمتكم على التقصير). جاء الإطناب هنا من خلال الاعتراض حيث اعترض بجملة طويلة وهي (في هيئة مجلِسه ومَلْبَسه، ومَرْكَبه، ومَطْعَمه، ومَشْرَبه، وبنائه وخَدَمه وغير ذلك من فنون أمره– قدرَ حقه،) بين الفعل (يجاوزنَّ) ومفعوله (قدر). وكذلك اعترض بجملة (مع ما فضّلكم الله به من شرف صنعتكم)، (وإنكم) وخبرها (خَدَمَةٌ).

وهكذا فقد نوّع عد الحميد الكاتب في تراكيبه، وتكمن أهمية هذا التنويع في الابتعاد عن الرتابة، والتفاعل مع المتلقي، ولفت انتباهه إلى تراكيب متنوعة، لكلّ منها دلالتها الخاصة في سياقها التي وردت فيه.

المطلب الخامس: المستوى الدّلالي

٥٣٤ – ابن الأثير، **المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر**، ١٠٩/٢.

لا يخفى على المتلقي أنّ الحقل الدّلالي المهيمن في هذه الرسالة هو الحقل الخاص بصفات الإنسان عموماً، والكاتب خصوصاً، السلبي منها أو الإيجابي، ومن الألفاظ التي تنتمي إلى هذا الحقل قوله: (الخير، الفضل، حليماً، فهيماً، مقداماً، كتوماً، وفياً، السعاية، النميمة، الكِبر، الصّلف، العظمة، العدل، النبل، الملل،).

وفي حديث الكاتب عن عدّة الكاتب وعتاده هيمن حقل العلوم والمعارف، ومن الألفاظ التي تنتمي إلى هذا الحقل: (الآداب، الدين، الفرائض، العربية، الخط، الأشعار، أيام العرب والعجم، أحاديثها، سيرها، الحساب، الخَراج،).

وقد لاحظنا الاستيحاء كعنصر دلالي واضح في رسالته هذه، فقوله مثلاً: (فموقعكم من الملوك موقعُ أسماعهم التي بها يسمعون، وأبصارهم التي بها يبصرون، وألسنتهم التي بها ينطقون، وأيديهم التي بها يبطشون)، يُذكّرنا بالحديث القدسي الذي جاء فيه: {عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: "إِنَّ اللَّهَ قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيّاً فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْب، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْه، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِه، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّه، وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ}[٥٣٥].

أمّا قوله: (وتحابّوا في الله عز وجل في صناعتكم، وتواصَوا عليها بالذي هو أليقُ بأهل الفضل والعدل والنّبل من سلفكم)، فيُذكّرنا بقوله تعالى: (وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر).

كما أنّ عبد الحميد قد استشهد بالمثل العربي: **(مَنْ يلزم النّصيحة يلزمه العمل)** في نهاية

٥٣٥- شلباية المصري، أبو عبد الله مصطفى بن العدوى، **الصحيح المسند من الأحاديث القدسية**، (دار الصحابة للتراث)، ٨٠-٧٩.

رسالته، وهذا من البلاغة فقد قام بتوظيف المثل في سياقه الصحيح، فبعد أن أنهى نصائحه للكُتّاب أراد منهم تطبيق هذه النصائح، فذكّرهم بهذا المثَل، فختم به رسالته مع أنّه جوهر الرسالة، ولكنّه أكّد أنّه ذكره في آخر الرسالة لأنه أراد أن يكون مُتمماً لما تحدّث عنه، وهذا ما يُسمّى في البلاغة حسن الاختتام.

ونستخلص من دراستنا للوصيَّة النتائج الآتية:

١- يُعدُّ عبد الحميد الكاتب أشهر كُتّاب عصره، لدرجة أنّهم قالوا في فضل مكانته: "فتحت الكتابة بعبد الحميد وختمت بابن العميد" [٥٣٦]، وهذا دليل على شهرته وذيوع صيته آنذاك.

٣- وجدنا أن رسالة الكاتب هذه قد دُرست دراسة فنّية ذوقيّة بحسب ما اطلعنا عليه، ورأينا أنْ ندرسها دراسة أسلوبية لنضع في هذه الدراسة أيدينا على مواطن الجمال والتأثير معللين ذلك بأدلة من الرسالة نفسها.

٤- كشف التحليل الأسلوبي في المستوى الصوتي اعتماد الكاتب على السجع وتكرار بعض الأحرف التي ساعدت على إعطاء النص إيقاعاً سلساً ومتتابعاً، وعلى المستوى الصرفي وجدنا تدرُّج الأفعال من الماضي إلى المضارع فالأمر، والصيغ الصرفية الاشتقاقية الخاصة بوصف الكُتّاب، وعلى المستوى التركيبي نوّع الكاتب في تراكيبه من تعريف وتقديم وتأخير والتفات وانزياح، أمّا على المستوى الدلالي فقد برز حقلان هما: حقل صفات الإنسان، وحقل العلوم والمعارف، كما برز عنصر الاستيحاء كإشارة إلى ثقافة الكاتب وسعة اطلاعه.

المبحث الثالث: ملامح أسلوبية وحجاجية في مناظرة عمر بن عبد العزيز للخوارج

---

٥٣٦ – الثعالبي، **يتيمة الدهر**، ١٨٣.

مناسبة المناظرة:

"خرج سنة مائة بالجزيرة شوذب الخارجي –واسمه بِسطام من بني يشكر– فكتب إليه عمر بن عبد العزيز: بلغني أنك خرجت غضباً لله ولرسوله، ولست أولى بذلك مني، فهلم إلي أناظرك، فإن كان الحق بأيدينا دخلت فيما دخل فيه الناس، وإن كان في يدك، نظرنا في أمرك، فكتب بِسطام إلى عمر: قد أنصفت، وقد بعثت إليك رجلين يدارسانك ويناظرانك، وأرسل إلى عمر مولى لبني شيبان حبشيّاً اسمه عاصم، ورجلاً من بني يشكر، فقدما على عمر بخناصرة[٥٣٧]، فأخبر بمكانهما، فقال: فتشوهما لا يكن معهما حديد وأدخلوهما، فلما دخلا قالا: السلام عليك، ثم جلسا، فقال لهما عمر: أخبراني ما الذي أخرجكم مخرجكم هذا؟ وما نقمتم علينا؟ فقال عاصم: ما نقمنا سيرتك، إنك لتتحرى العدل والإحسان، فأخبرنا عن قيامك بهذا الأمر، أعن رضا من الناس ومشورة، أم ابتززتم أمرهم؟ فقال عمر: ما سألتهم الولاية عليهم، ولا غلبتهم عليها، وعهد إلي رجل كان قبلي، فقمت ولم ينكره علي أحد، ولم يكرهه غيركم، وأنتم ترون الرضا بكل من عَدَلَ وأَنْصَفَ، من كان من الناس، فاتركوني ذلك الرجل، فإن خالفت الحق ورغبت عنه فلا طاعة لي عليكم، فقالا: بيننا وبينك أمر، إن أنت أعطيتناه فنحن منك وأنت منا، وإن منعتناه فلست منا ولسنا منك، فقال عمر: وما هو؟ قالا: رأيناك خالفت أعمال أهل بيتك، وسميتها مظالم، وسلكت غير سبيلهم، فإن زعمت أنك على هدى وهم على ضلال، فالعنهم وتبرأ منهم، فهذا الذي يجمع بيننا وبينك أو يفرق، فتكلم عمر، "إني قد علمت أنكم لم تخرجوا مخرجكم هذا لطلب دنيا ومتاعها، ولكنكم أردتم الآخرة، فأخطأتم سبيلها، إن الله عَزَّ وَجَلَّ لم يبعث رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لعاناً وقال إبراهيم﴿فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُۥ مِنِّي ۖ وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ

---

[٥٣٧] – موقع شرقي مدينة حلب.

غَفُورٌ رَّحِيمٌ [إبراهيم: ٣٦]، وقال الله عَزَّ وَجَلَّ: أُوْلَٰئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ [الأنعام: ٩٠]، وقد سميت أعمالهم ظلماً، وكفى بذلك ذماً ونقصاً، وليس لعن أهل الذنوب فريضة لا بد منها، فإن قلتم إنها فريضة فأخبرني متى لعنت فرعون؟ قال: ما أذكر متى لعنته. قال: أفيسعك أن لا تلعن فرعون وهو أخبث الخلق وشرهم، ولا يسعني أن لا ألعن أهل بيتي وهم مصلون صائمون؟ قال: أما هم كفار بظلمهم؟ قال: لا؛ لأنَّ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دعا الناس إلى الإيمان، فكان من أقرَّ به وبشرائعه قبل منه، فإن أحدَثَ حدثاً أُقِيمَ عليه الحد، فقال الخارجي: إن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دعا الناس إلى توحيد الله والإقرار بما نزل من عنده. قال عمر: فليس أحد منهم يقول: لا أعمل بسنة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولكن القوم أسرفوا على أنفسهم، على علم منهم أنه محرم عليهم، ولكن غلب عليهم الشقاء قال عاصم: فابرأ ممن خالف عملك، وردَّ أحكامهم، قال عمر: أخبراني عن أبي بكر وعمر: أليسا من أسلافكما وممن تتوليان، وتشهدان لهما بالنجاة؟ قالا: اللهم نعم. قال: فهل علمتما أن أبا بكر حين قُبِضَ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فارتدت العربُ، قاتلَهُم فسَفَكَ الدماء، وأَخَذَ الأموالَ، وسبى الذراري؟ قالا: نعم. قال: فهل علمتم أن عمر قام بعد أبي بكر، فردَّ تلك السبايا إلى عشائرِها بفدية؟ قالا: نعم، قال: فهل بَرِئَ عمرُ من أبي بكر، أو تبرؤون أنتم من أحدٍ منهما؟ قالا: لا. قال: فأخبراني عن أهل النهروان أليسوا من صالحي أسلافكم وممن تشهدون لهم بالنجاة؟ قالا: بلى، قال: فهل تعلمون أن أهل الكوفة حين خرجوا كفوا أيديهم فلم يسفكوا دماً، ولم يخيفوا آمناً، ولم يأخذوا مالا؟ قالا: نعم. قال: فهل علمتم أن أهل البصرة حين خرجوا مع مسعر بن فُدَيك، اسْتَعْرَضُوا الناسَ يَقْتُلُونهم، ولقوا عبد الله بن خبّاب ابن الأرتّ، صاحب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقتلوه، وقتلوا جاريته؟ ثم صَبَّحُوا حيّاً من أحياء العرب،

فاستعرضوهم، فقتلوا الرجال والنساء والأطفال حتى جعلوا يلقون الصبيان في قدور الإقط[٥٣٨] وهي تفور؟ قالا: قد كان ذلك. قال: فهل يبرأ أهل البصرة من أهل الكوفة، وأهل الكوفة من أهل البصرة؟ قالا: لا. قال: فهل تبرؤون أنتم من إحدى الطائفتين؟ قالا: لا. قال: أرأيتم الدين واحداً أم اثنين؟ قالا: بل واحداً. قال: فهل يسعكم فيه شيء يعجز عني؟ قالا: لا. قال: فكيف وسعكم أن توليتم أبا بكر وعمرو، وتولى أحدهما صاحبه، وتوليتم أهل البصرة وأهل الكوفة، وتولى بعضهم بعضاً، وقد اختلفوا في أعظم الأشياء، في الدماء والفروج والأموال، ولا يسعني فيما زعمتم إلا لعن أهل بيتي والتبرؤ منهم؟ ويحكم! إنكم قومٌ جهال، أردتم أمراً، فأخطأتموه، فأنتم تردون على الناس ما قبل منهم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ويأمن عندكم من خاف عنده، ويخاف عندكم من أمن عنده. قالا: ما نحن كذلك. قال عمر: بل سوف تقرُّون بذلك الآن، هل تعلمون أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعث إلى الناس وهم عبدة أوثان، فدعاهم إلى خلع الأوثان، وشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، فمن فعل ذلك حقن دمه وأحرز ماله، ووجبت حرمته، وكانت له أسوة المسلمين؟ قالا: نعم. قال: أفلستم أنتم تلقَوْن من يخلع الأوثان، ويشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، فتستحلون دمه وماله، وتلقَوْن من ترك ذلك وأباه من اليهود والنصارى وسائر الأديان، فيأمن عندكم، وتحرمون دمه؟ فقال اليشكري: أرأيت رجلاً ولي قوماً وأموالهم، فعدل فيها، ثم صيرها بعده إلى رجل غير مأمون، أتراه أدى الحق الذي يلزمه لله عَزَّ وَجَلَّ؟ أو تراه قد سلم؟ قال عمر: لا. قال: أفتسلّم هذا الأمر إلى يزيد[٥٣٩] من بعدك وأنت تعرف أنه لا يقوم فيه بالحق؟ قال: إنما ولاه غيري، والمسلمون أولى بما يكون منهم فيه بعدي، قال: أفترى ذلك من صنع من ولاه حقّاً؟ فبكى عمر وقال: أنظراني[٥٤٠] ثلاثاً فخرجا من عنده ثم عادا إليه،

٥٣٨- الأقط بفتح الهمزة وكسرها: شيء يتخذ من المخيض الغنمي.

٥٣٩- هو يزيد بن عبد الملك، وقد ولي الخلافة بعد عمر بن عبد العزيز "سنة ١٠١- سنة ١٠٥هـ".

٥٤٠- أمهلاني.

فقال عاصم: أشهد أنك على حقٍّ، فقال عمر لليشكري: ما تقول أنت؟ قال: ما أحسن ما وصفت، ولكن لا أفتات على المسلمين بأمر، أعرض عليهم ما قلت، وأعلم حجتهم، فأما عاصم فأقام عند عمر، فأمر له عمر بالعطاء، فتوفي بعد خمسة عشر يوماً، فكان عمر يقول: أهلكني أمر يزيد وخصمت فيه، فأستغفر الله، فخاف بنو أمية أن يُخرج ما بأيديهم من الأموال، وأن يخلع يزيد من ولاية العهد، فوضعوا على عمر من سقاه سُمّاً، فلم يلبثْ بعد ذلك إلا ثلاثاً، حتى مرض ومات"[٥٤١].

المطلب الأول: الملامح الأسلوبية في المناظرة

تُقسم هذه الملامح في المناظرة السابقة على أربعة مستويات، هي المستوى: الصوتي، والصرفي، والنحوي، والدّلالي.

وسنضيف ملمحاً إضافيّاً هو الملمح الحجاجي الذي يُمكن أنْ يُدرس ضمن المستوى الدّلالي.

– ملخّص المناظرة:

– سمع عمر بن عبد العزيز (٩٩هـ–١٠١هـ) أنّ الخوارج ثاروا في الجزيرة سنة (١٠٠هـ) غضباً لله ولرسوله في زمن خلافته، فبعث إليهم ليناظرهم لأنه خليفة المسلمين في ذلك الوقت، وهو أحقّ منهم بإعلاء كلمة الله أمام الناس.

– فأرسل زعيمهم (شوذب الخارجي) لعمر رجلين هما: عاصم، ورجل من يشكر، وأخذا يُناظرانه بأنه أخذ الخلافة على غير وجه حق، وعليه أن يتبرأ من أهل بيته ويلعنهم، لأنّ الخوارج كفّروا عثمانَ وعليّاً ومعاوية ومن والاه، أما عمر فقد قبل الخلافة من سليمان بن عبد الملك ولكنه لم يقتل الخوارج بل ناظرهم وحاججهم، فناظرهم عمر بأن الرسول لم يُبعث لعّاناً، وما من عاقل يستطيع لعن أهله.

٥٤١– ابن عبد ربه، **العقد الفريد**، ١: ٢١٦.

– أما الخلافة فقد عهد بها إليه رجل قبله، فقالوا له: كما قبلت بها فهل سوف تسلّمها إلى يزيد من بعدك، وهو ليس أهلاً لها؟ فهم يكرهون الأمويين، لأنهم كفّار في نظرهم، فطلب أن يمهلاه ثلاثة أيام، وبعد الأيام الثلاثة قال لهم: سأعرض أمركم على المسلمين فإن قبلوا برأيكم فلا بأس عندي، فخاف بنو أمية أنْ يُخلع يزيد من ولاية العهد، بسبب الخوارج الذين يكرهونهم، لأن الخوارج طلبوا من سيدنا علي قتال معاوية فرفض فكفّروه وكفّروا الأمويين، فوضع بنو أمية على عمر من سقاه السّمّ، خوفاً من أن يتأثر بكلام الخوارج، فمرض ومات بعد ثلاثة أيام.

المطلب الثاني: المستوى الصوتي

وندرس في هذا المستوى ما يتعلق بالأصوات، من مثل: السجع، وتكرار بعض الأحرف.

١– **السجع**: هو "**تكلّم بكلام له فواصل كفواصل الشعر من غير وزن**"[٥٤٢].

وله عدد من الأمثلة في المناظرة هي:

– قول عمر: إني قد علمت أنكم لم تخرجوا مخرجكم هذا لطلب دنيا ومتاعها، ولكنكم أردتم الآخرة، فأخطأتم سبيلها: فالسجع بين الكلمتين (متاعها، وسبيلها) فقد اتحدتا في آخر حرفين منها وهما (ها).

– وقوله: ولكن القوم أسرفوا على أنفسهم، على علم منهم أنه محرم عليهم: والسجع بين الكلمتين (أنفسم، وعليهم)، اللتين اتحدتا بآخر حرفين وهما (هم).

– قوله: أفلستم أنتم تلقَوْن من يخلع الأوثان، وتلقَوْن من ترك ذلك وأباه من اليهود والنصارى وسائر الأديان: والسجع ظاهر بين كلمتي (الأوثان، والأديان)، فنرى التوافق بين آخر حرفين من الكلمتين وهما (ان).

٥٤٢ – أحمد مطلوب، معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، مطبعة المجمع العلمي العراقي، ١٩٨٣م، ١٤٤/١.

– ونلاحظ أنّ السجع في المناظرة جاء على لسان عمر بن عبد العزيز فقط؛ لأنّه رجل بليغ وخليفة مُحنّك، أما الخوارج فلم نلحظ في كلامهم السجع مطلقاً، وتفسير ذلك أنهم كانوا يريدون أمراً محدداً هو أن يقرّ عمر بما يريدونه، فكانوا يسألونه أسئلة تقريرية دون أن يهتموا بالتسجيع.

٢– تكرار بعض الأحرف:

– تكررت بعض أحرف النفي وأحرف الاستفهام وأحرف الجر في المناظرة، فخلق تناغماً صوتياً في المناظرة، وكان "الهدف من التكرار هو تبليغ المعنى وإيضاحه، وإبرازه في أحسن صورة"[٥٤٣]. ومن هذا التكرار:

أ– تكرار حرف الجزم والنفي والقلب (لم) في قول عمر: فقمت ولم ينكره علي أحد، ولم يكرهه غيركم.

وقوله: فهل تعلمون أن أهل الكوفة حين خرجوا كفوا أيديهم فلم يسفكوا دماً، ولم يخيفوا آمناً، ولم يأخذوا مالاً؟

ب– تكرار حرف الجر (من) في قول الخارجيين: إن أنت أعطيتناه فنحن منك وأنت منا، وإن منعتناه فلست منا ولسنا منك.

ج– تكرار حرف الاستفهام (هل): في قول عمر: فهل علمتما ... فهل علمتم ... فهل بَرِئَ ... فهل تعلمون ... فهل علمتم ... فهل يبرئ ... فهل تبرؤون ... فهل يسعكم...

لاحظنا أنّ تكرار حرف الاستفهام (هل) هو الأكثر وروداً في المناظرة، وهذا أمر منطقي؛ لأنّ المناظرة تقوم على السؤال والجواب، وكان هذا التكرار على لسان عمر بن عبد العزيز وليس على لسان

---

٥٤٣ – هناء محمد حرامي(hanaa harami)، (**التجربة الجمالية عند العرب، تلقي أدب الجاحظ حتى نهاية القرن الخامس الهجري نموذجا، SONÇAG AKADAMI** ،) ٢٠١٩م، ص١١٥.

الخارجيين، وكذلك كرر الخليفة عمر حرف النفي والجزم والقلب (لم)، وهذا التكرار جاء لتأكيد نفي مزاعم الخارجيين اللذين يُناظرانه، أما الخارجيان فقد تكرر على لسانهما حرف الجر (من).

المطلب الثالث: المستوى الصّرفي

– المقصود بالمستوى الصرفي النظر إلى بناء الكلمة من حيث الاشتقاق والتصريف والأفعال ومدى فاعليتها في النص.

– وقد بُنيت المناظرة على الأفعال، ولم ترد المشتقات في المناظرة، وإنما جاءت بعض المصادر بدلاً منها.

أ– الأفعال:

– وردت الأفعال الماضية في المناظرة بكثرة، وهي تدل على توكيد تحقق حدوث هذه الأفعال ووقوعها على أرض الواقع، ومن هذه الأفعال هي: أخرجكم، نقمتم، ابتززتم، قال، سألتهم، غلبتهم، عَهِدَ، قمتُ، كان، خالفتُ، رغبتُ، قالا، أعطيتناه، منعتناه، لست، لسنا، رأيناك، خالفتَ، سمّيتها، سلكت، زعمتَ، حمد، أثنى، علمتُ، أردتم، أخطأتم، سميّتُ، كفى، ليس، قلتم، لعنتَ، دعا، أقرَّ، أحدث، نزل، ...

– هذه الأفعال وردت على لسان طرفَي المناظرة، وهما: الخوارج، وسيدنا عمر بن عبد العزيز، وهي تشير إلى الأحداث التي حصلت على أرض الواقع، فجاءت بصيغة الماضي، والماضي هو الصيغة الأكثر وروداً في المناظرة؛ لأنها حديث عن أيام الخلافة التي حكمها عمر بن عبد العزيز وأراد الخوارج الاستفسار من عمر عنها أهي ابتزاز أو على رضا من الناس.

– أما الأفعال المضارعة فقد وردت بنسبة أقلّ في المناظرة، وهي: لتتحرى، تَرَون، يجمع، يُفَرّق، تكلّم، أذكر، يسعك، تلعن، يسعني، ألعن، يقول، تتوليان، تشهدان، تشهدون، تعلمون، يقتلونهم،

يلقون، تفور، تبرؤون، يسعكم، يعجز، يسعني، ترُدّون، يأمن، يخاف، تُقرّون، تعلمون، تلقَون، يخلع، يشهد، يأمن، تحرّمون، يلزمه، تسلّم، تعرف، يقوم، يكون، أشهد، تقول، أفتاتُ، أعرضُ، أعلمُ، يقول، أستغفر، يُخرج، يُخلع.

– ونلاحظ أنّ هذه الأفعال تصف الواقع الذي يحدث في أثناء الحديث مع سيّدنا عمر، فمن الأفعال التي جاءت على لسان الخوارج فيها إقرار له بالخلافة كالفعل (تتحرى)، ومنها ما يريده الخوارج من عمر، ويأتي الرّد من عمر على الخوارج بأفعال فيها حُجّة ودليل وبرهان على أنّ توليه للخلافة أيضاً كان على حقّ، ولكنّه تارة توجّه إليهما بالخطاب، فقال: (تتوليان، تشهدان)، وتارة يشمل الخوارج كلّها معهم من مثل: (تشهدون، تعلمون، يقتلونهم، تلقون)، لأنها أفعال الخوارج الشنيعة بحقّ الناس الآمنة البريئة، وهي أفعال قد تتكرر إنْ هو فعل ما يريدون من عدم تسليم الخلافة للأمويين.

– ومع ذلك نلحظ أنّ الخارجيين قد أقنعاه أيضاً بحُجّة أنه قبل بالخلافة من شخص عهدها إليه، فقد يقبل بأن يعهد الخلافة ليزيد.

– أما أفعال الأمر في المناظرة فهي الأقل وروداً فيها، ولكنها من متطلبات المناظرة، فقد وردت على لسان الطرفين، لأنها تدل على الطلب، فهذا الفريق يطلب الإقرار من الفريق الثاني بصحة كلامه، والعكس صحيح. وهذه الأفعال هي: أخبراني، أخبرْنا، اتركوني، أخبرني، ابرأ، رُدَّ، أخبراني، أنظراني.

– ونلاحظ أنها أفعال تدلّ على طلب الإخبار لاستيضاح الأمور، أو طلب ترك الخلافة وعدم التعهد بها ليزيد من بعده، فطلب عمر المهلة ليفكّر.

ب– المشتقات:

– قليلة جدّاً هي المشتقات التي وردت في المناظرة، وهي: لعّاناً، مُصلّون، صائمون، أخبث، شرّ، كُفّار، مُحرَّم، صالحي، آمناً، جُهال، مأمون، المسلمون.

– ونلاحظ أنّ المشتقات أغلبها أوصاف لطرفي المناظرة أو لأناس خارج المناظرة، فالغرض من المشتقات جاء لإكمال المناظرة وليس ركناً من أركانها، فلم تحفل المناظرة بالمشتقات، وغلب عليها كثرة الأفعال أكثر من المشتقات بكثير.

ج– المصادر: وردت بعض المصادر في المناظرة وهي: العدل، الإحسان، قيامك، رضا، مشورة، الولاية، الحق، طاعة، أمر، هدى، ضلال، مخرجكم، ظلماً، نقصاً، لعن، ظلمكم، الحدّ، توحيد، الإقرار، الشقاء، النجاة، الدين، التبرؤ، ويحكم، شهادة، صُنع.

– وهذه المصادر كلّها تُبيّن الأحداث التي تتحدث عنها المناظرة من الخلافة وما يتصل بها، إذ يمكن أن نشكّل منها الحقل الدلالي الخاص بالمناظرة وهو أحقيّة الخلافة.

المطلب الرابع: المستوى التركيبي

– لاحظنا أنواعاً من الظواهر التركيبية التي ظهرت في المناظرة، وهذه الظواهر هي: الأسلوب الخبري والإنشائي، والفصل والوصل، والاستشهاد، والاقتباس.

أ– الأسلوب الخبري الإنشائي:

– تساوى ورود الأسلوب الخبري مع الأسلوب الإنشائي في المناظرة تقريباً؛ لأنّ الأفعال الماضية والمضارعة كلها تُعدّ أسلوباً خبريّاً، أما أفعال الأمر فتعد من الأسلوب الإنشائي.

– وبالإضافة إلى أفعال الأمر لاحظنا كثرة الاستفهام في المناظرة، وتعدده، من مثل:

– **همزة الاستفهام**: أعن رضا من الناس ومشورة، أم ابتززتم أمرهم؟ ومعناها هنا طلب تعيين أحد الشيئين.

وقول عمر: أفيسعك ألا تلعن فرعون وهو أخبث الخلق وشرّهم؟ ومعناها هنا التقرير.

وقوله: أليسوا من صالحي أسلافكم؟ وقوله: أليسا من أسلافكما؟ وقوله: أفلستم أنت تلقون من يخلع الأوثان؟ وهي للتقرير أيضاً.

وقوله: أرأيتم الدين واحداً أم اثنين؟ وهي هنا للتعيين.

- **ما الاستفهامية**: وهي لغير العاقل، ومنها قوله: ما الذي أخرجكم مخرجكم هذا؟ وقوله: ما نقمتم علينا؟ وقوله: ما تقول أنت؟

- **هل**: وهي للتصديق في جميع المواضع التي وردت فيها، ومنها: هل علمتما أن أبا بكر...إلخ. وقوله: هل علمتم أنّ عمر قام بعد أبي بكر...إلخ. وقوله: فهل تعلمون أنّ أهل الكوفة...إلخ. وقوله: فهل علمتم أنّ أهل البصرة...إلخ. وقوله: فهل برئ أهل البصرة...إلخ. وقوله: فهل يسعكم فيه شيء يعجز عني؟

- **كيف**: وهي للاستفهام والتعجب، ومنها: فكيف وسعكم أن توليتم أبا بكر وعمر...إلخ.

- لقد ساهم الاستفهام في خلق الحوار الذي يُعدّ أحد أهمّ أركان المناظرة، ومنه ينتج الصراع بين الطرفين، وخصوصاً أنّ المعاني التي خرج إليها الاستفهام كان أغلبها التقرير والتصديق.

أ- **الفصل والوصل:**

"الفصل في البلاغة أو الكلام ترك عطف بعض الجمل على بعض، والوصل عطف بعضها على بعض"[٥٤٤].

٥٤٤ - أحمد مطلوب، **معجم المصطلحات البلاغية وتطورها**، ١١٨/٣.

– لاحظنا ورود أسلوب الفصل والوصل في المناظرة، وهو يرد في الكلام البليغ والعالي، مع أنّ المناظرة ليست مجالاً للبلاغة بقدر ما هي مجال للحجاج والإقناع، ومع ذلك هناك عدة مواضع ورد فيها هذا الأسلوب، وهو:

– قول الخارجي: ما نقمنا سيرتك. إنّك لتتحرَّى العدل والإحسان.

– ورد في هذا القول أسلوب الفصل، ويُسمّى شبه كمال الاتصال، وهو "أن تكون الجملة الثانية في الفصل بمنزلة المتصلة بالأولى لكونها جواباً عن سؤال اقتضته الأولى فتنزّل منزلته فتنفصل الثانية عنها كما يفصل الجواب عن السؤال"[٥٤٥].

– وكأنّ سائلاً يسأله: لماذا لم تنقم سيرته؟ فقال له: إنّك لتتحرَّى العدل والإحسان، فهذا الجواب هو جملة استئنافية مستأنفة استئنافاً بيانيّاً، أي يجوز أن تكون جواباً لسؤال مقدّر.

– ومنه قول عمر: ويحكم! إنّكم قومٌ جهّال. فالسؤال المقدّر: لماذا قلت ويحنا؟ قال لهم: إنكم قوم جهّال، فهو استئناف بياني، فُصلت الجملة الثانية عن الأولى لأن بينهما شبه كمال الاتصال، فلا يجوز عطفهما على بعضهما لهذا الاتصال.

– وورد أسلوب الوصل في قول عمر: ما الذي أخرجكم مخرجكم هذا؟ وما نقمتم علينا؟ فالجملة الثانية معطوفة على الجملة الأولى وهي مثلها في محل نصب، لأنّ الأولى في محل نصب مفعول به للفعل أخبراني، فاشتركت الثانية في الحكم الإعرابي للأولى، وممّا حسّن العطف بينهما أنّهما جملتان اسميتان إنشائيتان.

– وكذلك قول عمر: فمن فعل ذلك حقنَ دمه، وأحرز مالَه، ووجبت حرمته، وكانت له أسوة المسلمين؟

---

٥٤٥ – أحمد مطلوب، **معجم المصطلحات البلاغية وتطورها**، ٥٢/٣.

– لقد أراد عمر أنْ يشرك الحكم الإعرابي للجمل الثلاث المعطوفات على الجملة الأولى (حقن دمه) وهي جملة جواب الشرط الجازم غير المقترن بالفاء لا محلّ لها من الإعراب، والجمل التي عُطفت عليها هي أيضاً لا محلّ لها، والذي حسّن الوصل أنها جمل فعلية خبرية، وهذا الأمر جعل العطف حسناً ومقبولاً وله غاية وفائدة، هو إرادة عمر بن عبد العزيز تشريك معاني الجمل بعضها ببعض لإفهام الخارجيين الفوائد المترتبة على فهم الدين الصحيح.

– ومن الوصل أيضاً قول اليشكري: أتراه أدى الحقَّ الذي يلزمه لله عزّ وجلّ؟ أوتراه قد سلم؟

– فقد أراد اليشكري عطف الجملة الثانية على الجملة الأولى ليُشركها في حكمها، وليُقنع عمر بأنّ الذي سيأتي من بعده –وهو يزيد– إنْ كان غير مأمون فإنه لن يسلم من الله والناس، ومما حسّن الوصل كون الجملتين فعليتين إنشائيتين.

ج– الاستشهاد أو الاقتباس:

– هناك نوعان للاستشهاد في النقد العربي القديم، نوع خاصّ بالشعر، قال به العسكري في كتابه (الصناعتين) وسمّاه الاحتجاج أيضاً، وتبعه في ذلك الدّمنهوري في كتابه (حلية اللب)[٥٤٦]، أما النوع الثاني الخاص بالآيات الكريمة فذكره الحلبي والنويري، "وقد تحدث الحلبي والنويري عن خصائص الكتابة، ومما يتصل بها **الاقتباس والاستشهاد والحل**، وقالا إن الاستشهاد بالآيات ينبغي أن ينبه عليها"[٥٤٧].

٥٤٦ – أحمد مطلوب، **معجم المصطلحات البلاغية وتطورها**، ١٢٩/١.

٥٤٧ – المرجع السابق، ١٣٠/١.

– استشهد عمر بن عبد العزيز أمام الخارجيين بآيتين قرآنيتين، غايتهما إقناعهما بما طلبوه منه، وهو أنْ يلعن أهل بيته، فأخبرهم أنّ الأنبياء وأصحاب الأمر لم يبعثهم الله لعّانين، فجاء بالآيتين التاليتين، وهما:

١– الآية الأولى: (فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ) [إبراهيم: ٣٦].

– وهذه الآية ساقها عمر أمام الخارجيين ليؤكد لهما أنّ سيدنا إبراهيم الخليل عندما رفع يديه تضرّعاً لله يشكو أمر عباده، لم يلعن قومه الذين آذوه وحاولوا حرقه، وإنما قال له/ اغفر لهم وارحمهم فأنت الغفور الرحيم.

– حنكة سيدنا عمر وذكاؤه جعلته لا يذكر بداية الآية، فالآية الكاملة هي: (رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيراً مِّنَ النَّاسِ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ) [إبراهيم: ٣٦]. فخشي عمر أن يتوهم الخارجيان أنهما المقصودان بالضلال مع جماعتهم، فلم يذكر عمر هذه البداية، واكتفى بالاستشهاد من قوله تعالى: فمن تبعني...إلخ.

٢– والآية الثانية: (أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ) [الأنعام: ٩٠].

– وهذه الآية تتحدّث عن الأنبياء الذي ذكروا في سورة الأنعام فيقول الحقّ: "أولئك الأنبياء المذكورون هم الذين وفقهم الله تعالى لدينه الحق، فاتبع هداهم –أيها الرسول– واسلك سبيلهم"[٥٤٨]. وهنا يُذكّر عمر الخارجيَّين بأنّ النبي عليه أن يتّبع خطا الأنبياء من قبله، فهم أصحاب الرسالة، والخليفة أيضاً هو صاحب رسالة، وعليه أن يقتدي بالأنبياء في عدم اللعن والشتم.

د– الاستيحاء:

٥٤٨ – نخبة من العلماء، **التفسير الميسر**، (مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة، ط٤، ١٤٣٣هـ)، ١٣٨.

– الاستيحاء هو: "أن يأتي الكاتب بمعانٍ جديدةٍ تستدعيها مطالعاته في كتب غيره"[٥٤٩].

– ومن ذلك قول عمر للخارجيين: أما هم كفّار بظلمهم؟

– وقد استوحى هذه الجملة من قوله تعالى: (يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَاباً مِّنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُواْ مُوسَى أَكْبَرَ مِن ذَلِكَ فَقَالُواْ أَرِنَا اللهِ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ثُمَّ اتَّخَذُواْ الْعِجْلَ مِن بَعْدِ مَا جَاءتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ فَعَفَوْنَا عَن ذَلِكَ وَآتَيْنَا مُوسَى سُلْطَاناً مُّبِيناً) [النساء: ١٥٣].

– وقوله تعالى: (فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ اللهِ كَثِيراً) [النساء: ١٦٠].

– وقول عمر: فليس أحد منهم يقول لا أعمل بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلّم، ولكن القوم أسرفوا على أنفسهم، وهو مستوحى من قوله تعالى: (قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ) [الزمر: ٥٣].

– وقول عمر: فإن خالفت الحق ورغبت عنه فلا طاعة لي عليكم، وهو مستوحى من قوله تعالى: (وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ) [الشعراء: ١٥١] فالحديث في الآية عن المعرضين عن عبادة الله واتباع أوامره في زمن سيدنا صالح عليه السلام، وحديث عمر مع الخوارج عمّن لا يتبعون أوامر الله أيضاً.

– وهكذا نرى أنّ الاستيحاء هو ما ظهر في كلام عمر بن عبد العزيز بشكل نثري، ويوحي بآيات محددة من القرآن الكريم تحمل المعاني ذاتها، في مواقف حصلت في الزمان القديم، وكأنّ التاريخ يعيد المواقف ذاتها، أو يعيد مواقف تشبهها ومن الجميل التأسّي بها.

المطلب الخامس: المستوى الدلالي

---

٥٤٩ – محمد إسبر، سعيد، جنيدي وبلال: الشامل، **معجم في علوم اللغة العربية ومصطلحاتها**، ص٥٢٧.

– وسندرس الملمح الحجاجي الذي اتسمت به المناظرة من خلال السلم الحجاجي، والمخفف الجاجي، والحقّ أنّه أبرز معلم من معالمها، لأنّ المناظرة مبنية أصلاً على الحجاج، ولذلك لا بُدّ بداية من التنظير للحِجاج وتعريفه وذكر مصطلحاته، ومن ثَمّ ذكر الأمثلة الخاصة به.

والحجاج كما جاء في قاموس التداولية:" يستند الحِجاج، بالنسبة للخطيب، على إفحام أو إقناع المرسَل إليه باستخدام الحجج. ويمكننا أن نُفحِم باستخدام الحجج المنطقية، أو نقنع باستدعاء العواطف أو المشاعر"[٥٥٠].

أمّا **السلّم** الحجاجي فهو: "بناء الخطاب الذي يهدف إلى تطوير حكم القيمة استناداً إلى محورين معياريين قد يختلفان.

– وأمّا **المخفف** الحجاجي فهو: "العامل الذي يحافظ، عن طريق التخفيف، على الاستنتاجات المرفقة بالجملة. على سبيل المثال، تعمل كلمة (قليلاً) بوصفها مخفّفاً حجاجيّاً، على سبيل المثال، "أكلت قليلاً"، فإنّ الاستنتاج هو "لم أعد أشعر بالجوع"، كما هو الحال مع "لقد أكلت" (ولكن النتيجة تكون أخفّ مع قليلاً)"[٥٥١].

ونلاحظ في المناظرة ما يلي:

١– **الخطيب أو المُناظِر:**

وهو سيدنا عمر بن عبد العزيز في مقابل الخوارج، ويمثلهما شخصان خارجيان أتيا ليُناظراه.

٢– **المُرسَل إليه (الجمهور):**

---

٥٥٠ – جوليان لونجي، وجورج إيليا سرفاتي: **قاموس التداولية**، (ترجمة: لطفي السيد منصور، دار الرافدين، لبنان– بيروت، ط١، ٢٠٢٠م)، ٤٠–٤١.

٥٥١ – المرجع السابق: ص٤٤.

الجمهور غائب في هذه المناظرة، ولكنّه موجود في الواقع، لأنّ المقصود من هذه المناظرة هم الناس الذين سيحكمهم الخليفة الجديد.

٣- الحجّة:

أراد الفريق الأول وهم الخوارج إقناع الفريق الثاني وهو عمر بن عبد العزيز بعدم عهد الخلافة بعده إلى يزيد بن عبد الملك، وحجّتهم أنهم خرجوا غضباً لله ولرسوله، والأمويون كفّار ويجب لعنهم، أمّا حجّة عمر بن عبد العزيز فهي أنّه أحقّ منهم بالغضب لله ولرسوله، وأنّ الناس اختارته ليكون الخليفة، وكذلك من سيختار الخليفة من بعده هم الناس أيضاً وإن عَهِد هو لشخص من بعده فستبقى الموافقة أو عدمها بيد الناس لا بيد الخوارج.

- وهناك حجّة أخرى وهي أنّ الخوارج قالوا له: عهد إليك شخص بالخلافة وقبلتَ ذلك، فقد تقبل أنت أيضاً بتعهد الخلافة ليزيد؟ وهنا صمت الخليفة عمر وطلب منهما الانتظار لثلاثة أيام، لكنّ الأمويين سارعوا وقتلوه قبل أن يعطي الخوارج ردّاً.

٤- أنواع السياق في المناظرة:

أ- السياق الظرفي أو الفعلي:

"يشمل هوية المتخاطبين ومحيطهم زمانياً ومكانيّاً"[٥٥٢].

٥٥٢ - خليفة بو جادي، **في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم**، (بيت الحكمة للنشر والتوزيع، الجزائر، ط١، ٢٠٠٩م)، ١١٥.

- لمحنا السياق الظرفي أو الفعلي في أنّ سياق المناظرة كان فترة حكم الخليفة عمر بن عبد العزيز، ويعد الخليفة الراشدي الخامس، ولعلّها كانت في أواخر حياته، وكان ذلك في سنة (١٠٠هـ) للهجرة، ففي هذا الوقت ثار شوذب الخارجي في الجزيرة ونادى بأحقية الخلافة لمن ترتضيه الخوارج.
- فالزمان في سنة مئة للهجرة.
- والمكان شرق مدينة حلب.
- والمتخاطبان فريقان: الأول: الخوارج، والثاني: الخليفة عمر بن عبد العزيز.

ب- السياق التداولي (الموقفي): "يتضمن الغايات الممارسة خطابيّاً".[٥٥٣]

- المقصود بالسياق التداولي والموقفي هو الاستفسار خطابياً سبب خروج شوذب الخارجي في ذلك الوقت من قِبل الخليفة عمر، حيث زعم أنه خرج غضباً لله ولرسوله، وأنّ عمر بن عبد العزيز لم يُنتخَب من قِبل الناس، بل عَهِد إليه شخص قبله وقَبِل ذلك، فخافوا أن يعهد بالخلافة ليزيد من بعده كما قبل هو بأن يقبل الخلافة من خلال التعهّد. فأمر الخليفة عمر بحضوره إليه، فأرسل إليه رجلين ليُناظراه، أحدهما اسمه عاصم، والثاني من بني يشكر.

ج- السياق الاقتضائي: "يرتبط بحدس المخاطَبين"[٥٥٤].

- وظهر هذا السياق في آخر المناظرة، وذلك عندما خاف بنو أمية أن يُخرج ما بين أيديهم من أموال، وأن يُخلع يزيد من ولاية العهد، مما اقتضى من الخوارج بحدسهم أنّ عمر بن عبد العزيز سيعهد بالخلافة ليزيد، فخاف الأمويون من ردّ فعل عمر، وقبل أن تنتهي المدّة التي طلبها من الخوارج أرسلوا له من دسّ له السمّ فمات.

---

٥٥٣ - المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

٥٥٤ - المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

د- الســـياق اللّغوي (النص المســـاعد): "هو مجموع الكلمات المجاورة التي تحدد مدلول الكلمة"[٥٥٥].

- وقد تبّينا هذا الســـياق في أثناء حديثنا عن الأفعال التي وردت في المناظرة، وعن المســـتوى التركيبي الذي مثّلنا فيه لبعض مواضع العطف وترك العطف، ومواضع التقديم والتأخير وغير ذلك.

هـ- السياق غير اللغوي: "هو مجموع الظروف الاجتماعية التي تحدد مدلول الخطابات"[٥٥٦].

- وهذا السياق ظهر في رغبة الخارجيين بأنْ يوافق الخليفة نفسه على طلباتهم، بألّا يعهد الخلافة لشـــخص غير مأمون وهو يزيد، لأنه ظهر لنا من النص أنّه لا يهمهم رأي الناس، لأنهم لم يجعلوا المناظرة أمام الناس، فالجمهور غائب في هذه المناظرة، وهذا يُؤكد أنّ غاية الخوارج هو التحدّث مع الخليفة بمفرده، ليفهموا دخيلة صدره.

٥- المخففات الحجاجية:

ظهر المخفف الحجاجي في المناظرة فيما يلي:

- قول عاصم الخارجي: **إنّك** لتتحرى العدل والإحسان: هذا القول مخفف حجاجي لأنه بمعنى: نحن نوافق عليك أنّك الخليفة، ولا نريد خلعك، ويُستنتج منه أنه يقول له: كنتَ عادلاً في حكمك.

- والمخفِّف الحجاجي ظهر من خلال التوكيد بـ(إنّ).

---

٥٥٥ - المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

٥٥٦ - المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

- وقول عمر: عهد إليّ رجل كان قبلي، فقمتُ **ولم ينكره عليّ أحد**: وهذا القول مخفف حجاجي أيضاً، يُستنتج منه أنه يقول: لم أغتصب الخلافة اغتصاباً، وصمت الناس دليل على موافقتهم على خلافتي وإلّا كانوا ثاروا عليّ.

- والمخفِّف الحجاجي ظهر من خلال الإثبات عن طريق النفي (لم ينكره أحد = وافقوا عليّ).

- وقول عمر للخارجيين: أليسوا من صالحي أسلافكم؟ قالا: **بلى**. وهذا القول مخفف حجاجي يُستنتج منه أن يقول لهم: كونوا مثل أسلافكم صالحين.

- والمخفِّف الحجاجي ظهر من خلال حرف الجواب (بلى)، ففيه تأكيد على صدق كلام عمر، وقبول هذا الكلام من الخارجيين.

١- السّلم الحجاجي:

- يظهر السّلم الحجاجي في المناظرة من خلال المؤشرات اللغوية الموجودة فيها، وأهمّ سلّم حجاجي يظهر فيها هو ما جاء في نهاية المناظرة، وهو قول اليشكري: أرأيت رجلاً ولي قوماً وأموالهم فعدل فيها، [وهنا يقصد عمر بن عبد العزيز]، ثمّ صيّرها بعده إلى رجل غير مأمون، [وهنا يقصد يزيد بن عبد الملك]، أتُراه أدّى الحق الذي يلزمه لله عزّ وجلّ؟ أوتراه قد سلّم؟ قال عمر: لا. قال: أفتسلّم هذا الأمر إلى يزيد من بعدك، وأنت تعرف أنه لا يقوم فيه بالحق؟ قال: إنما ولّاه غير، [وهنا يقصد عمر أنّ سليمان بن عبد الملك اشترط عليه عندما ولّاه الخلافة أن يعهد بالخلافة ليزيد من بعده، فعمر لا علاقة له بتسليم الخلافة ليزيد، وإنما سليمان هو الذي أمره بذلك]، والمسلمون أولى بما يكون منهم فيه بعدي. [وهنا يقصد عمر أنّه مضطر لتسليم الولاية ليزيد ولكنّ الناس إنْ لم يريدوه سيثورون عليه كما تثور الخوارج على بني أمية].

- وهذا السّلم يظهر كالآتي:

القضـية ١– أوصـى سـليمان بن عبد الملك عمر بأن يعهد الخلافة ليزيد بن عبد الملك من بعده

القضية ٢– عمر أمين ولا يُخلف الميعاد

النتيجة ٣– عمر سيعهد بالولاية ليزيد

- وقد ساعدت الروابط الحجاجية في المناظرة على الوصول إلى هذه النتيجة، وأهم هذه الروابط (لكن)، لأنّ لها "وظيفة تداولية...، أنها تجعل للوحدة التي تليها فعلاً مضادّاً؛ ولأنّ هذا الدور مؤسس على معناها المضاد، فإنّ مدى استعمالها الذهني أضيق من مدى الواو... إذ لا تنسّق لكن بين الوحدات الوظيفية إلا إذا كان هناك بعضاً من العلاقات المتضادة في محتواها الذهني أو التفاعلي"[٥٥٧]، وقد وردت في في قول عمر: ما أحسنَ ما وصفتَ، ولكن لا أفتاتُ على المسلمين بأمر، أَعرِضُ عليهم ما قلتَ وأعلمُ حجّتهم.

مما سبق نجد أن لغة الحجاج في المناظرة وضعت عمر بن عبد العزيز في موقف محرج له، لأنّ الخوارج استطاعوا أنْ يذكّروه بأنّ الأمويين هم مَن ولّاه الخلافة، وهم من أمروه بأنْ يعهد بالخلافة ليزيد من بعده، فهل هو واثق من أنّ هذا التعهد فيه خير للمسلمين؟ لذلك طلب منهم التفكّر في الأمر، وهذا التفكّر يدلّ على نجاح الخوارج في المناظرة في مسعاهم في تغيير رأي عمر، لأنهم كانوا متأكدين بأنه سيعهد بالخلافة ليزيد لأنه وعد سليمان بذلك، واستنتجنا ذلك من خلال السّلّم الحجاجي.

---

٥٥٧ – عبد الهادي الشهري، **استراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية**، (دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت– لبنان، ط١، ٢٠٠٤م)، ٥١٢.

الخاتمة والنتائج

رأينا فيما سبق أنّ النَّثر الفنّيّ السياسيّ بشكل عامّ، والخطابة بشكل خاصّ، تطوّرا تطوّراً كبيراً في العصر الأمويّ لأسباب عدّة كان من أهمّها كثرة النزاعات والخلافات السياسيّة بين الفرق والأطراف المتنازعة على السلطة. إضافة إلى تنازع هذه الأحزاب لبيان كلّ منها أحقّيّته في الخلافة والحكم، وخضوع العرب لقانون يوحّدهم متمّثلاً في دولة بني أميّة، حيث كانت الخطابة أفضل وسيلة لاتّصال الراعي برعيّته، إضافة إلى الأسباب الدينيّة التي تمثّلت في المدارس التي كانت تعلّم الناس أصول دينهم وفروعه، والتي انبثقت عنها لاحقاً الفرق الدينيّة المشهورة مثل الجبريّة والقدريّة والمرجئة.

وثمّة سبب آخر أدّى إلى ازدهار الخطابة، وهو الوعظ الدينيّ والقصّاصون الذين استمدّوا قصصهم وخطبهم من موروثات الكتب السماويّة، حيث كان للأمويّين في كلّ بلد قاصّ يقصّ على الناس في المسجد ويدعو إلى موالاتهم.

يضاف إلى هذه الأسباب تأثّر العقل العربيّ بالثقافات الأجنبيّة حيث بدأ الموالي يزوّدون العرب بثقافاتهم ومعارفهم القديمة.

وكان من أبرز أعلام الخطابة السياسيّة في العصر الأمويّ معاوية بن أبي سفيان، وعبد الملك بن مروان، وزياد ابن أبيه، والحجّاج بن يوسف الثقفيّ، وقطريّ بن الفجاءة، والحسين بن عليّ بن أبي طالب، وعليّ بن الحسين، وسواهم. كما برزت الرسائل السياسيّة بروزاً كبيراً في هذا العصر لظهور طبقة من الكتّاب المحترفين، بالإضافة إلى إنشاء دواوين الرسائل لدى كلّ من الخلفاء والولاة. كما تعدّد كتّاب الرسائل، وكان عبد الحميد الكاتب أشهرهم بلا منازع، إضافة إلى عبد الله بن معاوية، والحسن البصريّ، وغيلان الدمشقيّ، والمختار الثقفيّ، وابن الأشعث، والمهلّب بن أبي صفرة.

وبالإضافة إلى الخطابة والرسائل برزت المناظرة فنّاً نثريّاً مستقلّاً أذكت ناره الخلافات والفتن،

وقد لاحظنا أنّ أغلب المناظرات السياسيّة في العصر الأمويّ دارت حول مسائل فقهيّة وأحداث تاريخيّة، وكانت مباشرة، حيث يلتقي الطرفان المتناظران وجهاً لوجه، وكانت الإمامة وخلافة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، ومقتل عثمان بن عفّان رضي الله عنه، وما يدور في فلك ذلك، أبرز موضوعات المناظرات. وفي هذا السياق بيّنّا أهمّ الأسباب التي أدّت إلى تطوّر فنّ المناظرة وعلم الكلام، ومن أبرزها الصراعات الدينيّة والخلافات المذهبيّة، حيث أدّت هذه الأسباب إلى ازدهار فنّ المناظرة في بداية القرن الثاني الهجريّ، وتطوّر هذا الفنّ بتطوّر العقل والانفتاح المعرفيّ فشمل مجالات أدبيّة ومعرفيّة شتّى.

كما رأينا من خلال البحث تنوّع جماليّات الأسلوب في النَّثر السياسيّ في العصر الأمويّ، إذ تمّ توظيف الكثير من الأساليب اللغويّة والبلاغيّة، وكان من أبرزها الاستشهاد والاقتباس والاستيحاء والاستهلال والسجع والتوازن والتقديم والتأخير. فقد اعتمد الخطباء والكتّاب والمتناظرون في نثرهم الفنّيّ على الاستشهاد بآيات من القرآن الكريم والحديث الشريف وأشعار العرب لإثبات حججهم.

ورأينا من خلال تقصّي المنجز النثري السياسي تنوُّع أساليب الخطباء والمترسلين والمتناظرين في الأخذ من القرآن الكريم، وطريقة أخذهم هذه اعتمدت على ثقافتهم في توظيف القرآن الكريم من جهة وعلى طرقهم في توظيف هذه الآيات والاستفادة منها في خدمة ما يصبون إليه. فمنهم من اقتطع جزء بسيط من الآية وترك الجزء الآخر، وربما أرادوا بذلك الاستفادة فقط من الجزء الذي يخدم كلامهم.

أمّا الاقتباس فقد تعدّدت أغراضه في النَّثر الفنّيّ في العصر الأمويّ، إذ استعاروا من قوّة القرآن وبيانه وفصاحته قوّةً وبياناً إضافة إلى براعتهم في إحكام الربط بين كلامهم والكلام المقتبَس. وكذلك كانت لهم طرق مختلفة من الأخذ من آيات الذكر الحكيم، فمنهم من اقتبس جزء من الآية في بدايتها أو وسطها أو نهايتها، وهذا أيضا من الفنون البلاغية، ومن ثقافة المبدع الذي يستطيع أن يأخذ من الشاهد ما يخدم فكرته فقط، دون الإطناب والإطالة.

وقد استوى الأمر في طرق الاقتباس بين الخطب والرسائل والمناظرات.

أمّا الاستيحاء فقد انقسم إلى استيحاء في المعنى واستيحاء في الأسلوب، إذ استوحى الخطباء والكتّاب معاني القرآن الكريم في نثرهم، وكان هدفهم اجتذاب سامعيهم وتقوية حجّتهم، وتجاوزوا ذلك إلى استيحاء الأسلوب القرآنيّ في خطبهم ورسائلهم، فكانت بعض خطبهم تشبه افتتاحيّات السور القرآنيّة.

أمّا من حيث استهلال الخطب والرسائل فقد اعتنى الخطباء والكتّاب ببدايات نتاجهم النَّثريّ، وتعدّدت أشكال الاستهلال لديهم، واستخدموا طرقا كثيرة من هذه الاستهلالات، ولكن الأغلب الأعم من استهلالاتهم التزم طريقة البسملة والحمدلة والثناء، والصلاة على النبي الكريم، وقد أشار بعضهم من خلال الاستهلال إلى ما يريد، أو إلى مضمون رسالته أو خطبته من خلال تضمينها إشارات، وهذا ما يسمى عند البلاغيين ببراعة الاستهلال.

وقد رأينا أن أغلب الرسائل والخطب جاءت مبدوءة بـ (أمَّا بعد)، وأشرنا إلى أن السبب في ذلك يعود إلى إهمال الرواة والنُّساخ في نقل الاستهلالات.

أما الاستهلال في المناظرات فلم نجده بصورة واضحة، وربما يعود السبب أيضا إلى الرواة.

وقد اهتمّ الخطباء والكتّاب بالمحسّنات البديعيّة واللفظيّة، وقد تجلّى ذلك من خلال اهتمامهم بالسجع حيث أعادوا للسجع مكانته وألقه الذي كان عليه في العصر الجاهليّ بعد أن هجره العرب لشبهه بسجع الكهّان، حيث زيّنوا فقرات نثرهم بالسجع والتوازن. واستخدموا في سجعهم أنواعا متعددة من حيث الطول والقصر، وكذلك من حيث الوزن والقافية.

وكان لكسر الرتبة النحوية اهتمام من النثار، فقد كانوا يقدِّمون ويؤخرون في كلامهم، وقد اعتمدوا في هذا التقديم والتأخير أساليب بلاغية شتَّى، منها أهمية المتقدم، أو تخصيصه، أو ذمه، أو

تقديمه للمحافظة على الوزن والنسق.

من خلال الاطلاع على نماذج نثرية، ودراستها دراسةً أسلوبية، وجدنا أن هذه النماذج زاخرة بمستوياتها الأسلوبية، وقد وجدنا اعتماد النثَّار على أغلب الأساليب، ففي الصوت وظَّفوا السجع والتكرار، فظهرت الموسيقى واضحة في نتاجاتهم، وكذلك في المستوى التركيبي، فقد اعتمدوا على التراكيب بأشكالها المختلفة، وكان لهذا التنويع جماليات من التفاف، إلى تنوّع في الصور البيانية والفصل والوصل، إلى تنوّع في الأساليب الأخرى بين الخبر والإنشاء. أمَّا في المستوى الصرفي، فقد نوَّعوا في الأفعال والمشتقات والمصادر. وإذا ما نظرنا إلى المستويات الدلالية في نتاجهم نجد أنهم أحسنوا في ابتدائهم وختامهم وتنقلهم بين الفقرات والجمل.

ويمكن أن نجمل أهمّ النتائج التي توصّل إليها البحث فيما يأتي:

- إنّ الفنون النَّثرية في العصر الأموي قد طرأ عليها تغيُّرٌ واضحٌ بسبب الأحداث السياسية والاجتماعية والأدبية. فالخطابةُ التي كانت في العصر الإسلامي عبارة عن منبرٍ يدعو إلى الدين الحنيف، تغيَّرَ هدفها وأصبحت منبراً لدولة سياسيةٍ ناشئةٍ، وكذلك بالنسبة للفرق الدينية التي نشأت بسبب الخلافات على الإمامة والتحكيم ومقتل عثمان بن عفان رضي الله عنه، حيثُ راحت كلُّ فرقة دينية تدعو لنفسها وتُفَسِّرُ القرآن الكريم والحديث الشريف بالطريقة التي تتوافق مع أهوائها وأهدافها وآرائها.
- بدأت الرسائل في العصر الأموي ديوانيَّاً نظراً لاتساع رقعة الدولة الأموية وحاجتها إلى نقل الأخبار، ثم بعد ذلك تحوَّلَ إلى ترسُّلٍ فنيٍّ راقٍ، بدأه الحسن البصري، وقام بتأسيسه بطريقةٍ فنية عبد الحميد الكاتب، الذي نقل ثقافته الفارسيّة إضافة إلى الثقافتين الهندية واليونانية، حيث قام بتوظيف هذه الثقافات في خدمة الرسائل الفنية التي سيكون لها شأنٌ في العصر العباسي.

- إنَّ المناظرة السِّياسية نشأت في العصر الأموي بسبب الصراع القبلي الذي انتشر في العصر الأموي نتيجة عودة النعرات العصبية والقبلية، إضافة إلى الفرق الدينية التي بدأت بالظهور نتيجة الخلاف في تفسير الأحكام والأحداث التي رافقت هذا التفسير من التحكيم بين علي ومعاوية إلى الإمامة، وقد اعتمدت المناظرة في بنيتها وحججها على القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف.

- اعتمد الخطباء والمترسلون والمتناظرون على القرآن الكريم والحديث الشريف في طرح قضاياهم لجمهورهم، وكان اعتمادهم على القرآن الكريم بشكلٍ رئيسٍ، وقد وظَّفوا آيات القرآن الكريم بطرقٍ فنيَّةٍ من استشهادٍ إلى تضمينٍ إلى استيحاءٍ.

- ظهرت ثقافة الخطباء والمترسلين القرآنية من خلال طريقة توظيف الآيات، حيثُ استطاعوا أن يتعاملوا مع هذا التوظيف بطرقٍ عِدَّة، فمنهم من أخذ بداية الآية، ومنهم من أخذ وسط الآية، ومنهم من أخذ الجزء الأخير من الآية، ومنهم من جعل خطبته كاملةً من القرآن الكريم.

- تعدَّدَت أشكال الاستهلال في الخطب والرسائل حسبَ الموضوع الذي تقتضيه حاجة الخطيب أو المرسل، وقد يظهر مضمون الخطبة أو الرسالة من خلال الاستهلال الذي يقدمه الخطيب أو المرسل، وهذا ما يسمى ببراعة الاستهلال، وفقدنا الاستهلال في المناظرات إلا ما ندر، وكذلك في بعض الخطب والرسائل، والسبب كما أسلفنا من عمل الرواة.

- ظهر السَّجع واضحاً في الخطب والرسائل، وقد استفاد منه الخطباء والمترسلون والمتناظرون ووظفوه بطريقة فنية جميلة بعد أن ابتعد عنه خطباء الدولة الإسلامية لارتباطه بالكهانة.

- طغت الجوانب الفنية في الخطب والرسائل والمناظرات في العصر الأموي، حيث وجدنا من خلال دراستنا الفنية لهذه الفنون مستويات رفيعة من البلاغة والأسلوب، مع الاهتمام بالجوانب الدلالية والصرفية والتركيبية والصوتية.

لقد حاول هذا البحث تبيان أهمّ السمات الفنّيّة للنَّثر السياسيّ في العصر الأمويّ، وكذلك الأساليب الفنّيّة التي اعتمدها كلّ من الخطباء والكتّاب والمناظرين في إبراز القيم الجماليّة في نثرهم.

إنّ هذا البحث ما هو إلاّ لبنة من اللبنات التي تشكّل جزءاً من دراسة النَّثر السياسيّ في العصر الأمويّ، وتوثيقاً له، ولا ندّعي فيه أنّنا أحطنا بكلّ ما يتعلّق بهذا الفنّ الأدبيّ، إذ فيه جوانب كثيرة ما تزال بحاجة إلى دراسة وبحث وتمحيص، وإن كنّا قد أصبنا فيما أتينا به فبتوفيق من الله، وإن أخطأنا فحسبنا أنّا حاولنا، والله وليّ التوفيق.

فهرس المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

١. إبراهيم، عبد الله: **النَّثر العربيّ القديم: بحث في ظروف النشأة وأنظمة البناء،** منشورات جامعة السابع من إبريل، ط١، ١٤٢٥هـ.

٢. أحمد عبد الغني، عاصم حمدي ، **فن التوقيعات عند الخلفاء الأمويين،** BAÜİFD ، Balıkesir Üniversitesi İlahiyat Fakültesi Dergisi ، عدد ٣، ٢٠١٧م.

٣. ابن الأثير، ضياء الدين نصر الله بن محمد، **المثل السائر** في أدب الكاتب والشاعر، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ١٣٥٨هـ/ ١٩٣٩م.

٤. ابن الأثير، ضياء الدين نصر الله بن محمد، **الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور،** تحقيق: مصطفى جواد، مطبعة المجمع العلمي، ١٣٧٥هـ.

٥. ابن الأثير، عز الدين علي بن محمد بن عبد الكريم الشيباني، **الكامل في التاريخ،** تحقيق أبو الفداء عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية، ١٩٨٧.

٦. أدهم، محمود، **فنون التحرير الصحفي بين النظرية والتطبيق «المقال الصحفي»،** مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، د.ت.

٧. إسبر، محمد سعيد، جنيدي، بلال، **معجم الشامل في علوم اللغة العربية ومصطلحاتها،** ط١، دار العودة، بيروت، ١٩٨١م.

٨. الأسدي، أيمن بن خريم، الديوان، تحقيق الطيب العشاش، دار المواهب، بيروت، ١٩٩٩.

٩. الأسدي، الأقيشر، **الديوان،** جَمَعَهُ محمد علي دقَّة، دار صادر، بيروت، ١٩٩٧.

١٠. الأصفهاني، أبو الفرج، **الأغاني،** دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٣٠هـ.

١١. أمين، أحمد، **فجر الإسلام،** ط١٠، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٦٩م.

١٢. الباقلاني، محمد بن الطيب: **إعجاز القرآن،** تح السيد أحمد صقر، دار المعارف، مصر، ١٩٦٣ م.

١٣. البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، **صحيح البخاري**، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٣٧٤هـ.
١٤. بلبع، عبد الحكيم، **أدب المعتزلة إلى نهاية القرن الرابع الهجري**، دار نهضة مصر للطبع والنشر، د.ت.
١٥. البستاني، بطرس، **معجم محيط المحيط**، مكتبة لبنان، (د – ت).
١٦. البستاني، فؤاد، **الشِّعر الجاهلي**، ط٨، دار المشرق، بيروت، ١٩٨٠م.
١٧. البشير، المجذوب، **حول مفهوم النَّثر الفنّيّ عند العرب القدامى**، الدار العربيّة للكتاب- تونس ١٩٨٢.
١٨. بو جادي، خليفة: **في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم**، بيت الحكمة للنشر والتوزيع، الجزائر، ط١، ٢٠٠٩م.
١٩. بيطار، أمينة، **الأزارقة**: مقال ضمن الموسوعة العربية: هيئة الموسوعة العربية سورية، دمشق، المجلد الثاني، ٢٠٠٠م.
٢٠. التَّهانوي، محمد بن علي ابن القاضي محمد حامد بن محمّد صابر الفاروقي الحنفي، **كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم**، تقديم وإشراف ومراجعة: د. رفيق العجم، تحقيق: د. علي دحروج، نقل النص الفارسي إلى العربية د. عبد الله الخالدي، الترجمة الأجنبية د. جورج زيناني، مكتبة لبنان ناشرون– بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٦م.
٢١. التوحيدي، أبو حيان ومسكوية، **الهوامل والشوامل**، تقديم: صلاح رسلان، نشره: أحمد أمين والسيد أحمد صقر، سلسلة الذخائر، القاهرة، ٢٠٠٩م.
٢٢. التوحيدي، علي بن محمد بن العباس، **الإمتاع والمؤانسة**، صحّحه وضبطه أحمد أمين، وأحمد الزين، ط٢، مطبعة لجنة الترجمة والتأليف والنشر، القاهرة، (د.ت).
٢٣. الثعالبي، عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور، **يتيمة الدهر**، (تح: سعيد محمد قمحية، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٣م.
٢٤. الثعالبي، عبد الملك بن محمد بن إسماعيل، **خاص الخاص**، (شرح مأمون الجنابي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٤م).
٢٥. الجاحظ، **البيان والتبيين**، تح: عبد السلام محمد هارون، ط٧، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م.
٢٦. الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر، **الحيوان**، تح عبد السلام هارون، ط١،

مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، (١٣٥٦هـ/ ١٩٣٨م).

٢٧. الجارم، علي – أمين، مصطفى، **البلاغة الواضحة**، دار المعارف، مصر، ط٢١، ١٩٦٩.

٢٨. الجرجاني، عبد القاهر: **دلائل الإعجاز**، قرأه محمود محمد شاكر، ط٣، دار المدني، جدة، ١٩٩٢م.

٢٩. جدعان، فهمي: **نظريّة التراث**، دار الشرق، عمّان ١٩٨٥.

٣٠. الجرجاني، علي بن محمد بن علي الزين الشريف (المتوفى: ٨١٦هـ)، **التعريفات**، ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م.

٣١. ابن جعفر، قدامة، **نقد الشِّعر**، تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي، دار الكتب العلمية، بيروت، بلا تاريخ.

٣٢. الجهشياري، محمد بن عبدوس، **كتاب الوزراء والكتَّاب**، تحقيق مصطفى السقا بالتعاون، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، الطبعة الأولى، ١٩٣٨م.

٣٣. الجوهري، إسماعيل بن غنيم، **إحراز السعد بإنجاز الوعد بمسائل أمَّا بعد**، تحقيق أبو عبد الله الداني، المكتبة العصرية، بيروت ٢٠١١م.

٣٤. الجويني، مُصطفى الصاوي، **البلاغة العربيَّة، تأصيل وتجديد**، منشأة المعارف، الإسكندريَّة، ١٩٨٥.

٣٥. ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي، **آداب الحسن البصري ومواعظه**، تحقيق سليمان الحرش، دار النور، دمشق، الطبعة الثالثة،٢٠٠٨ م.

٣٦. ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي، **مناقب عمر بن عبد العزيز**، تحقيق أحمد عبد الحميد ديب، دار نجد، الرياض، ٢٠٠٣ م.

٣٧. حاوي، ايليا، **فن الخطابة وتطوره عند العرب**، دار الثقافة، بيروت، د.ت.

٣٨. حب الله، علي، **المقدمة في النَّثر العربي**، دار الهادي، ٢٠٠١ م.

٣٩. ابن حجة الحموي، تقيِ الدين، **خزانة الأدب وغاية الأرب**، دار القاموس الجديد، ط١، دون تاريخ.

٤٠. حبنكة، عبد الرحمن: **البلاغة العربية**، دار القلم، دمشق، الدار الشامية،

بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦م.

٤١. ابن أبي الحديد، عبد الحميد بن هبة الله، **شرح نهج البلاغة**، تحقيق محمد إبراهيم، دار الكتاب العربي، بغداد، دار الأميرة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م.

٤٢. حسين، طه، **من حديث الشعر والنثر**، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، ٢٠١٢م.

٤٣. الحصري، **زهرة الآداب**، تحقيق علي البجاوي، دار إحياء التراث العربية، القاهرة، ١٩٥٣.

٤٤. الحلي، صفي الدين، عبد العزيز بن سرايا بن علي السبسي الحلي، (٦٧٧-٧٥٠ هـ)، تحقيق نسيب نشاوي، دار صادر، بيروت، ١٩٩٢.

٤٥. أبو حمدة، محمد علي، **الفائق في فن الكتابة والتعبير وتذوق النصوص والتحرير**، دار عمار، الأردن، ط٣، ٢٠٠٤م.

٤٦. الحوفي، أحمد محمد، **أدب السياسة في العصر الأموي**، دار القلم، بيروت-لبنان، ١٩٦٥م.

٤٧. الحوفي، أحمد محمد، **فن الخطابة**، ط٤، دار نهضة مصر، القاهرة، ١٩٧٢م.

٤٨. الخفاجي، ابن سنان: **سر الفصاحة**، تحقيق علي فودَه، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط١، ١٩٣٢م.

٤٩. الخطابي، حمد بن محمد، **بيان إعجاز القرآن**، تحقيق محمد خلف الله أحمد، محمد زغلول سلام، دار المعارف، القاهرة، بلا تاريخ.

٥٠. ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد، **مقدمة ابن خلدون**، تحقيق عبد الله محمد الدرويش، دار البلخي، دمشق، ٢٠٠٤.

٥١. ابن خلِّكان، شمس الدين أبو العباس . **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، تح: إحسان عبّاس، دار صادر، بيروت، ١٤١٤هـ، ١٩٩٤م.

٥٢. الدارمي، مسكين، **الديوان**، تحقيق عبد الله الجبوري، دار البصري، بغداد، ١٩٧٠.

٥٣. الدينوري، ابن قتيبة (ت٢٧٦هـ)، **عيون الأخبار**، تحقيق لجنة دار الكتب المصرية، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٩٦م.

٥٤. الرازي، أبو عبد الله محمد بن بكر، **روضة الفصاحة**، تحقيق خالد الجبر، دار وائل للنشر، ط١، ٢٠٠٥.

٥٥. ديكرو أوزوالد، وجان ماري سشايفر: **القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان**، ترجمة: منذر عياشي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء– المغرب، ط٢، ٢٠٠٧م.

٥٦. ابن رشيق، العمدة في **محاسن الشِّعر وأدبه ونقده**، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، بيروت، دار الجيل ١٩٧٢.

٥٧. الزركشي، محمد بن عبد الله، **البرهان في علوم القرآن**، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط٢، دار المعرفة، بيروت، ١٩٩٢م.

٥٨. الزركلي خير الدين، **الأعلام**، دار العلم للملايين، ط١٥، أيار– مايو ٢٠٠٢م.

٥٩. الزمخشري، محمود بن عمر، **أساس البلاغة**، دار الكتب العلمية، تحقيق محمد باسل عيون السود، بيروت، ١٩٩٨ م.

٦٠. أبو زهرة، محمّد، **الخطابة أصولها تاريخها في أزهى عصورها عند العرب**. ط١، مطبعة العلوم، مصر،١٣٥٣هـ/ ١٩٣٤م.

٦١. الزيات، أحمد حسن، **تاريخ الأدب العربي**، ط٢٩، دار الثقافة، بيروت، ١٩٥٨م.

٦٢. جرجي زيدان، **تاريخ التمدن الإسلامي**، دار القلم، بيروت، د.ت.

٦٣. ابن زيد، الكميت، **ديوان الكميت بن زيد الأسدي**، جمع وشرح وتحقيق محمد نبيل طريفي، دار صاد، بيروت، ٢٠٠٠م.

٦٤. السّد، نور الدين، **الأسلوبية وتحليل الخطاب– دراسة في النقد العربي الحديث**، (دار هوم، الجزائر،٢٠١٠م).

٦٥. السَّكاكي، يوسف بن محمد بن علي، **مفتاح العلوم**، تحقيق د. عبد الحميد هنداوي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٠م.

٦٦. السكسوني، عمر، **عيون المناظرات**، (تح: سعد غراب، منشورات الجامعة

التونسية، ١٩٧٦م).

٦٧. الشايب، أحمد، **الأسلوب**، مكتبة النهضة المصرية، ط١٢، ٢٠٠٣م.

٦٨. الشَّايب، أحمد، **تاريخ النقائض في الشعر العربي**، مطبعة السعادة، القاهرة، ١٩٥٩.

٦٩. شلاش، هاشم طه، **أوزان الفعل ومعانيها**، مطبعة الآداب، النجف، ١٩٧١.

٧٠. شلباية المصري، أبو عبد الله مصطفى بن العدوى، **الصحيح المسند من الأحاديث القدسية**: دار الصحابة للتراث.

٧١. الشعلان، نورة، **أبو ذؤيب الهذلي، حياته وشعره**، الرياض، ١٩٨٠.

٧٢. الشنطي، محمد صالح، **فن التحرير العربي ضوابطه وأنماطه**، دار الأندلس للنشر والتوزيع- السعودية، حائل، ط٥، ١٤٢٢هـ- ٢٠٠١ م.

٧٣. الشهري، عبد الهادي: **استراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية**، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت- لبنان، ط١، ٢٠٠٤م.

٧٤. الدَّاية، فايز، **جماليات الأسلوب (علم المعاني)**، جامعة حلب، مطبعة جامعة حلب، حلب، ١٩٩٤م.

٧٥. الذهبي، **تاريخ الإسلام**، دار الكتاب العربي، ١٩٩٣، بيروت، ج٥.

٧٦. الرازي، فخر الدين، **نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز**، (تح: نصر الله حاجي مفتي أوغلى، دار صادر، بيروت،٢٠٠٤م).

٧٧. الرماني، علي بن عيسى، **رسالة الحدود**، تحقيق إبراهيم السامرائي، دار الفكر، عمان، ١٩٨٢.

٧٨. الزعبي، محمد الدسوقي، **مفهوم الإسناد وأركان الجملة عند سيبويه**، جامعة عين شمس، ٢٠٠١م.

٧٩. ابن زيد، الكميت، **ديوان الكميت بن زيد الأسدي**، جمع وشرح وتحقيق محمد نبيل طريفي، دار صاد، بيروت، ٢٠٠٠م.

٨٠. الصاوي، محمد إسماعيل عبد الله، جرير**– شرح ديوانه**، مطبعة الصاوي، د.م، د.ت.

٨١. الصديق، حسين، **المناظرة في الأدب العربي– الإسلامي**، مكتبة لبنان ناشرون، الشركة المصرية العالمية للنشر- لونجمان، بيروت- لبنان، ط١، ٢٠٠٢م.

٨٢. صفوت، أحمد زكي، **جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة**، العصر

الأموي، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ١٩٣٣م الطبعة الأولى.

٨٣. صفوت، أحمد زكي، **جمهرة رسائل العرب في عصور العربية الزاهرة**، العصر الأموي، المكتبة العلمية، بيروت، بلا تاريخ.

٨٤. الضبي، المفضل، **المفضليات**، تح: أحمد محمد شاكر وعبد السلام محمد هارون، دار المعارف – القاهرة، ط٦، د.ت.

٨٥. ضيف، شوقي، **الفن ومذاهبه في النَّثر العربي**. ط١٣، دار المعارف، مصر، ١٩٥٤م.

٨٦. ضيف، شوقي، **تاريخ الأدب العربي، العصر العباسي الأول**، دار المعارف، ط٨، ١٩٦٦م.

٨٧. ضيف، شوقي، **العصر الإسلامي**، دار المعارف، ط٣، ١٩٧٦م.

٨٨. طبَّانة، بدوي، **معجم البلاغة العربية**، دار العلوم للطباعة والنشر، الرياض، ١٩٨٢م.

٨٩. الطَّبري، أبو جعفر محمد بن جرير، **تاريخ الطبري– تاريخ الأمم والملوك**، تحقق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار سويدان، بيروت، بلا تاريخ.

٩٠. ابن طيفور، أحمد ابن أبي طاهر، أبو الفضل، **بلاغات النساء وطرائق كلامهنَّ ونوادرهنَّ وأخبار ذوات الرأي منهنَّ**، مطبعة والدة عباس الأول، القاهرة، ١٩٠٨ م.

٩١. ابن طيفور، أحمد ابن أبي طاهر، أبو الفضل، **اختيار المنظوم والمنثور**، جامعة الملك سعود، الرياض، ١٩٥٧ م.

٩٢. النجار، فخري خليل، **الأسس الفنية للكتابة والتعبير**، الأردن، ط١، ٢٠٠٧.

٩٣. ابن النديم، محمد بن إسحاق، **الفهرست**، (تح: إبراهيم روضان، دار المعرفة، بيروت، ١٩٩٧م)،

٩٤. عادل، عبد اللطيف، **بلاغة الإقناع في المناظرة**، منشورات ضفاف، بيروت– لبنان، منشورات الاختلاف، الجزائر، دار الأمان– الرباط، ط١، ١٤٣٤هـ– ٢٠١٣م.

٩٥. العاكوب، عيسى علي: **المفصل في علوم البلاغة العربية** (المعاني والبيان والبديع)، طبعة جديدة منقحة ومزيدة، جامعة حلب، ٢٠١٨م.

٩٦. عباس، إحسان، **شعر الخوارج** ، دار الثقافة، بيروت – لبنان الطبعة: الثالثة،

١٩٧٤ م.

٩٧. ابن عبد ربه، أحمد بن محمد الأندلسي، **العقد الفريد**، تحقيق مفيد محمد قميحة، وعبد المجيد الترحيني، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٣م.

٩٨. عبد العال، محمد يونس، **في النَّثر العربي (قضايا وفنون ونصوص)**. ط١، دار نوبار، القاهرة، ١٩٩٦م.

٩٩. عبد الرحمن، بنت الشاطئ، عائشة، **السيدة زينب، عقيلة بني هاشم**، طبع بيروت – لبنان، ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٥ م، منشورات دار الكتاب العربي.

١٠٠. عبد المطلب، محمد، **البلاغة والأسلوبية**، الشركة المصرية للنشر، القاهرة، ١٩٩٤.

١٠١. عبد النور، جبور، **المعجم الأدبي**، دار العلم للملايين، بيروت– لبنان، ط٢، ١٩٨٤م.

١٠٢. عتيق، عمر عبد الهادي، **علم البلاغة بين الأصالة والمعاصرة**، (دار أسامة، عمان، ٢٠١٢).

١٠٣. عرفة، عبد العزيز: **من بلاغة النظم العربي**، دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني، عالم الكتب، بيروت، ط٢، ١٩٨٤.

١٠٤. العسكري، أبو هلال (ت: نحو ٣٩٥هـ)، **ديوان المعاني**: دار الجيل– بيروت.

١٠٥. أبو العُدوس، يوسف، **مدخل إلى البلاغة العربيَّة**، دار المسيرة، الأردن، ط١، ٢٠٠٧.

١٠٦. عطوان، حسن، **مقدمة القصيدة العربية في العصر العباسي الأول** – دار المعارف – مصر، دون تاريخ.

١٠٧. العقاد، عباس محمود، **حياة قلم**، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، ٢٠١٣م.

١٠٨. أبو علي القالي، إسماعيل بن القاسم، **الأمالي**، ط٢، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٣٤٤هـ/ ١٩٢٦م.

١٠٩. علوش، سعيد: **معجم مصطلحات النقد الأدبي المعاصر**، مراجعة: د. كيان

أحمد حازم يحيى، وحسن الطالب، دار الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت، ط١، ٢٠١٩م.

١١٠. أبو علي، محمد بركات، **علم البلاغة**، جامعة القدس المفتوحة، ٢٠١٥م.

١١١. عمر، أحمد مختار عبد الحميد (المتوفى: ١٤٢٤هـ) بمساعدة فريق عمل، **معجم اللغة العربية المعاصرة**: عالم الكتب، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م.

١١٢. عياد، شكري، **مدخل إلى علم الأسلوب**، دار العلوم، الرياض، ط٢، ١٩٩٢م.

١١٣. عيَّاد، محمد، **اتجاهات البحث الأسلوبي (دراسات أسلوبية)**، دار العلوم للطباعة، ط١، الرياض، ١٩٨٥م.

١١٤. عوني، حامد: **المنهاج الواضح للبلاغة**، المكتبة الأزهرية للتراث.

١١٥. ابن فارس، أحمد بن زكريا أبو الحسين، **مقاييس اللغة**، تحقيق عبد السلام هارون، دار الفكر، دمشق، ١٩٧٩م.

١١٦. فان جيلدران، **بدايات النظر في القصيدة**، ترجمة عصام بهي، مجلة فصول، تراثنا النقدي، الجزء الثاني، د.ت.

١١٧. الفراهيدي، الخليل بن أحمد، **كتاب العين**، تح: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، منشورات دار الهجرة- قم، ١٤٠٥هـ.

١١٨. فروخ، عمر، **تاريخ الأدب العربي**، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٤م.

١١٩. فروخ، عمر، **الرسائل والمقامات**، دار صادر، بيروت، ١٩٤٢م.

١٢٠. الفلاح، قحطان، **استيحاء المعاني عند سهل بن هارون**، مطبعة العبيكان، الرياض، ٢٠٠٥م.

١٢١. أبو الفضل، أحمد بن محمّد بن أحمد بن إبراهيم الميدانيّ، **مجمع الأمثال**، تحقيق: محمّد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة عيسى البابي الحلبيّ وشركاه، القاهرة، د.ت.

١٢٢. الفيروز آبادي، محمد بن يعقوب، **القاموس المحيط**، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٨، ٢٠٠٥.

١٢٣. ابن قتيبة، أبو محمد بن عبد الله بن مسلم الدينوري، **الإمامة والسياسة**، اعتنى بطبعته محمد محمود الرافعي، مطبعة النيل، القاهرة، ١٩٠٤م.

١٢٤. ابن قتيبة، أبو محمد بن عبد الله بن مسلم الدينوري، **عيون الأخبار**، دار الكتب المصرية، ١٩٦٩م.

١٢٥. القرطاجنّي، جازم: **منهاج البلغاء وسراج الأدباء**، تحقيق: محمّد الحبيب قوجة، ط٢، دار المغرب الإسلاميّ، بيروت.

١٢٦. قِزْ أُوغلي، شمس الدين أبو المظفر يوسف، **مرآة الزمان في تواريخ الأعيان**، تح: عمار ريحاوي، دار الرسالة العالمية، دمشق – ١٤٣٤ هـ – ٢٠١٣ م.

١٢٧. القزويني، الخطيب، **الإيضاح في علوم البلاغة**، اعتنى به محمد الفاضلي، د.ط، د.ت.

١٢٨. قدور، أحمد محمد: **مبادئ اللسانيات العامة**، منشورات جامعة حلب، ٢٠٠٦م

١٢٩. القضاعي، الإمام القاضي أبو عبد الله محمد بن سلامة، **معالم الحِكم ومأثور مكارم الشّيم**، قدَّم له: السيد عبد الزهراء الحسيني الخطيب، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ١٤٠١هـ/١٩٨١م.

١٣٠. القلقشندي، أبو العباس أحمد (ت٨٢١هـ)، **صبح الأعشى في صناعة الإنشا**، دار الكتب المصرية بالقاهرة، ١٣٤٠هـ/١٩٢٢م.

١٣١. القيرواني، ابن رشيق، **العمدَة في محاسن الشِّعر وآدابه ونقده**، تح: محمد محيي عبد الحميد، دار الجيل، بيروت، ط٥، ١٩٨١.

١٣٢. لونجي، جوليان، وجورج إيليا سرفاتي: **قاموس التداولية**، ترجمة: لطفي السيد منصور، دار الرافدين، لبنان– بيروت، ط١، ٢٠٢٠م.

١٣٣. كرد علي، محمد، **الإسلام والحضارة العربية**، ط٣، ١٩٦٨م.

١٣٤. **كرد علي، محمد، رسائل البلغاء**، در الكتب العربية الكبرى، مصر، ١٩١٣م.

١٣٥. الكلاعي، أبو القاسم، **إحكام صنعة الكلام**، تح: محمد رضوان الداية، دار الثقافة، بيروت– لبنان، ١٩٩٦م.

١٣٦. مبارك، زكي، **النَّثر الفني في القرن الرابع**، الجزء الأول، دار الكتاب العربي، القاهرة.

١٣٧. المبرد، **الكامل في اللغة والأدب**، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، ٢٠٠٢.

١٣٨. محمد محمد حسن، **شرح الشواهد الشعرية في أمات الكتب النحوية «لأربعة آلاف شاهد شعري»**، مؤسسة الرسالة، بيروت – لبنان، ط١، ١٤٢٧ هـ- ٢٠٠٧ م

١٣٩. مراد، يتيمي، **الحجاج في مناظرة الحيدة والاعتذار لعبد العزيز الكناني**، مخطوطة لنيل درجة الماجستير، الجمهورية الجزائرية، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، تاريخ المناقشة: ٢٠١٢/٧/١م، بإشراف بو جمعة شتوان.

١٤٠. المرتضي، أحمد بن يحيى، **المُنية والأمل في شرح كتاب الملل والنحل**، اعتنى بتصحيحه توما أرنلد، مطبعة دار المعارف، ١٣١٦هـ.

١٤١. المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي، **مروج الذهب ومعادن الجوهر**، تحقيق يوسف أسعد داغر، مؤسسة دار الهجرة، ٤ أجزاء، بيروت، ١٩٦٥ م.

١٤٢. **الموسوعة العربية**، هيئة الموسوعة العربية سورية، دمشق، المجلد الثاني، ٢٠٠٠م.

١٤٣. ابن المعتز، عبد الله، **البديع**، تحقيق أغناطيوس كراتش فوكي، دار المسيرة، ط١، ١٩٨٢.

١٤٤. مجمع اللغة العربية، **المعجم الوسيط**، ط٤، ٢٠٠٤م.

١٤٥. **المعجم الموحَّد للمصطلحات والتواصل اللغوي**، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، مكتب تنسيق التعريب، الرباط.

١٤٦. مفتاح، أحمد، **مفتاح الأفكار في النثر المختار**، مطبعة جريدة الإسلام، القاهرة، ١٤١٣هـ.

١٤٧. المقداد، محمود، **التَّرسُّل في الأدب العربي**، مجلة البيان الكويتية، العدد ٣٦٢، سبتمبر ٢٠٠٠م.

١٤٨. المقدسي، أنيس، **تطور الأساليب النَّثرية في الأدب العربي**، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٧٤.

١٤٩. المصري، ابن أبي الأصبع، **تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن**، تحقيق حفني محمد شرف، القاهرة.

١٥٠. مطلوب، أحمد: **معجم مصطلحات النقد العربي القديم**، مكتبة لبنان ناشرون، بلا تاريخ.

١٥١. مطلوب، أحمد: **معجم المصطلحات البلاغية وتطورها**، مطبعة المجمع العلمي العراقي، ١٩٨٣م.

١٥٢. ابن منقذ، أسامة، **البديع في نقد الشِّعر**، تحقيق د. محمد حمد الهاشمي، ط١٢- ١٩٦٠.

١٥٣. موافي، عثمان، **في النقد العربي القديم، قضايا ودراسات**، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٧٥.

١٥٤. مولينية، جورج، **الأسلوبية**، ترجمة بسام بركة، المؤسسة الجامعية للنشر، عمان، ١٩٩٩م.

١٥٥. النّص، إحسان، **الخطابة العربية في عصرها الذهبي**، ط٢، دار المعارف، القاهرة، مصر، ١٩٦٣م.

١٥٦. نخبة من العلماء: **التفسير الميسر**، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة، ط٤، ١٤٣٣هـ، ص١٣٨.

١٥٧. نصير، ياسين، **الاستهلال فن البدايات في النص الأدبي**، دار نينوى، دمشق -٢٠٠٩.

١٥٨. النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت٧٣٣هـ)، **نهاية الأرب في فنون الأدب**، صححه: أحمد الزين، دار الكتب المصرية بالقاهرة، الطبعة الأولى، ١٣٤٧هـ/١٩٢٩م.

١٥٩. النيسابوري، محمد بن عبد الله بن حمدون، **المستدرك على الصحيحين**، تحقيق مقبل بن هادي الوادعي، دار الحرمين، ١٤١٧هـ، رقم الحديث١٨٦٢.

١٦٠. الهاشمي، أحمد، **جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب**، أشرفت على تحقيقه وتصحيحه لجنة من الجامعيين، مؤسسة المعارف، بيروت.

١٦١. أبو هيف عبد الله، **التنمية الثقافية**، اتحاد الكتاب العرب بدمشق، ٢٠٠١م.

١٦٢. ابن وهب، إسحاق بن إبراهيم بن سليمان، **البرهان في وجوه البيان**، تحقيق أحمد مطلوب، خديجة الحديثي، ١٩٨٧م.

١٦٣. وهبة، مجدي، المهندس، كامل، **معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب**، مكتبة لبنان، الطبعة الثانية، ١٩٨٤م.

١٦٤. يتيمي، مراد، **الحجاج في مناظرة الحيدة والاعتذار لعبد العزيز الكناني،** مخطوطة لنيل درجة الماجستير، الجمهورية الجزائرية، جامعة مولود معمري- تيزي وزو، تاريخ المناقشة: ٢٠١٢/٧/١م، بإشراف بو جمعة شتوان.

١٦٥. هناء محمد حرامي(hanaa haramı)، (**التجربة الجمالية عند العرب، تلقي أدب الجاحظ حتى نهاية القرن الخامس الهجري نموذجا،** SONÇAG AKADAMI ،)

١٦٦. HAFEL ALYOUNES، **بائيةكعب بن سعد الغنوي دراسةفي فحولتها وبنائها،** Kırıkkale Üniversitesi Sosyal Bilimler Dergisi (KÜSBD) Cilt 10, Sayı 2, Temmuz 2020, Sayfa 705-729 Kırıkkale University Journal of Social Sciences (KUJSS) Volume 10, No 2, July 2020, Pages 705-729 ,

السيرة الذاتية

اسم الباحث: مصطفى المواس.

الشهادات الجامعية:

- بكالوريوس لغة عربية ١٩٩٨م.
- ماجستير في اللغة العربية عام ٢٠١٠م.

الخبرات:

- مدرس في المملكة العربية السعودية بين عامي ٢٠٠٠م -٢٠٠٧م.
- مدرس في المعهد العالي للغات في جامعة حلب بين عامي ٢٠٠٨م-٢٠١٢م.
- مدرس في جامعة كريكالي، تركيا، منذ عام ٢٠١٤م، حتى التاريخ.
- طالب دكتوراة في جامعة كاربوك.

الأبحاث:

١- دراسة فنية جمالية لخطبة قطري بن الفجاءة، مجلة نسخة، ٢٠١٨-١٢-
٢- أثر الصورة الفنية في إعلامية الخطاب، شعر مسكين الدارمي نموذجاً، مجلة الدراسات الشرقية، ٢٠١٩م.
٣- مراحل تطور علم البلاغة عند العرب، مجلة العلوم الاجتماعية في جامعة كريكالي، ٢٠١٩م.
٤- بلاغة الإطناب في ديوان عمر أبو ريشة- التكرار والاعتراض بأسلوب النداء نموذجين، مجلة ميزان الحق، ٥-٢٠٢٠.